الدبلوماسى

السنة الثامنة والعشرون - العدد 287
يناير 2020 الثمن 10 جنيهات

عيد الميلاد المجيد 2020
ومصر والمصريين فى حب وسلام

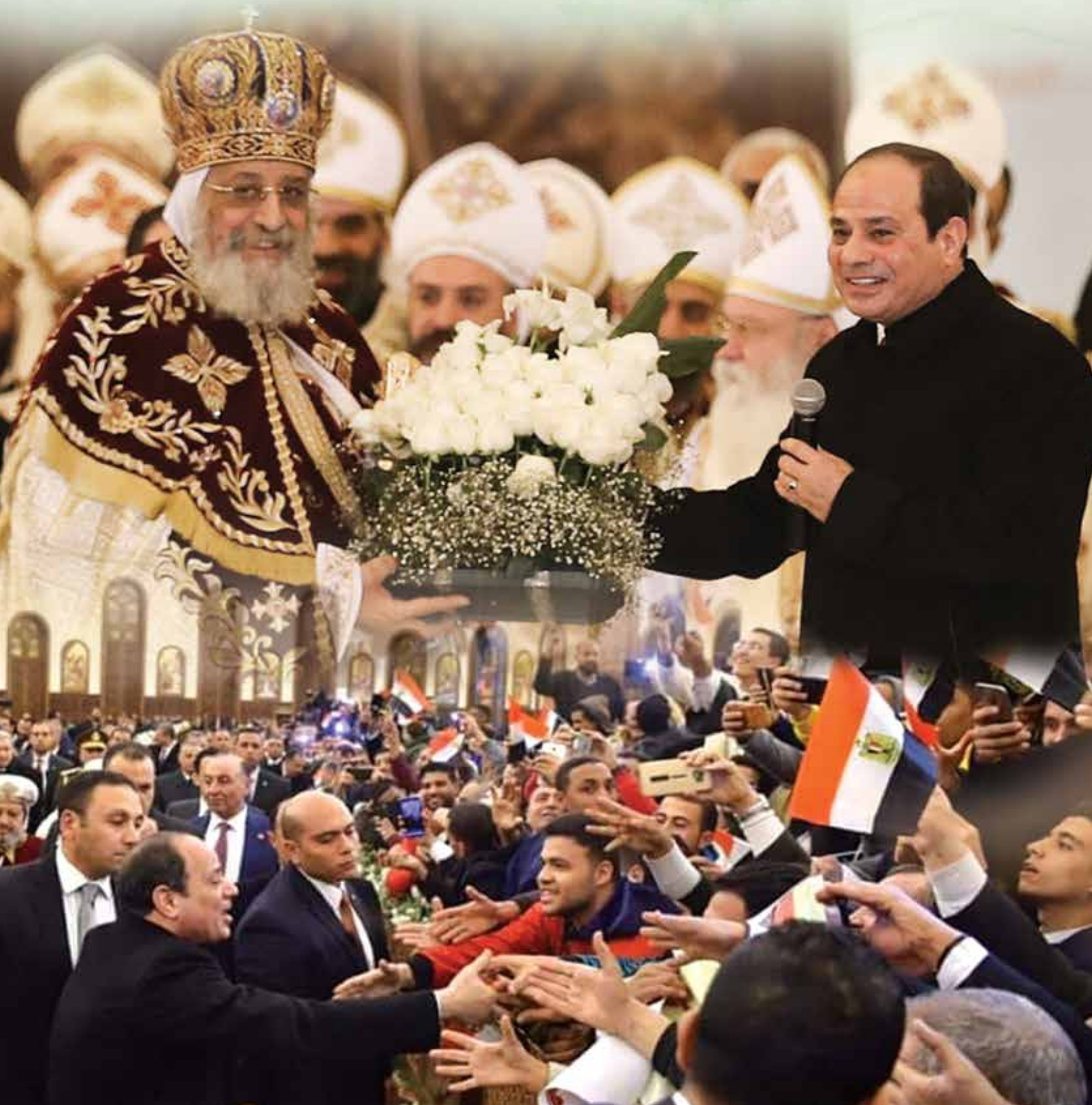

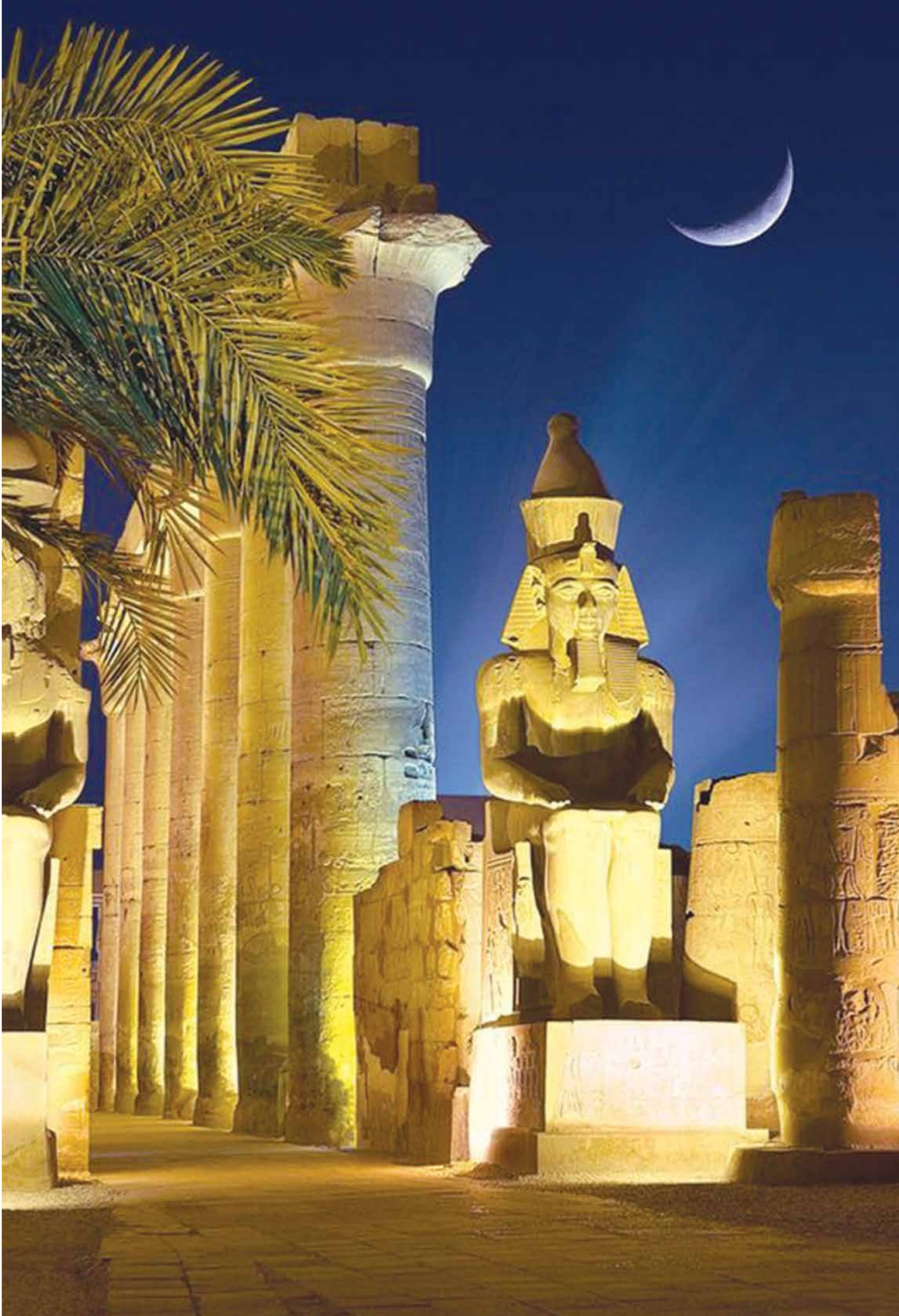

فى هذا العدد

ملامح من أجندة دبلوماسية 2020 ..... بقلم السفير رضا الطايفى	2
الحقيبة الدبلوماسية	4
كلمة السيد الرئيس عبد الفتاح السيسى فى الكاتدرائية	9
كلمة وزير الخارجية فى المجلس المصرى للشئون الخارجية	10
المؤتمر السنوى للمجلس المصرى للشئون الخارجية 2019 ... سفير د. عزت سعد	12
قراءة فى مستقبل العلاقات بين مصر وتركيا .... سفير عبد الرحمن صلاح	17
أكبر سرقات التاريخ ..... سفير جمال الدين البيومى	20
الانتخابات الرئاسية الجزائرية بين الرفض والقبول ..... سفير رخا أحمد حسن	24
ريو دى جانيرو قطعة من الجنة .... سفير أسامة توفيق بدر	27
الحضارة ما بين التسويق والتشويه ..... سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى	28
أمن مصر المائى وسد النهضة الأثيوبى ..... سفير عزت البحيرى	30
بانوراما أفريقيا (2) ..... سفير عبدالفتاح عزالدين	36
مصر والصين فى عالم متغير .... سفير د. يوسف الشرقاوى	40
مركز توثيق التراث الحضارى والطبيعى ... رجائى عطية	43
العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ..... سفير د. عادل السالوسى	46
حكايات وطرائف دبلوماسية من الماضى ... سفير يسرى القويضى	51
«ساداكو أوجاتا»: التأثير العالمى والصداقة لمصر ..... سفير د وليد محمود عبد الناصر	52
لبنان .. النهايات لا تأتى سعيدة ..... ماهر مقلد	54
نهاية الوجود الأمريكى فى الشرق الأوسط ... محمد صابرين	56
فنون وشعوب متميزة بأفريقيا التى لا نعرفها ..... سفيرة د. عبير بسيونى	58
تأملات ..... سفير أشرف عقل	61
رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين... تقدمها ناديه الريس	62
مارتن لوثر ..... سفير د. هادى التونسى	64
النفط فى منابع النيل (2/2) ..... سحر عبد الرؤوف محمود	66
ولادة بنت المستكفى ..... عادل عبدالصمد	68
المفوضية السامية للأمم المتحدة لشئون اللاجئين .. سفير د. سامح أبو العينين	71
موقف الولايات المتحدة الأمريكية من تأميم مصر لشركة قناة السويس .... أ.د محمد عبدالوهاب سيد	72
فنون تشكيلية ..... سفير فخرى عثمان	76
من آداب الأفكار عن الزعيم السادات ..... فاروق صالح باسلامة	78
القرار الأخير ..... سوسن رحمى	79
دروس الأحداث وعظاتها ..... سفير د فتحى مرعى	80

الدبلوماسى

مجلة شهرية منوعة
تصدر منذ مارس 1992 عن
النادى الدبلوماسى المصرى

أسسها السفير مصطفى العيسوى

رئيس مجلس إدارة النادى الدبلوماسى
سفير أبوبكر حفنى محمود

رئيس التحرير
سفير رضا الطايفى

المستشار القانونى
رجائى عطية

مستشار التحرير
عادل عبد الصمد

المستشار الفنى
جمال عبد النبى

سكرتير تحرير تنفيذى
شادى غالى

أسرة تحرير العدد

سفير أشرف عقل
سفير د. يوسف الشرقاوى
سكرتير أول أحمد أبو المجد
سكرتير ثان هند منذر

توجه المراسلات إلى رئيس تحرير
مجلة «الدبلوماسى»:
مبنى وزارة الخارجية المصرية
ماسبيرو الدور 28 - غرفة 2820
تليفاكس 27735457 202+

diplomatmagazine92@gmail.com

جميع الآراء الواردة بالمقالات تعبر عن أصحابها
دون أدنى مسئولية على المجلة، والخرائط المنشورة
توضيحية إلا إذا ذكر غير ذلك

ملامح من أجندة دبلوماسية 2020

رئيس التحرير
السفير رضا الطايفى
taifyreda@yahoo.com

مع شروق شمس عام2020، يسعد مجلة «الدبلوماسى» أن تهنئ قراءها وأن تهنئ كل أسرة الدبلوماسية المصرية وكل المصريين داخل الوطن والجاليات المصرية فى الخارج بمناسبة حلول العام الميلادى الجديد، مع خالص الدعوات الصادقة والأمنيات الطيبة أن يحمل لنا العام الجديد ولمصرنا الحبيبة كل بشائر الخير والنماء والتقدم وأن يتحقق فيه كل ما نصبو إلى تحقيقه من أمنيات وإنجازات على كافة المستويات الشخصية والوطنية والقومية، فى ظل قيادة وطنية مؤمنة بقدرات وكفاءات الإنسان المصرى، ومدركة لثقل مصر التاريخى والجيو إستراتيجى ودورها الإقليمى عربياً وإفريقياً ومكانتها الدولية.

ويقظة تجاه ما يواجه الوطن من مخاطر خارجية وتحديات داخلية. وأن يكون2020 عاماً تتواصل فيه إنجازات ونجاحات الدبلوماسية المصرية على كافة الأصعدة الثنائية والإقليمية والدولية والمتعددة الأطراف بما يمكنها من مواجهة التحديات القائمة والمحتملة، وطرح وتبنى المبادرات ليس فقط لإجهاض أية محاولات تستهدف التعرض لمصالح مصر العليا والنيل من مكان ومكانة الوطن واستقراره ورفاهيته، ولكن أيضاً لإسكات البنادق واحتواء الصراعات السياسية والمسلحة ومواجهة الإرهاب وإطفاء النيران السياسية المشتعلة فى أرجاء عديدة من عالمنا العربى، خاصة وأن المشهد العربى ومنذ عدة سنوات، حينما بدأ الحديث عن «الشرق الأوسط الجديد والكبير» وعن ما سُمى بالفوضى الخلاقة، يواجه تحديات غير مسبوقة فى طبيعتها وأساليبها، ويواجه سيناريوهات التقسيم الجغرافى والعرقى والدينى والطائفى بصورة تتجاوز ظروف وتبعات نتائج اتفاقية «سايكس بيكو» فى 16 مايو 1916 م، فضلاً عن تفشى ظاهرة الإرهاب وأجندات الجماعات الإرهابية التى تأخذ من الدين ستاراً لها – زوراً وبهتاناً وإفكاً – إضافة إلى ما تواجهه بعض الدول العربية من تحديات تستهدف هويتها وأمنها ووحدتها واستقرارها، ولعل ما يحدث منذ سنوات فى الصومال واليمن وسوريا وليبيا وغيرها من دول المنطقة يؤكد أن الوطن العربى برمته أصبح مستهدفاً من قبل أطراف عديدة ولدوافع مختلفة، وهو ما أحدث حالة من الوهن فى الجسد العربى فتحت شهية قوى إقليمية ودولية وشجعتها على التدخل السافر فى الشئون الداخلية العربية ومحاولة اختطاف القرار العربى، مثل تركيا التى يراود رئيسها رجب طيب أردوغان أوهام وأحلام استعادة الإمبراطورية العثمانية «إمبراطورية الرجل المريض» وكذا إيران التى تحلم منذ قيام الثورة الخومينية وخاصة بعد سقوط بغداد باستعادة أمجاد الإمبراطورية الفارسية على حساب الدول العربية التى أنهكت بعضها الحروب الداخلية والتى نالت من بعضها الآخر صراعاتها البينية.

كما لم يعد خافياً على أحد أن هذه القوى الإقليمية تسعى بالتوازى مع دورها الهدام فى المنطقة إلى إضعاف المنظمات العربية والإسلامية، مثل جامعة الدول العربية - المنظمة الإقليمية القائمة، الأقدم فى العالم – التى تظل برغم ما يواجهها من تحديات بيتاً لكل العرب يجتمعون تحت سقفه لمناقشة قضاياهم ووضع السياسات والآليات المناسبة والممكنة لتسوية هذه القضايا قبل فوات الأوان، وكذا منظمة التعاون الإسلامى الحاضنة الطبيعية والقائمة لدول العالم الإسلامى التى يراد لها هى الأخرى أن تنقسم دولها على نفسها، وإلا بماذا يمكن أن نفسر انعقاد ما سمى « قمة كوالالمبور» التى استضافتها ماليزيا مهاتير محمد وقادة إيران وتركيا وقطر، والتى لحسن الحظ قاطعها فى اللحظة الأخيرة قادة إندونيسيا وباكستان؟ وهى محاولات بائسة يائسة ومحكوم عليها بالفشل، وتتعارض مع أحد ثوابت الدبلوماسية المصرية التى عبر عنها وزير الخارجية بقوله «تولى مصر أهمية خاصة لاحترام مبادئ القانون الدولى، وتحرص أيضاً على تعزيز دور وفاعلية المنظمات الدولية والإقليمية متعددة الأطراف وفى مقدمتها الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية والاتحاد الإفريقى. فمصر تؤمن بنجاعة بل وضرورة مثل هذه الأطر متعددة الأطراف وبأهمية التعاون بين الدول، فى إطار من الندية والاحترام المتبادل، من أجل تحقيق واستدامة المصالح المشتركة، مع أهمية أن تظل الدولة الوطنية، واحترام سيادتها، حجر الأساس فى بناء النظام الدولى».

ولعل القضية الفلسطينية التى يرى البعض أنها فقدت الزخم المؤيد لها – بفعل تعدد القضايا والمشكلات والتحديات التى تواجه العالم العربى، إلا أنها تظل – مع ذلك – قضية العرب الأولى، وتظل فى القلب من دوائر اهتمام الدبلوماسية المصرية كما كانت دائماً.

دبلوماسية المياه تظل مع العام

الجديد فى قائمة أولويات واهتمامات الدبلوماسية المصرية باعتبار أن مياه النيل تعد قضية مصيرية وليست مجرد قضية تنمية شأنها فى ذلك شأن دبلوماسية الطاقة والاقتصاد الأزرق وهو الملف الذى تضطلع به الخارجية وباقى المؤسسات المعنية بكل حرفية وحسم واقتدار.

فضلاً عن دور الدبلوماسية المصرية فى حشد كل الجهود إقليمياً ودولياً لدحر الإرهاب الذى أصبح ظاهرة عالمية تهدد الجميع وتضرب فى كل مكان بلا رحمة أو هوادة ودونما تمييز، فالإرهاب لا وطن له ولا دين، ولن يكون عالمنا هادئاً ما لم يتمكن من وضع حد لظاهرة التطرف والإرهاب.

ولا يمكن أن نودع عام 2019 دون التنويه إلى رئاسة مصر للاتحاد الإفريقى وهو الأمر الذى تطرق إليه السيد وزير الخارجية سامح شكرى فى كلمته أمام الجلسة الافتتاحية للمؤتمر السنوى للمجلس المصرى للشئون الخارجية بتاريخ 23 ديسمبر 2019 «لقد شهدت السنوات الخمس الماضية تنامياً مطرداً للأواصر التى تربط مصر بقارتها الإفريقية ولم تكن رئاسة مصر للاتحاد الإفريقى مجرد حدث دورى أو اعتيادى بل إنها تعبير عن استعادة مصر لدورها الريادى التاريخى فى القارة، وهو الدور الذى يكتسب اليوم أبعاداً جديدة فى تحركه الدءوب والمستمر من أجل تحقيق أهداف وبرامج عمل القارة على أصعدة السلام والأمن والتنمية المستدامة والدفاع عنها فى كل المحافل الدولية. فلقد تبنت مصر خلال فترة رئاستها للاتحاد الإفريقى عدداً من الأولويات على رأسها تعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتحقيق التكامل الاقتصادى والاندماج الإقليمى، وتطوير آليات تعزيز السلم والأمن وإعادة الإعمار والتنمية لمرحلة ما بعد النزاعات، والإصلاح المؤسسى والمالى للاتحاد وتعزيز الروابط الثقافية والحضارية بين الشعوب الإفريقية، وذلك فى إطار حرص مصر والدول الإفريقية الشقيقة على ترسيخ مبدأ «الحلول الإفريقية للمشاكل الإفريقية وتعزيزاً لهذا التوجه، فقد تم تدشين آلية جديدة مقرها القاهرة هى «مركز الاتحاد الإفريقى لإعادة الإعمار والتنمية ما بعد النزاعات»، للتركيز على إعادة بناء الدول فى مرحلة ما بعد النزاعات.

وارتباطاً بمبدأ الملكية والقيادة الوطنية، فإن دول القارة على وعى تام بأهمية تطوير شراكات حقيقية وفعالة للتصدى للتحديات السياسية والاقتصادية التى تواجهها، وللحصول على المعرفة والتكنولوجيا، وتطوير الموارد البشرية الإفريقية، وتوفير التمويل والدعم السياسى، وهى عناصر أساسية لتحقيق أجندة الاتحاد الإفريقى التنموية لعام 2063.

كما استضافت مصر «منتدى أسوان للسلام والتنمية المستدامين» يومى 11 و12 ديسمبر 2019، والذى عقد برعاية وحضور السيد رئيس الجمهورية فى مدينة أسوان وبحضور متميز من عدد من القادة الأفارقة والشركاء الدوليين.

لقد بادرت مصر بصياغة وإطلاق المنتدى بجهود وأفكار مصرية وإفريقية خالصة، ليكون معبراً عن ملكية أبناء القارة لمصيرهم ومجسداً لريادتهم، مع تقديم نموذج مثمر للحوار بين الفاعلين الدوليين والإقليميين من القادة السياسيين والمؤسسات التمويلية والمجتمع المدنى والقطاع الخاص، بما يسهم فى وضع المبادرات والآليات الدولية والإقليمية الخاصة بالقارة الإفريقية موضع التنفيذ».

ولقد تضمنت كلمة السيد وزير الخارجية العديد من الثوابت المصرية والفرص والتحديات التى تتعاطى معها الدبلوماسية المصرية.

ختاماً، فإنه برغم الانفراجة التى قد تشهدها الحرب التجارية بين الولايات المتحدة والصين مع بدايات 2020، إلا أنه من المتوقع أن تظل على أجندة العام الجديد العديد من الملفات الدولية المتأزمة بدءاً بالقضية الفلسطينية، مروراً بالصراعات الدائرة فى المنطقة العربية، وعلى سبيل المثال أيضاً الملف النووى فى كوريا الشمالية والملف النووى الإيرانى، أزمة كشمير بين الهند وباكستان، النزاع حول بحر الصين الجنوبى (بحر الشرق)، نزاعات المياه والطاقة، التلوث وتبعات الانبعاثات الحرارية، قضايا التنمية فى إفريقيا، تبعات خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبى، الانتخابات الرئاسية الأمريكية، الأزمة السياسية فى إسرائيل، تذبذب العلاقات الأمريكية الروسية، تبعات التوجه الأمريكى للانسحاب من الشرق الأوسط، فضلاً عن ملف الإرهاب وغيره من الملفات الدولية الحديثة القديمة مثل ملف إصلاح الأمم المتحدة، وهى قضايا تشير استمراريتها إلى أن رياح الحرب الباردة وأجواءها والنزاعات المسلحة والحرب بالوكالة سوف تخيم من جديد على عالم 2020 الذى ينذر بتصعيد عسكرى فى منطقة الخليج والأزمة الليبية وهو ما يحتاج منا جميعاً إلى الاصطفاف الوطنى لمواجهة أى تصعيد عسكرى محتمل.

حقيبة الوزير

خصصت خارجية مصر جزءا من موازنتها لدعم الأشقاء في ليبيا:

شكرى يواصل اتصالاته مع الشركاء الدوليين حول تطورات الشأن الليبي

تصدرت زيارة وزير الخارجية سامح شكرى إلى ليبيا مساء الخميس الماضي عناوين الصحف المحلية والعالمية، حيث حرصت وسائل الإعلام على تغطية «الزيارة المفاجئة» لوزير الخارجية المصري إلى العاصمة الليبية طرابلس.

وقد حرص الوزير شكرى أثناء زيارته على لقاء كافة الأطراف الليبية، وذلك في إطار الجهود المصرية الرامية إلى دعم الحل السياسي للأزمة الليبية، وتأكيد موقف مصر الداعم لوحدة ليبيا وسلامة أراضيها، ورفض التدخلات الخارجية في شؤونها الداخلية.

سامح شكرى يؤكد خلال اجتماعه مع قيادات وزارة الخارجية على أهمية تكثيف الجهود لمواصلة تنفيذ أهداف السياسة الخارجية المصرية

وأكد الوزير شكرى خلال الاجتماع على أهمية تكثيف الجهود لمواصلة تنفيذ أهداف السياسة الخارجية المصرية، وتعزيز دور الدبلوماسية المصرية في دعم الأمن والاستقرار الإقليمي والدولي، وتأكيد موقف مصر الثابت تجاه القضايا الإقليمية والدولية.

فى مستهل زيارته للرياض.. وزير الخارجية يلتقى نظيره الأردني

التقى وزير الخارجية سامح شكرى، في مستهل زيارته للعاصمة السعودية الرياض، نظيره الأردني أيمن الصفدي، وذلك في إطار الجهود المصرية الرامية إلى دعم الحل السياسي للأزمة الليبية، وتأكيد موقف مصر الداعم لوحدة ليبيا وسلامة أراضيها، ورفض التدخلات الخارجية في شؤونها الداخلية.

واستمرارًا للقاءاته فى الرياض... وزير الخارجية يلتقى نظيره السعودى

وزير الخارجية سامح شكرى يجرى اتصالاً هاتفياً مع مستشار الأمن القومى الأمريكي

بيان صحفى

أدانت مصر بأشد العبارات خطوة البرلمان التركى بالتفويض لإرسال قوات عسكرية إلى ليبيا

[illegible]

بلجراد

[illegible]

بوروندى

[illegible]

سول

[illegible]

كينشاسا

[illegible]

أكــرا

[illegible]

أستراليا

[illegible]

ألبانيا

[illegible]

[illegible]

[illegible]

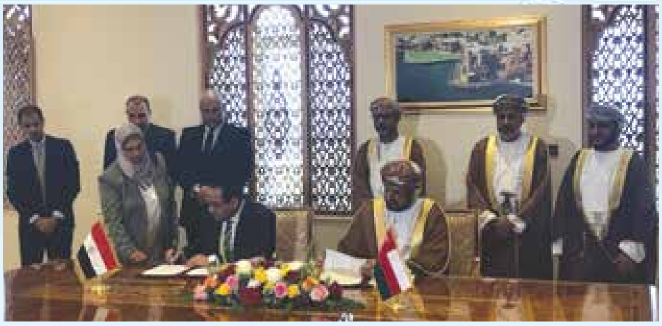

مسقط

[illegible]

أبو ظبى

[illegible]

كوناكرى

[illegible]

الخرطوم

[illegible]

[illegible]

تهنئة السيد الرئيس عبد الفتاح السيسى فى كاتدرائية ميلاد المسيح 2020

[illegible]

كلمة السيد وزير الخارجية سامح شكرى فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر السنوى للمجلس المصرى للشئون الخارجية بتاريخ 23 ديسمبر 2019

السيد السفير دكتور/ منير زهران، رئيس المجلس المصرى للشئون الخارجية.

السيد السفير/ عبدالرؤوف الريدى، الرئيس الشرفى للمجلس المصرى للشئون الخارجية.

السيدات والسادة اعضاء المجلس والباحثون المحترمون،

الحضور الكريم،

يطيب لى أن أعرب عن تقديرى البالغ لدعوتكم الكريمة كى أتحدث أمام الاجتماع السنوى للمجلس، والذى يوافق هذا العام مرور عشرين عاماً على إنشائه.

ومن ثم، فإننى أتطلع معكم إلى أن تشهد السنوات القادمة من عمر المجلس مزيداً من التطور فى عمله والحيوية فى إسهاماته، لاسيما على صعيد إصدار الدراسات والبحوث الرصينة للتفاعل مع الجهات المناظرة من مراكز الفكر والبحث فى العالم، ولشرح الموضوعات ذات الأولوية بالنسبة لسياسة مصر الخارجية. وإننى لعلى ثقة فى أن من يزخر بهم المجلس من القامات الدبلوماسية الرفيعة والخبرات العلمية المتميزة لهم من أقدر الكفاءات التى يمكنها القيام بتلك المهام، استمراراً لعطائهم الثرى، فى مواقع ومستويات متعددة، وعلى مدى سنوات طويلة، فى سبيل تحقيق الأهداف الوطنية وحماية المصالح العليا للبلاد.

السيدات والسادة،

إن تلك الأهداف الوطنية لم تكن فى أى وقت أكثر وضوحاً من اليوم، إنما فى ذات الحين، باتت التهديدات التى تكتنف تحقيقها أكثر تنوعاً وأشد شراسة من أى وقت مضى. وفى هذا الإطار، وكما تعلمون، فقد تمثل الهدف الاستراتيجى الأول فى برنامج عمل الحكومة فى حماية الأمن القومى وسياسة مصر الخارجية، اتساقاً مع التكليف الرئاسى بالانتقال من مرحلة تثبيت الدولة، والحفاظ على المكتسبات التى تحققت، إلى مرحلة جنى الثمار.

ولا شك إذن فى ان يزداد الحرص على صيانة الأمن القومى، الذى تمثل السياسة الخارجية أحد أبعاده الهامة، فى مثل تلك المرحلة الحاسمة، التى تشرع مصر فيها نحو الانطلاق بكل قوة لرفع معدلات النمو الاقتصادى، وتتابع تنفيذ أهداف رؤية مصر 2030 مع استكمال تنفيذ المشروعات القومية الكبرى، فكان لزاماً أن يكون التحرك الخارجى المصرى هادفاً لحماية المنجزات ولتعظيم العوائد، ومدركاً فى نفس الوقت لجسامة التحديات وناشطاً فى التصدى لها.

ومن هنا، فقد أردفت السياسة الخارجية المصرية بعداً جديداً وحيوياً إلى أبعادها القائمة، والتى يفرضها التاريخ والجغرافيا وميراث مصر من حضارة ممتدة وقيم راسخة. فمجال التأثير والتفاعل المصرى، الذى لا يمكن إنكاره، يمتد من الخليج العربى إلى شواطئ المحيط الأطلسى، ومن شمال البحر المتوسط إلى أقصى جنوب قارتنا الأفريقية.

وفى واقع الأمر، لم يكن التأثير الأعظم لمصر بدافع الاطماع أو الأحقاد، ولا بفعل التوسع أو باسم القوة. إنما كان تأثيرها الحقيقى، ولا يزال، عبر المثل العليا التى تتبناها، والمثال الإيجابى الذى تقدمه. فمصر، باعتبارها قوة إقليمية، إنما تعمل لتحقيق المصالح المشتركة للإقليم أو للقارة، بل وتدافع عنهما إذا استدعت الحاجة، على عكس البعض ممن يسعون من أجل تحقيق مصالحهم فحسب على حساب الآخرين او دون اكتراث لعواقب سلوكهم.

ومن منطلق المسئولية ذاتها، تولى مصر أهمية خاصة لاحترام مبادئ القانون الدولى، وتحرص أيضاً على تعزيز دور وفاعلية المنظمات الدولية والإقليمية متعددة الأطراف وفى مقدمتها الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية والاتحاد الأفريقى. فمصر تؤمن بنجاعة، بل وضرورة، مثل هذه الأطر متعددة الأطراف وبأهمية التعاون بين الدول، فى إطار من الندية والاحترام المتبادل، من أجل تحقيق واستدامة المصالح المشتركة، مع أهمية أن تظل الدولة الوطنية، واحترام سيادتها، حجر الأساس فى بناء النظام الدولى.

إن ذلك التمسك بدور الدولة لا ينبع من انحياز سياسى أو عقائدى، إنما من اقتناع أكدته التجارب، بأن البديل للدولة الوطنية هو الفوضى العارمة، وذلك أمر لا يمكن قبوله سياسياً ولا ينبغى التسامح معه أخلاقياً، لان ضحيته الأولى هى الشعوب. فى نفس الوقت، فإن بقاء وتماسك الدولة لا يتعارض مع تحقيق أهداف الإصلاح والتطوير واللحاق بركب التنمية، حيث تظل الدولة الوطنية ومؤسساتها هى الحاضن والضامن لتحقيق تلك الأهداف، وفق رؤية وإرادة الشعوب، وليس تبعاً لأولويات أو مصالح أطراف خارجية.

من هذا المنطلق، وفى ظل الترابط بين الأمن القومى المصرى والأمن القومى العربى، يتعين التأكيد مجدداً على رفض محاولات بعض القوى الإقليمية التى تتدخل فى شئون الدول العربية بهدف فرض نفوذها على حساب أمن واستقرار المنطقة، وتغذى النزعات الطائفية والمذهبية فتساعد على نشأة الجماعات والتنظيمات الإرهابية المسلحة التى ترتدى رداء الدين لتخفى أغراضها الدنيئة أو تدعى شرعية تمثيل لا تملكها. ولا تقتصر العواقب السلبية التى تترتب على انتهاك سيادة الدول على انهيار اقتصاداتها وتهتك نسيجها الاجتماعى فحسب، لكنها تزعزع وجود الدول ذاتها، وتؤدى إلى تفككها ووقوعها فريسة للأطماع الخارجية.

كما أنه لا يمكن أن يستمر التغاضى عن توفير دول عربية وإقليمية الدعم والملاذ الآمن ومنابر الدعاية للإرهابيين، بل وقنوات الإمداد بالتمويل وبالعتاد والمقاتلين، الذين يتم نقلهم من بؤرة صراع إلى أخرى بهدف ارتهان إرادة الشعوب وتأجيج النزاعات وعرقلة جهود تسويتها سياسياً، وعلى نحو لا يهدد دول المنطقة فحسب، بل يهدد الاستقرار العالمى بأسره.

ومن ثم، تتطلب مواجهة الإرهاب مقاربة شاملة تتخطى الجوانب الأمنية لتشمل الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والتنموية، بهدف مضاعفة النتائج وتعميق الآثار الإيجابية وزيادة قدرة المجتمعات والدول على اكتساب المناعة اللازمة ضد وباء الإرهاب فى المستقبل. ولقد كانت مصر سباقة فى هذا المجال من خلال المبادرة التى أطلقها السيد رئيس الجمهورية لتجديد وتصويب الخطاب الدينى، وهى دعوة من شأنها تعزيز الخطاب الذى يستند إلى الفهم السليم لصحيح الدين، ومحاربة الفكر التكفيرى الذى تروج له التنظيمات الإرهابية.

السيدات والسادة،

إن التطورات المتلاحقة والأخطار التى تزيد إحداقاً بالمنطقة، أدت فى بعض الأحيان إلى ما يبدو وكأنه تراجع لأولوية القضية الفلسطينية، وهو امر لا يتعين الانسياق إليه. فهذه القضية العادلة ستظل تؤرق الضمير الإنسانى ما دامت بغير حل. ولم يسبق ان كانت هناك ظروف أكثر إلحاحاً من الآن لإنهاء تلك الازمة الأطول أمداً فى التاريخ الحديث خاصة مع استمرار إغلاق نوافذ الحل القائم على الدولتين طالما زادت وتيرة تآكل الأراضى التى يتطلع الشعب الفلسطينى لإقامة دولته المستقلة عليها وعاصمتها القدس الشرقية.

إن ضياع ذلك الحق المشروع للشعب الفلسطينى يتنافى بشكل صارخ مع الإصرار الدولى المتزايد على إعلاء مبادئ حقوق الإنسان، فضلاً عن انه يعطل الكثير من التصورات المستقبلية الرامية لنمو ورخاء المنطقة ككل ومن الفرص الواعدة لتعظيم عوائد التعاون بين دولها. وكما كانت مصر داعمة للشعب الفلسطينى على مر التاريخ، دون غرض خفى او تلاعب بقضيته وبمقدراته، فإنها سوف تظل داعمة لخياراته بذات القوة، طالما كانت حرة ومعبرة عن إرادته دون ضغوط تسعى لاستغلال محنته.

السيدات والسادة،

إذا كان دعم تطلعات الشعب الفلسطينى فى تأسيس دولته واجباً، فالواجب يملى علينا أيضاً مساعدة الشعب الليبى كى يستعيد دولته، ولكى تبسط مؤسساتها الوطنية سيطرتها على كامل أراضيها، حتى يشرع فى بناء المستقبل الذى يتطلع إليه بعد استعادة الاستقرار والأمن إلى ربوع ليبيا الشقيقة. ولا

منـــاص إذن من التخلص من الفوضى التى تغذيها الميليشيات المسلحة وتقتات منها على حساب مقدرات الشعب الليبى، الذى نتطلع جميعاً إلى دوره فى اســـتكمال بناء شبكة للتعاون والتكامل فى جنوب المتوســـط وفى الإطارين العربى والأفريقى. إن المشـــاركة المصريـــة الفعالة فى كل مســـاعى التوصل لحل سياسى للأزمة الليبية تسير على هدى المبادئ السابقة والتى تمثل معياراً حقيقياً لقياس مـــدى مصداقية أى جهد مبذول فى هذا الصدد.

ولا تختلـــف الرؤية المصرية فى تعاملها وفق نفس النهج مع باقـــى الأزمات التى تعرضت لها بعض الدول العربية الشقيقة، وذلك من حيث التأكيد على الالتزام بسيادة واســـتقلال وتكامـــل أراضى تلـــك الدول ووحدة ترابها الوطنـــى، ووقف التدخلات الخارجية التى تسعى للتأثير على إرادتها، والتوصل إلى تسوية سياسية لأية مشكلات إما طبقاً للقـــرارات الدولية ذات الصلة أو للرؤى الوطنية الداعمة للشرعية النابعة من الشعوب، وللمؤسسات الوطنية التى تحافظ على كيان الدولة.

وفى كافـــة تلك الأزمات دون اســـتثناء تنحاز الرؤية المصرية لمـــا يحقق مصالح الشعوب العربية الشقيقة ويضمن استقرار وأمن الدول، فكلاهمـــا يتكامل مع الآخر، لأن الأمن والاســـتقرار شرطـــان لتحقيق التنمية المســـتدامة التى تزدهر الشـــعوب بفضلهـــا. ومـــا من شـــك فى أن مثل تلك الأرضية هى التى تفتح آفاقـــاً لا متناهية للتعاون وللاستفادة من القدرات المجمعة، فى الأطر القارية والإقليمية، بهدف تحقيق وعود التكامل التى طالمـــا أطلقت دون أن يتحقق منهـــا إلا القليل. فى حين أن المنطقة العربية وامتداداتها الإقليمية تزخر بالموارد الطبيعية وبالقـــدرات البشرية المتمثلة فى شـــبابنا العربى التواق للنهوض واللحاق بالعالم المتقدم من حولنا.

الحضور الكريم،

لا يمكن الحديث عن الفرص والتحديات فى المنطقة العربية من وجهة النظر المصرية دون التطرق إلى العمق الذى تنبت منه جذور مصر فى أفريقيا، باعتبار أن مصر هى نقطة التلاقى وبؤرة التفاعل بين أفريقيا والمنطقة العربية.

لقد شهدت الســـنوات الخمس الماضية تنامياً مطرداً لـــلأواصر التى تربط مصر بقارتها الأفريقية، ولم تكن رئاســـة مصر الحاليـــة للاتحاد الأفريقـــى مجرد حدث دورى أو اعتيـــادى، بل إنهـــا تعبير عن استعادة مصر لدورها الريادى التاريخى فى القارة، وهو الدور الذى يكتسب اليوم أبعاداً جديدة فى تحركه الدؤوب والمستمر، من أجل تحقيـــق أهداف وبرامج عمـــل القارة على أصعدة الســـلام والأمن والتنمية المستدامة والدفاع عنها فى كل المحافل الدولية.

فلقد تبنت مصر خلال فترة رئاســـتها للاتحاد الأفريقـــى عدداً مـــن الأولويات على راســـها تعزيز التنميـــة الاقتصادية والاجتماعية، وتحقيق التكامل الاقتصادى والاندماج الإقليمـــى، وتطوير آليات تعزيز الســـلم والأمن وإعادة الإعمـــار والتنمية لمرحلة ما بعد النزاعات، والإصلاح المؤسسى والمالى للاتحاد، وتعزيـــز الروابط الثقافية والحضارية بين الشـــعوب الأفريقية، وذلك فى إطـــار حرص مصر والـــدول الأفريقية الشقيقة على ترسيخ مبدأ « الحلول الإفريقية للمشاكل الإفريقية». وتعزيزاً لهذا التوجه، فقد تم تدشـــين آلية جديدة مقرها القاهرة هى « مركز الاتحاد الإفريقى لإعادة الإعمار والتنميـــة ما بعد النزاعـــات»، للتركيز على إعادة بناء الدول فى مرحلة ما بعد النزاعات.

وارتباطاً بمبدأ الملكية والقيادة الوطنية، فإن دول القارة على وعى تام بأهمية تطوير شراكات حقيقية وفعالة للتصدى للتحديات السياســـية والاقتصادية التـــى تواجهها، وللحصول عـــلى المعرفـــة والتكنولوجيا، وتطوير المـــوارد البشرية الإفريقية، وتوفير التمويـــل والدعم الســـياسى، وهى عناصر أساســـية لتحقيق اجندة الاتحاد الأفريقى التنموية لعام 2063.

وفى ســـياق تعزيز وتنويع مستويات التفاعل الأفريقى وبين أفريقيا وشركائها، فلعلكم تابعتم الـــدورة الأولى من « منتدى أسوان للســـلام والتنمية المستدامين» يومى 11 و 12 ديســـمبر والذى عقـــد برعاية وحضور السيد رئيس الجمهورية فى مدينة أسوان وبحضور متميز من عدد من القادة الأفارقة والشركاء الدوليـــين. لقد بادرت مصر بصياغـــة وإطلاق المنتـــدى بجهود وأفكار مصريـــة وأفريقية خالصة، ليكون معبراً عـــن ملكية أبناء القـــارة لمصيرهم ومجسداً لريادتهم، مع تقديم نموذج مثمر للحوار بين الفاعلـــين الدوليين والإقليميين من القادة السياسيين والمؤسسات التمويلية والمجتمـــع المدنى والقطـــاع الخاص، بما يســـهم فى وضع المبادرات والآليات الدولية والإقليمية الخاصة بالقارة الأفريقية موضع التنفيذ.

السيدات والسادة،

ســـعت مصر على مدار عقود إلى تعزيز وتعميق أواصر التعاون مع أشـــقائها من دول حوض النيل التى ترتبط معها بعلاقات أزلية. ولطالما اقترن تأكيد مصر على تحقيق التنمية فى دول حوض النيل بتقديم أشكال متعددة من الدعم المادى والفنى لمشروعاتها إيماناً بوحدة المصير وتفعيلاً لمبادئ التعاون والأخوة، ســـواء من خلال المبادرة المصرية لتنمية دول حوض النيل أو الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنميـــة التابعة لوزارة الخارجية، خاصة فى مجالات الطاقة والرى والصحة والزراعة، مع الاهتمام بنقل أحدث الخبرات فى مختلف المجالات، وبناء القدرات الأفريقية إسهاماً فى رفع معدلات التنمية.

وفى هذا الإطار، لطالما أبدت مصر أيضاً انفتاحاً وتفهماً للتطلعات التنموية للشعب الإثيوبى الشـــقيق، إنها أنها فى نفس الوقت أكدت على أن تحقيـــق تلك التطلعات يجب أن يتـــم فى إطار متوازن حيث إن نهر النيل الأزرق بامتداده من الهضبة الإثيوبية نحو مصر يعـــد بمثابة شريان تعـــاون وتنمية ورباط وحدة وإخاء، ومـــن ثم، فلا يصح أن يكون مصدراً لأية مشـــكلات أو تناحر. فمساحة التعاون المشترك فى هذا الإطار من المفترض أن تطغى على الخلافات، وإذا كان لإثيوبيا الحق فى التنميـــة، فإن مياه النيل بالنسبة لمصر مســـألة حياة وقضية وجود. ويحدونا الأمل فى ان سلســـلة الاجتماعات التى دعـــت إليها الولايـــات المتحدة مصر والسودان وأثيوبيا، بمشاركة البنك الدولى، سوف تصل إلى غايتها من حيث الاتفاق على قواعد منظمة لملء وتشغيل السد الإثيوبى، بما يحقق استفادة إثيوبيا من استثماراتها، إنما دون أن تجور على حقوق مصر كدولة مصب لنهر النيل، الذى تعتمد عليه فى توفير الاحتياجـــات المائية لحـــوالى 100 مليون نسمة.

الحضور الكريم،

لا شك فى أن تعاظم الفرص يقترن عادة بتحديات كبيرة، وتتطلب الاستفادة من مثل هذه الفرص إرادة قوية لا تلين فى مواجهة العقبات، لكنها لا تستهين أيضاً بالمصاعب وتعمل عـــلى تخطيها بحكمة وعزيمة، وكل ذلك فى سباق مع الزمن لتحقيق الإنجازات. تلك هى الروح التـــى تتحلى مصر بها على مختلف الأصعدة داخلياً وخارجياً، والتى لا غنى عنها فى مواجهة أية محاولات لإحباط جهودها الرامية إلى إنجاز اهداف شعبها فى المقام الأول، وإلى تأمين مطالبها الأساسية وفى مقدمتها الســـلام والاستقرار والعيش الآمن الكريم والتنمية.

وإننى لعـــلى ثقة فى أن المجلس المصرى للشئون الخارجية، كواحد من مراكز الفكر المصرية التى تضم خبرات متميزة، ســـوف يولى اهتمامـــاً خاصاً فى المرحلـــة القادمة لتكثيـــف دوره وتفعيـــل أدواته لعرض رؤى مصر فى المحافل التـــى يتواجد فيها، ولتوضيح أســـس مواقفها فى اتصالاته مع المراكـــز المماثلة فى مختلف الـــدول، ولقد كان المجلس ســـباقاً فى التقـــدم بمبادرات فى مناســـبات ومحطات هامة تعاون فيها بشـــكل مثمر مع وزارة الخارجية، ويقينى أن الوزارة وكافة المؤسسات المعنية بالأمن القومى المصرى والعربى يمكنها الاستفادة كثيراً إذا ما اعتمدت على دراســـات يعدها باحثو المجلس فيما يخص مختلف القضايا الإقليمية، واقترح فى هذا الســـياق الترتيب لعقد اجتماعـــات دورية بين المســـئولين فى الـــوزارة ووزارة بين أعضـــاء المجلس للتعريـــف أولاً بأول بالقضايا ذات الأولوية وتبادل التقديرات بشأنها حرصاً على تنظيم التعاون فيما بيننا لمـــا فيه خير ومصلحة الوطن.

واسمحوا لى فى الختام أن أعرب مجدداً عن تقديرى البالغ للدعوة الكريمة، ولإتاحة الفرصة لى لتهنئتكم بمناسبة مرور عشرين عاماً على إنشـــاء المجلس، متمنياً لكم دوام التوفيق والنجاح.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المؤتمر السنوى للمجلس المصرى للشئون الخارجية 2019

«أمن الشرق الأوسط... الفرص والتحديات»

على مدى يومَى 23 و24 ديسمبر 2019، عقد المجلس المصرى للشئون الخارجية مؤتمره السنوى تحت شعار «أمن الشرق الأوسط.. الفرص والتحديات»، حضرته وشاركت فى أعماله نخبة متميزة من الأكاديميين والسفراء والباحثين والمهتمين بقضايا المنطقة والعالم، وافتتح أعمال المؤتمر معالى السيد وزير الخارجية سامح شكرى، بكلمة تناول فيها الأهداف الإستراتيجية فى برنامج عمل الحكومة لحماية الأمن القومى وسياسة مصر الخارجية اتساقاً مع التكليف الرئاسى بالانتقال من مرحلة تثبيت الدولة إلى مرحلة جنى الثمار .

وذلك انطلاقاً من كون مصر قوة إقليمية تعمل لتحقيق المصالح المشتركة للإقليم أو القارة وتدافع عنها وفقاً لمبادئ القانون الدولى والأطر متعددة الأطراف، بما يعزز التعاون بين الدول فى إطار من المساواة والاحترام المتبادل وتحقيق المصالح المشتركة، والتمسك بدور الدولة الوطنية ومؤسساتها كضامن لتحقيق أهداف الإصلاح والتنمية وفق رؤية وإرادة الشعوب وليس تبعاً لأولويات ومصالح أطراف خارجية.

وإلى جانب جلستَيْه الافتتاحية والختامية، عقد المؤتمر أربع جلسات تناول كلٌ منها محوراً؛ ركَّز الأول منها على المحددات الداخلية لأمن الشرق الأوسط، وتناول الثانى الجوانب الاقتصادية والسياسية والقانونية لغاز شرق المتوسط، فيما ركَّز المحور الثالث على الرؤى الإقليمية لأمن الشرق الأوسط، وأخيراً، تناول المحور الرابع الرؤى الدولية لأمن المنطقة.

تناولت الجلسة الأولى المحددات الداخلية لأمن الشرق الأوسط، وفى هذا الصدد كشفت أوراق ومداخلات المتحدثين عن حقيقة أن المحددات الداخلية للأمن فى دول المنطقة، مثل التطور الديموجرافى ونوعية التعليم وتراجع معدلات التنمية البشرية والتنافسية، بما فى ذلك البحث العلمى والتكنولوجى وتمكين المرأة والعمالة المنتجة وغيرها، هى كلها تحديات خطيرة للأمن القومى لهذه الدول، أكبر بكثير من التحديات الخارجية أو مصادر التهديد الخارجى.

سفير د. عزت سعد

saad.ezzat@gmail.com

وفى هذا السياق، تمت الإشارة إلى أنه فى الوقت الذى يتجه فيه معدل النمو السكانى إلى الانخفاض عالمياً وإقليمياً، يتجه المعدل إلى الزيادة فى مصر بنسبة 56٪ فى الفترة من 1990 - 2050، وكذا تركيا وإيران وإن كان بنسب أقل 15٪ و23٪ على الترتيب، وهى زيادة لم تقترن بارتفاع مماثل فى مؤشرات التنافسية وجودة التعليم أو انخفاض فى معدلات اللامساواة والبطالة، وبالتالى فقد تم التنويه إلى ضرورة الحذر من عدم تدارك تلك الأخطار مستقبلاً مع الزيادة السكانية والتى لامفر منها، فإذا ما أرادت مصر تحقيق ريادة إقليمية، فهذا الأمر لن يتحقق إلا بتحسين جودة التعليم التى سيكون لها مردود إيجابى فى زيادة الإنتاجية، وكذا العمل على تمكين المرأة وهو ما سيؤدى لزيادة الناتج المحلى.

وفى هذا السياق، خلص النقاش إلى مدى التباين الشديد فى هذه المؤشرات فيما بين دول المنطقة، ومن ثَمَّ مدى التنافس بين هؤلاء الفاعلين حول تحقيق مصالحهم المختلفة فى المنطقة، وإذا عُدَّ التباين والتنافس مؤشراً إيجابياً فى حد ذاته للتطوير، إلا أن عدم توافق دول المنطقة واختلاف توجهاتها وإستراتيجياتها تحول دون تحقيق التطوير المتكامل والمتكافئ فيما بين دول الإقليم، وهو ما يشكل فى مجمله عائقاً أمام عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية لشعوب المنطقة.

وحول التطور العلمى والتكنولوجى وارتباط ذلك بأمن الشرق الأوسط، تم التأكيد على الارتباط الوثيق بين منظومة البحث العلمى ومنظومة التعليم، وهو الأمر الذى يمكن استخلاصه من كافة مؤشرات التطور فى هذا المجال والذى تعده المراكز البحثية والجامعات على المستوى العالمى، كما تم التنويه خلال الجلسة إلى أن كافة حكومات الدول المتقدمة تعمل على ربط نظام التعليم وبناء القدرات والبحث العلمى بالاحتياجات المجتمعية والتنموية مع ربط هذه المنظومات لتحقق متطلبات محددة كتخريج موارد بشرية ذات تخصصات فنية ومهنية معينة، أو إنشاء صناعات أساسية باستخدام الموارد المحلية والخدمات الداعمة للتنمية وتحقيق الربط بين التعليم العالى وقطاع الصناعة من خلال تفعيل الشراكة بين الدولة والقطاع الخاص فى دعم وتحفيز الابتكار.

وقد أُشِيرَ فى هذا السياق إلى أن التطور العلمى والتكنولوجى فى إسرائيل

يأخذ منحىً متطوراً للغاية، لاسيَّما وأنها تتلقى دعماً أمريكياً وغربياً غير محدود فى هذا المجال وغيره من المجالات، فيما لاتزال باقى دول المنطقة تعانى من التخلف فى هذا المجال المهم الذى من المقدر له أن يرسم ملامح السياسات الدولية فى المستقبل القريب، وأنه رغم التنامى الديموجرافى العربى، إلا أنه لم يقابله تنامٍ مماثل فى الأداء التكنولوجى والاقتصادى.

وخلص المؤتمر حول هذه النقطة إلى ضرورة الربط بين التعليم والبحث العلمى والاقتصاد باعتبار أن ذلك يمثل الرؤية التى تستند إليها التنمية الشاملة لأية دولة، فتحويل منظومة البحوث إلى منتجات اقتصادية يلزمه بناء رأس مال بشرى مسئول عن تحقيق إرادة التجديد والابتكار وضرورة العمل على إزالة الفجوة بين البحث العلمى والتطبيق وأن يتم العمل على تحقيق التنسيق الكامل بين مؤسسات البحث العلمى وقطاعات الدولة المختلفة بما يحقق الجهود ويدعم الأداء الاقتصادى والإنجاز لخطط التنمية المستدامة عبر بناء الشراكات الإستراتيجية بين مؤسسات البحث العلمى والأطراف ذات العلاقة، بالإضافة لتعزيز القيم الوطنية المشتركة بما يزيد من أواصر الانتماء والمواطنة لتصبح الجامعات المصرية مؤسسات طموحة رائدة فى تقديم الخدمات الاقتصادية والاجتماعية، فضلاً عن صياغة الدول المتقدمة للسياسات والإستراتيجيات والخطط العلمية والتكنولوجيا الفاعلة يتم خلالها تسخير وتوجيه جميع الإمكانيات العلمية والمعرفية والتكنولوجية لتحقيق الأهداف والأولويات القومية للتنمية.

وتناول المحور الثالث المتعلق بالتطور الاقتصادى فى دول المنطقة، العلاقة المتبادلة بين التطور الاقتصادى والاستقرار الأمنى حيث يمثل كلاهما مطلباً مسبقاً للآخر. وفى هذا السياق، تمت الإشارة إلى (12) مؤشراً للتطور الاقتصادى فى دول المنطقة تتمثل فى قدرة الدولة على زيادة إنتاجها من السلع والخدمات (معدلات النمو فى الناتج

المحلي)، الأداء الاقتصادى للدولة (نصيب الفرد من الناتج المحلى ومن الدخل حسب القوة الشرائية)، استخدام القوة العاملة (معدل البطالة)، مؤشر التنمية البشرية، التغير فى الأسعار (معدل التضخم)، قدرة الحكومة على تلبية احتياجاتها التمويلية (نسبة رصيد الموازنة العامة للناتج)، وقدرة الحكومة على الوفاء بالتزاماتها المستقبلية (نسبة الدين العام إلى الناتج)، التزام الدولة تجاه غير المقيمين (نسبة الدين الخارجى إلى الناتج)، قدرة الدولة على المنافسة فى أسواق السلع والخدمات (نسبة الحساب الجارى إلى الناتج)، القدرة الحقيقية للدولة على الإنتاج (الميزان التجارى بالمليار دولار أمريكي)، قوة ميزان المدفوعات (الاحتياطيات الدولية)، والقدرة التنافسية للدولة (مؤشر التنافسية). وفى هذا الصدد، تم التأكيد على أنه بالرغم من المراكز المتقدمة لبعض دول المنطقة فيما يتعلق بمؤشر التنمية البشرية ومؤشر التنافسية العالمية، إلا أن المنطقة تعانى من معدل نمو متواضع ومتجه إلى الانخفاض فى معظم الدول ومستوى معيشة متقلب ومنخفض خلال عام 2018 بالمقارنة بعام 2013، وتقلب معدلات البطالة واتجاهها للارتفاع عامى 2017 و2018، وعجز فى موازناتها العامة عامى 2016 و2017، وارتفاع نسبة الدين العام للناتج المحلى فى سبع دول بما يفوق نسبة 60٪ واتجاه نسبة الدين الخارجى للناتج المحلى إلى الارتفاع

المؤتمر السنوى للمجلس المصرى للشئون الخارجية 2019

بدرجة كبيرة عامى 2016 و2017 عدا الجزائر واليمن، وعجز مزمن فى موازين التجارة عدا الدول النفطية.

كذلك تم إلقاء الضوء على القوة الاقتصادية للمنطقة مقارنة بالمناطق الأخرى فى العالم خاصة وأن المنطقة تمتلك عناصر اقتصادية مهمة تتمثل في: الموارد الطبيعية وحجم المخزون منها، الموارد البشرية التى تمتلكها، السياسات التى تتبعها لتحقيق أقصى درجة استغلال لكافة مواردها برشادة وكفاءة عالية. هذا فضلاً عن حتمية تكامل المنطقة لتحقيق الرفاهية المشتركة والاستقرار الأمنى من خلال التنسيق والتعاون.

* تناولت الجلسة الثانية الجوانب الاقتصادية والسياسية والقانونية لغاز شرق المتوسط، وكيف أن هذا الملف الشائك فرض نفسه بقوة على الساحة الشرق أوسطية مؤخراً، لاسيَّما فى ظل الاستفزازات والمضايقات التركية مؤخراً بشأن أحقية دول المنطقة الأخرى فى ممارسة حقوقها فى التنقيب عن واستخراج الغاز فى إطار ترسيم حدودها البحرية فى منطقة شرق المتوسط. وفى هذا السياق، ألقى المتحدثون الضوء على مصر كإحدى الدول المهمة على خريطة الغاز والطاقة، ما يؤهلها إلى التحول إلى مركز إقليمى للطاقة، وذلك بموجب الإمكانات البترولية والاكتشافات الغازية الأخيرة، خاصة فى منطقة شرق المتوسط، والتى نقلت البلاد من مستورد صافى إلى مستوى الكفاية الذاتية والبدء فى التصدير.

وفى هذا السياق، تناول المحور المفاهيم والضوابط القانونية الحاكمة لاستغلال ثروات البحار والتداعيات السياسية والقانونية للتوقيع على مذكرة التفاهم بين نظام أردوغان وحكومة فايز السراج، رئيس المجلس الانتقالى فى ليبيا والأسباب الموضوعية وراء بطلانها، بما فى ذلك انتهاكها لأحكام قانون البحار على النحو الذى قننته اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار 1982، كذلك تم تفنيد الادعاءات والمزاعم التركية على اتفاقية تعيين الحدود البحرية بين مصر وقبرص. كما تم التأكيد على ضرورة قيام مصر بقيادة جهود للدول الأخرى الأعضاء فى منتدى غاز شرق المتوسط، الذى أُعلِنَ عن قيامه بالقاهرة فى يناير 2019، لترسيخ تعاونها من أجل استغلال وتقاسم ثمار ثروات منطقة شرق المتوسط فى مجال الطاقة على قاعدة المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة، بحيث يتحول المنتدى إلى منظمة دولية تحكمها قواعد قانونية دولية مُلزمة لأعضائها.

وفى سياق متصل، طالب المشاركون بضرورة العمل على تنويع مصادر الطاقة فى مصر وتحقيق التوازن بين استخدامها، فضلاً عن ترشيد استهلاكها وتعظيم كفاءتها، لاسيَّما وأن الاستثمار فى مجال الطاقة فى مصر يتسم بمناخ متميز وجاذب، فى ظل التشريعات المستقرة التى أثبتت كفاءتها طوال السنوات السابقة.

* وتناولت الجلسة الثالثة الرؤى الإقليمية لأمن منطقة الشرق الأوسط، حيث أشير إلى أنها منطقة غاية فى الأهمية بما تتضمنه من مزايا إستراتيجية مهمة. إذ بها أهم الممرات المائية الدولية فى العالم، وتمتلك أكبر احتياطى بترول

وغاز عالمياً، وفى هذا السياق تم التركيز على الدول الإقليمية غير العربية وتحديداً الرؤى الإسرائيليـــة والإيرانية والتركية لأمن المنطقة، وذلك استناداً للدور الكبير الـــذى تلعبه هذه القـــوى فى مجريات الأحداث فى منطقة الشرق الأوســـط، ما يُمثل تحدياً لأمن المنطقة واســـتقرارها وعاملاً رئيســـياً فى الفوضى التى تضر بها، وتم التأكيد عـــلى أن التصدع الذى أصاب النظام العربى هـــو ما أدى إلى تعاظـــم النفوذ الإقليمـــى لهذه الدول. واتفق المتحدثون على خطورة سياسات وإســـتراتيجيات دول الجـــوار العربى على الاستقرار والأمن فى المنطقة. وربط المتحدثـــون بين تدخلات هـــذه الدول ووكلائها من الفاعلـــين من غير الدول، لاســـيَّما حزب الله والحوثيين بالنسبة لإيران، وحماس والإخوان بالنسبة لتركيا وقطر. وقد أوضح المشـــاركون أن أغلب الدول العربية فى حالة ســـيولة وفوضى شديدة، جعلتها غير قادرة على التحكم فى مقدراتها.

كما تطرقت الجلســـة أيضاً إلى رؤى الدول العربية لأمن المنطقة، إذ أوضحت أن المخاطر التى تواجه المنطقة العربية جسيمة ومتعددة الأوجه ولا يوجد توافق حول ماهية وأولويـــات هذه المخاطر، فى الوقت الذى لا تجمـــع الأمة العربية شبكة أمان واحدة قادرة على مواجهتها، فالبعـــض لا تعنيه كثـــيراً وجود مثل هذه الشـــبكة ويظن أنه بمأمن من تلك المخاطـــر، غير مدرك أنـــه إن لم تصبه مباشرة فسوف يأتيه الضرر بصورة غير مباشرة. وأكد المشاركون ضرورة تفعيل اتفاقية الدفاع المشـــتركة العربية والتى جُمِّدت منذ إقرارها عـــام 1950، كما أن جهود إقامة القوة العربية المشـــتركة والتى قادتها مصر عام 2015 لم تثمر عن ميلاد قوة مشـــتركة بســـبب طلب بعض دول الجامعـــة المزيد من الوقت للدراسة.

وفيما يتعلـــق بالرؤية المصرية لأمن المنطقة، فتم تناولها عبر تحليل شقين، الأول: رؤيـــة مصر لمصـــادر التهديد، والثاني: رؤيـــة مصرية لآليات الحركة. فمصـــادر التهديد متمثلـــة فى إسرائيل

وحركة حماس وتدهور الأوضاع فى ليبيا والتخوف الجنوبى من استمرار السياسة الســـابقة للرئيس الســـودانى السابق عمر البشـــير تجاه مصر والتى اتسمت بالضبابية، وأيضاً الموقف الإثيوبى فيما يتعلق بمشروع سد النهضة وتداعياته السلبية على مصر، إضافة للتخوف من الجنوب الشرقى متمثلاً فى اليمن والتأثير على مضيق باب المندب وحركة الملاحة، إضافة لبؤر التوتر فى شرق المتوســـط. وتم الاســـتناد فى هذا المحور إلى تحليل خطابات الرئيس عبدالفتاح السيسى فى القمم العربية الأخـــيرة وتأكيد القيادة المصرية على أن أحـــد أهم المخاطر التى تواجه الدولة المصريـــة يتمثل فى تهديد كيان الدولة من قِبَل الجماعات الإرهابية، والتخوف الثانى هو المخاطر الناشئة عن سياســـات دول المحيط الإقليمى للنظام العربى.

وفيما يتعلق بآليات الحركة المصرية الممكنـــة لمجابهة تلـــك التحديات، تم التأكيد على ضرورة أن يكون لمصر دور واضح فى هـــذا الاتجاه، إلى جانب تثمين مبادئ السياسة الخارجية المصرية من حيث عدم التدخل فى الشـــئون الداخلية للدول الأخرى، والحفاظ على ســـيادتها الإقليميـــة، وعدم التحيـــز لطرفٍ على حســـاب آخر بما يضر بالأمن القومى للدول الأخرى، وحل المشكلات بالوسائل الســـلمية، فى إطار الأمم المتحدة، كما تم التأكيد على أهمية المضى قدماً فى تفعيل وتنشيط الدور المصرى عربياً وإفريقياً،

وارتباط هذا الدور بشدة بعملية التعافى الاقتصادى واستكمال برنامج الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى المصرى. مع ضرورة التوصل لحل عادل وشامل للقضية الفلسطينية.

كذلك تم التأكيد على اتخاذ مبادرات تسعى إلى لمّ شمل الدول العربية فى إطار جامعة الدول العربية، بجذب الأشقاء الأفارقة لدعم قضايا ورؤى ومواقف الدول العربية من القضايا المختلفة، لاسيَّما وأن هذا الدعم قد تراجع فى الفترة الأخيرة. كما يجب أيضاً تفعيل دور الرباعية العربية وتوسيعها للخروج بجهودٍ بناءة تُسهم فى حل أزمات المنطقة التى تلتهب يوماً بعد يوم، والسعى إلى إعادة الاستقرار وتدعيم الأمن القومى العربى بقدر الإمكان. وفى هذا السياق، طُرِحَت فكرة صياغة إستراتيجية عربية شاملة للأمن القومى العربى.

* تناولت الجلسة الرابعة والأخيرة من جلسات المؤتمر، الرؤى الدولية لأمن المنطقة، من خلال التعرض للإستراتيجية الأمريكية لأمن الشرق الأوسط فى ظل الإدارة الأمريكية الحالية، وموقفها فى الكثير من القضايا العربية بشكل عام والقضية الفلسطينية بشكل خاص، والحديث عمَا إذا كان بالإمكان القول بأن هناك انسحاباً أمريكياً من المنطقة وتأثيراته على أمنها واستقرارها. وفى هذا السياق، تمت الإشارة إلى الثوابت والمتغيرات فى السياسة الخارجية الأمريكية فى عهد الإدارة الحالية، والتأكيد على أهمية التواصل والتفاعل مع الجانب الأمريكى، بما فى ذلك مراكز الفكر والبحث المماثلة من أجل شرح حقيقة المواقف المصرية من القضايا المختلفة.

كذلك تم تناول رؤية القوى الكبرى الأخرى لأمن المنطقة بالتركيز على كلٍ من الرؤيتين الصينية والروسية وتعاظم الدور الصينى فى الشرق الأوسط، وفى هذا الصدد، تم التأكيد على أهمية المضى قدماً فى تعزيز علاقات التعاون الاقتصادى والمبادلات التجارية وأوجه التعاون الأخرى بين مصر وكل من روسيا والصين، خاصة فى ظل تشابه مبادئ السياسة الخارجية لكلٍ منهما مع السياسة الخارجية المصرية، من حيث عدم التدخل فى الشئون الداخلية والتسوية السلمية للمنازعات الدولية واحترام كل طرف لقيم وتقاليد الآخر ونموذجه الخاص للتنمية... إلخ. وفيما يتعلق بالاتحاد الأوروبى، فقد تمت الإشارة إلى أنه رغم الأهمية الإستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط بالنسبة للاتحاد، إلا أنه غير قادر على الانخراط بفاعلية من أجل تحقيق الاستقرار والأمن فيها، مركزاً جلّ جهوده على منع الهجرة غير الشرعية وتأمين حدود الاتحاد. وفى هذا السياق، تمت الإشارة إلى الانقسامات الداخلية فى الاتحاد وتباين مواقف أعضائه حول قضايا عديدة، منها كيفية التعامل مع روسيا، وخروج بريطانيا من الاتحاد، وانعكاسات كل ذلك على فعالية الدور الأوروبى فى المنطقة. وقد انتقد المؤتمر الموقف شديد السلبية للاتحاد إزاء الممارسات الاستفزازية لتركيا فى شرق المتوسط وانتهاكها لقواعد وأحكام القانون الدولى واتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام 1982 ارتباطاً بمذكرة التفاهم التى وقعها نظام أردوغان مع فايز السراج.

وفى ختام الجلسة، تم التطرق للأجندة الدولية تجاه مكافحة الإرهاب فى المنطقة لما له من تأثير خطير وكبير على أمن منطقة الشرق الأوسط، وتنمية دولها. وفى هذا السياق، أكد المؤتمر على الحاجة إلى تعزيز الجهد الجماعى من أجل مكافحة الإرهاب، خاصةً مع تنامى هذه الظاهرة وتفشيها بسبب المقاربة الانتقائية للدول الغربية فى هذا الشأن بالاكتفاء بمواجهة داعش والقاعدة وترك الإخوان المسلمين طلقاء، وقيام بعض الدول بدعم الإسلام السياسى بدعوى حماية الديمقراطية وحقوق الإنسان. كذلك تمت الإشارة إلى أن مسألة وضع تعريف محدد للإرهاب لاتزال محل جدل وأن بعض الدول الغربية لاتزال تروج للعديد من المصطلحات المضللة بهدف السعى إلى إضفاء الشرعية على بعضها، وأن المقاربة الغربية لاتزال تتسم بازدواجية المعايير. وقد أدان المؤتمر استمرار بعض الدول من الإقليم فى إيواء العناصر الإرهابية والسماح لها بالنفاذ إلى المنصات الإعلامية لنشر الفكر المتطرف والتحريض على الإرهاب، وهو ما يشكل خرقاً فاضحاً للقرارات ذات الصلة الصادرة عن الأمم المتحدة، وأن بعض الدول لاتزال تعلى المصالح السياسية على مكافحة الإرهاب، الأمر الذى تعكسه الأوضاع فى كلٍ من سوريا وليبيا حيث تنشط المنظمات الإرهابية. وخلص المؤتمر فى هذا الشأن إلى التأكيد على ضرورة تبنى مقاربة شاملة لمكافحة الإرهاب تتجاوز الجوانب الأمنية لتشمل الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والتنموية.

قراءة فى مستقبل العلاقات بين مصر وتركيا

كتبت هذا الجزء الأخير الذى يضم ذكرياتى وأفكارى خلال فترة عملى سفيراً لدى تركيا، فى يوليو من العام الماضى، وأنا مقدم خلال أيام على الوصول لسن الستين وهو عمر التقاعد فى الخارجية المصرية لكى يتاح لشباب الدبلوماسيين تسلم الراية وخدمة العلم. ومع التقاعد تتاح لى حرية أكبر فى نشر آرائى وأفكارى حول سياسة مصر الخارجية وخاصة إزاء القضايا الحيوية والتى أعتقد أن العلاقات مع تركيا والتعاون أو التنافس الإقليمى معها من بين تلك القضايا التى تهم بلادنا.

واليوم أنشر هذه السطور تماماً كما كتبتها منذ عام ونصف وتضمنها الفصل الأخير من الكتاب دون أى حذف أو إضافة لأننى أرجو أن تكون أعداد مجلتنا «الدبلوماسى خلال عام 2019 (من يناير إلى ديسمبر) متضمنة لنص الكتاب ماعدا الوثائق والحوارات التى تضمنتها الملاحق، بحيث يمكن لمن لم يقرأ الكتاب المطبوع أن يقرأ مضمونه على موقع المجلة على الإنترنت والذى شهد شكل ومضمون المجلة تطوراً وتقدماً كبيراً خلال تولى زميلى وصديقى السيد السفير رضا الطايفى رئاسة التحرير. وأعد القراء أن أحاول فى مقالات تالية فى عام 2020 بإذن الله التعرض للسياسة الخارجية التركية وما تثيره من مشاكل إقليمية ودولية فى الوقت الراهن بالتحليل وأن أعرض ما أراه من توصيات للسياسة المصرية للتعامل معها.

«أعتقد أن مصر فى عهد الرئيس السيسى احتفظت بحد أدنى من العلاقات مع تركيا ولم تمس الجوانب غير السياسية أو العسكرية للعلاقة. فقد تم تخفيض مستوى العلاقات الدبلوماسية إلى مستوى القائم بالأعمال منذ مغادرتى لأنقرة وكذلك تم إيقاف رحلات الخط البحرى لنقل الشاحنات بين البلدين RO -RO لأسباب أمنية مفهومة، نظراً لأن الأتراك يساعدون الإخوان المسلمين على زعزعة الاستقرار فى مصر فكيف يمكن استمرار السماح للشاحنات التركية وسائقيها الأتراك

سفير عبد الرحمن صلاح

Abdelrahman_salah@yahoo.com

الانتقال بحرية بطول البلاد من الإسكندرية ودمياط إلى سواحل البحر الأحمر. وكذلك تم وقف المناورات البحرية المشتركة ووقف شراء معدات عسكرية من تركيا وتم إغلاق المركز الثقافى فى القاهرة وفرض قيود على سفر المصريين وخاصة من الشباب إلى تركيا عن طريق اشتراط حصولهم على موافقة أمنية.

ومع ذلك بقى حجم التبادل التجارى بين البلدين عام 2017 عند مستوى أربعة ونصف مليار دولار منها اثنان ونصف مليار دولار قيمة صادرات تركيا لمصر وهو ما يمثل انخفاضاً بنسبة حوالى 10٪ فقط مما وصل إليه الميزان التجارى بين البلدين عام 2012. واستمرت المصانع التركية العاملة فى مصر فى الإنتاج بل وفى التوسع ولم يتم التضييق عليها. وبدأ عدد السائحين الأتراك فى التزايد بعد أن كان قد انخفض للنصف عام2013 فأصبح يرتفع الآن بنسبة 25٪ سنوياً ليصل عام 2017 إلى 40 ألف سائح.

وقد حرص الرئيس السيسى وكل معاونيه طوال السنوات الخمس الماضية على الامتناع عن التعرض لتركيا بشكل سلبى إعلامياً وترك الباب مفتوحاً أمام أردوغان لمراجعة سياساته، وامتنع أردوغان من جانبه عن التعريض السلبى بمصر إعلامياً من بعد محاولة الانقلاب العسكرى الفاشلة عام 2016، والتى تزامنت أيضاً مع اتضاح فشل سياساته الإقليمية كما سبق إيضاحه وتناقص رصيده لدى الولايات المتحدة والعالم الغربى.

وانطلق أردوغان فى العامين الماضيين فى اتخاذ إجراءات عنيفة لإلقاء القبض على عشرات الآلاف من معارضيه وخاصة من أتباع حركة جولن وإغلاق كل مؤسساتهم العلمية والتعليمية وفصل مئات الألوف من أتباعهم من مناصبهم فى القضاء والتعليم والحكومة والجيش والشرطة ووضع غالبيتهم تحت المراقبة الدائمة. وكان يبرر تلك الإجراءات التى اتخذها كلها بمقتضى السلطات المخولة له وفق قانون الطوارئ الذى تم تفعيله وتشديده عام 2016 بعد محاولة الانقلاب. والطريف أن تلك الإجراءات كانت مماثلة بل ومطابقة لنفس الإجراءات التى اتخذتها الحكومة المصرية ضد الإخوان المسلمين فى أعقاب الإطاحة بهم فى 30 يونيو ولجوئهم لاستخدام العنف والإرهاب. وكان أردوغان ينتقد مصر ويحاول التشهير بها دولياً لاتخاذ نفس نوع

الإجراءات التى يتخذها هو على نطاق أوسع الآن ضد حركة جولن.

وبرر أردوغان لمؤيديه وأعضاء حزبه تلك الإجراءات وتحالفه مع حزب الحركة القومية ضد الأكراد واحتلاله أجزاء من شمالى العراق وسوريا بأنها كلها حرب ضد الإرهاب سواء كان مصدره أعضاء حركة جولن أو الأكراد. وقد ذكر لى بعض أساتذة العلوم السياسية الأتراك الذين مازالوا على اتصال بى أنهم يعتقدون أن أردوغان يستخدم تلك الإجراءات كلها بالإضافة إلى اتهامه الغرب بمحاولة هدم الاقتصاد التركى بسبب انهيار قيمة العملة التركية من أجل الحفاظ على تماسك الكتلة التصويتية المؤيدة له لكى يعاد انتخابه رئيساً للجمهورية، ويتم تحويل النظام الجمهورى إلى نظام رئاسى يعطيه سلطات مطلقة تدعمها أغلبية برلمانية يحصل عليها الائتلاف بين حزبه وحزب الحركة القومية، وهو ما حدث فعلاً فى انتخابات نهاية يونيو 2018.

وتوقع هؤلاء المحللون أن أردوغان سوف يراجع بعد تلك الانتخابات العديد من سياساته المحلية والإقليمية والدولية ومن بينها علاقته مع مصر، وتحالفه مع منظمات الإسلام السياسى العربى وعلى رأسها الإخوان المسلمين، بعد أن ثبت فشلها فى الحكم وفى المواجهة السياسية التى خسرت فيها التأييد الشعبى وخاصة فى مصر.

وبدأ بعض العقلاء وعلى رأسهم صديقى العزيز أرشد هورموزلو الذى يعرف الجميع أنه يعبر أيضاً عن آراء الرئيس السابق جول فى طرح أفكار فى مقالات علنية تشير إلى أن تركيا ما بعد الانتخابات يجب أن تعود إلى سياسة ما قبل عام 2011 من عدم التدخل فى شئون الدول المجاورة والتخلى عما يسمى بالعثمانية الجديدة، وقبول الاختلاف وبناء الجسور، وكلها كانت مصادر القوة والإعجاب التى تمتعت بها تركيا فى العالمين الغربى والعربى.

ويدعم بعض الأكاديميين الأتراك ذلك التوجه عن طريق الإشارة إلى الخسارة الإقليمية والدولية التى لحقت بتركيا بسبب تغليب الاعتبارات السياسية المحلية، والحفاظ على تماسك الكتلة التصويتية الإسلامية على الاعتبارات الإستراتيجية، ويدللون على ذلك بتحول مواقف دول الخليج من تركيا بعد وقوفها بجانب قطر واتجاه مصر لعقد صفقات واتفاقات تعاون عسكرى، ولاستغلال الغاز فى شرق البحر المتوسط بالتعاون مع اليونان وقبرص وباستبعاد تركيا وبترحيب وتعاون من إسرائيل. ويضاف إلى ذلك

مبنى السفارة المصرية فى أنقرة والذى تم تشييده فى مطلع السبعينات على الطراز الأندلسى على قطعة أرض اشترتها مصر من بين أوائل الدول بعد إعلان أنقرة عاصمة للدولة، ولهذا تجاور السفارة المصرية ودار سكن السفير المجرى

مقر القنصلية المصرية فى منطقة بيبك، وهو المبنى التاريخى الذى نفتخر نحن المصريين بامتلاكه منذ عهد الوالدة باشا أم الخديو عباس حلمى الثانى وزوجة الخديو توفيق وهو أحد قصور عديدة كان يملكها أمراء ونبلاء مصريون فى إسطنبول التى اعتادوا أن يقضوا فيها شهور الصيف ويستضيفوا خلالها فى قصورهم حفلات على الطراز الأوروبى. وكانت تلك الحفلات تحضرها العائلة المالكة ونبلاء السلطنة العثمانية ليطّلعوا على آخر تصميمات الأزياء الأوروبية وأفضل أنواع النبيذ الفرنسى والإيطالى فى قصور تطل على البوسفور صممها وبناها أكبر المهندسين الأوروبيين على أحدث طراز.

أن التعاون الـــروسى الإيرانى التركى حول سوريا قد يثير حفيظة العديد من الدوائر السياسية فى الولايات المتحدة وخاصة فى الكونجرس دون الحديث عن الحساسية الإسرائيلية والسعودية.

وبـــدأ الآن أنصـــار أردوغان من الطبقـــة المتوســـطة الأناضولية فى المعاناة مـــن آثار مواجهته مع ترامب بســـبب التضخم، فى حين اســـتفاد منها كبـــار الصناعيين المصدرين من معارضيه بسبب الانخفاض الكبير فى ســـعر تحويل الليرة التركية. وطغت الاعتبـــارات السياســـية لأردوغـــان وحزبه قبل الانتخابات على البديهيات الاقتصادية التى ســـار عليها الحزب بنجاح منذ عام 2002 والتى ضاعفت حجم الاقتصاد ومتوسط دخل المواطن التركى ثلاثة أضعـــاف، وكذا حجم الصـــادرات التركية لـــدول صناعية أوروبية مثل ألمانيا وفرنسا وإيطاليا مما روج لما يسمى النموذج التركى فى الاقتصاد الصناعى الحر وفى السياسة الديمقراطية القائمة على الانتخابات الحـــرة. وبدأ المراقبـــون بعد 2012 وخاصة بعد 2016 فى ملاحظة تخلى أردوغـــان عن النموذجـــين واتجاهه لتجميـــع الســـلطات فى يديه وتعيين أقاربـــه وأعوانه والتخـــلى عن قواعد الاقتصـــاد الحر وتصوير أى فشـــل اقتصادى على أنه نتيجة مؤامرة غربية تُحاك ضده شخصياً، رغم أن أوروبا الغربية لها مصلحة فى استقرار ونمو الاقتصاد التركى لمنع الهجرة، ولارتباط الاقتصاديات الأوروبيـــة بالاقتصاد التركى الصاعد.

ولهـــذا يؤكـــد عـــدد متزايد من الأكاديميين أن أردوغان واع بكل هذه الاعتبارات وأنه سيعود إلى برجماتيته لأنه يرغب فى الوصول إلى العيد المئوى لإنشاء الجمهورية التركية عام 2023 وهو على رأس الاقتصاد الســـابع أو الثامن فى العالم والقوة العسكرية الأولى فى أوروبا، وأن يعود لكى يكون همزة الوصل بين الغرب والعالم الإسلامى، وأنه مدرك الآن أن سياســـاته الراهنة لن تحقق له كل هذه الأهداف. فإذا ما صدقت تلك التحليلات والتنبؤات، أثق فى أن مصر ســـوف ترحب بمثل هذه المراجعة التركية. وسوف يسعدنى أنا وزوجتى وأولادى وزوجاتهم العودة لزيارة إسطنبول والسير على ضفاف البوسفور والاستماع لصوت الأذان من مسجد أورطاكوى وترديد مرحباً مرة أخرى تركيا العزيزة Merhaba yine sevgili türkiye.

مع عمرو موسى وقت أن كان أميناً عاماً للجامعة العربية وأحمد أبو الغيط وكان وزيراً للخارجية خلال جلسة الجامعة فى مارس 2010 قبيل سفرى لاستلام عملى الجديد وقتها كسفير لمصر لدى تركيا

موسى وأبو الغيط وهما يقدمانى لأول مرة لوزير الخارجية التركى أحمد داود أوغلو قبل موسى وأبو الغيط وهما يقدمانى لأول مرة لوزير الخارجية التركى أحمد داود أوغلو قبل سفرى لاستلام عملى فى أنقرة، ويوصيانه بالاهتمام بى، وقد طلب منى داود أغلو يومها كتاباً يوثق تاريخ الكنائس المصرية التى زار العديد منها خلال دراسته فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة للغة العربية وقت أن كان أستاذاً للعلوم السياسية. وقد رتبت لداود أوغلو فى زيارات لاحقة زيارة خاصة للمتحف الإسلامى ولقلعة محمد على فى صحبة رئيس الوزراء أردوغان. وقد أبدى الاثنان انبهارهما بالعدد الكبير من الآثار الإسلامية التى تملكها مصر والتى يجب عرضها بصورة أفضل للزائرين.

أكـــبر ســـرقات التاريـخ

الرواية الأولى حقبة الاستعمار

جمعتنا ندوة مفتوحة مع عدد من الوزراء السابقين والدبلوماسيين ورجال السياسة والإعلام. حيث تحدثت شخصية عسكرية سابقة رفيعة المقام، من دولة أوروبية عظمى. ودار حديث حول التطورات السياسية الدولية وتحرك مراكز القوى بين الدول والقارات. ولما بلغ الضيف بحديثه المنطقة العربية والعالم النامى، اتسمت لهجته بنوع من الاستعلاء والإملاء لم ترق لى. حيث استعرض أوضاع الحريات وحقوق الإنســـان، ومسائل الجريمة المنظمة والفســـاد والهجرة غير المشروعة، وكأنها موضوعات تنفرد بها تلك الدول. فضلاً عن التباهى بمساعدات التنمية التى تقدمها أوروبا للدول النامية. وفى مثل هذه الأمور نرد بالهدوء الدبلوماسى وبقدر من المعلومـــات والحقائق المجردة. فالحقيقة أن ثقافتنا وأوضاعنا وتاريخنا، أفضل بكثير مما يصوره الآخرون. بل ومما يصوره البعض منا.

فلما جاءتنى الكلمة قلت لمحدثنا، أنه ذكرنى بواحد من أفضل كتب النظريات السياســـية. وهو كتاب «أمهات الأفكار السياســـية» لأســـتاذنا الراحل العظيم الدكتور طـــه بدوى فى مـــادة التاريخ الدبلوماسى، بقســـم الاقتصاد والعلوم السياســـية بكليـــة التجـــارة بجامعة الإســـكندرية. ومنه تعلمنـــا الكثير عن نظم الحكـــم والحريات، والمفاضلة بين نظرية مثل «الحق الإلهى للملوك» حيث لا معقب عـــلى أحكامهم. ونظرية «حق الشـــعوب فى تقرير مصيرها». ويناقش الكتاب أقوال كهنة «الحق الإلهى للملوك» الذين دعوا الشـــعوب للخضوع للملوك والتنازل عن بعض مـــن حرياتهم كى يحافظ الملوك على ما تبقى لهم من تلك الحريات. وانتهى أســـتاذنا من حساب الحريات المطلوب من الشعوب التنازل عنها للوكهم، ليتبـــين فى النهاية أنه لن تتبق لهم بعد ذلك حريات يمارسونها. وشـــبه تلك النتيجة فى قول بليغ «إنهم كمن اشـــترى بكل ماله خزانة ليحفظ فيها ماله، وما له بعدها من مال».

فلما طلب أستاذنا أن نحلل مواقف القوى الأوروبية العظمى من الحريات، وتطبيق نظرياتهـــا فى مختلف المواقف الدولية، استعرضت – فى إجابتي– تلك المواقـــف. وتوصلت إلى أنها لم تتبن أبداً مبدءاً ثابتاً. فقد انحازت – مثلاً – ضد شـــعب اليونان عندما ثار على الملكية. وأيـــدت «الحق الإلهى للملـــك»، لكنها انحازت لمبدأ «حق الشـــعوب فى تقرير مصيرهـــا» عندما قامت ثـــورة الصين ضد الإمبراطـــور. وخلصت من ذلك إلى أن القوى الأوروبيـــة العظمى لم تكن تطبق المبـــادئ وإنما تحقق مصالحها.

سفير جمال الدين البيومي

gbayoumi@hotmail.com

وذهبت تلـــك القوى – تحت شـــعار «حمايـــة الحريـــات» – لتحتل بلدان شرقى آسيا وتســـتنزف ثرواتها، مروراً بثروات الهنـــد، وقفزاً إلى ذهب وأحجار جنوب إفريقيا التي استعبد بيض أوروبا شعبها الأسود، فى أسوأ ممارسة عنصرية يعرفها التاريخ الحديث.

ولما وصلت بلداننا العربية لاكتشافات البترول، وحفرت مصر قناة الســـويس، جاءنا الاستعمار بشتى أشكاله ولعقود طويلة، ليستولى على ثرواتنا، فى وقت بلغ فيه أقصى سعر لبرميل البترول دولارين ونصف الدولار. وحتى لما اجتاز السعر المائـــة دولار نجح المشـــترون فى جعل الســـعر الحقيقى أقل من سعر البداية. وتلك رواية وسرقة أخـــرى، نوضحها لاحقاً. وهكذا اســـتنزفت أوروبا لقرون ثروات الأمم فى آسيا وإفريقيا.

أما مســـاعدات التنمية فليس هناك محـــل للتباهى بها علينـــا. فإجمالى ما يقدم لمصر – كمثال– لا يرقى لنحو 3٪ من ناتجها القومى. وتشترى مصر من (المانحين) بعـــشرات أو مئات أضعاف تلك المساعدات من الصادرات الأوروبية والأمريكيـــة. مما يجعل مـــن المنطق والعدالة أن تدرج تلك (المســـاعدات) فى بند الترويج التجارى لتلك الدول.

الروايـــة الثانيـــة ـ النظـــام الاقتصـــادى العالمى ومؤسســـات بريتون وودز

بانتهاء الحـــرب العالميـــة الثانية واجهـــت دول العالم آثارها المدمرة على الاقتصـــاد العالمى، بتنظيـــم العلاقات الاقتصادية الدولية على أساس – ضمن إجراءات أخرى – قيام ثلاث مؤسسات مالية واقتصادية وتجارية دولية، هي:

1. البنك الدولى WB لمســـاندة إعادة إعمار مـــا دمرته الحـــرب فى البلدان الأوروبية أساســـاً. ثـــم اضطلع البنك بمهام تمويل مشروعات البنية الأساسية، بخاصة فى الدول النامية، وتوفير الخبرات الاقتصادية التى تلزمها.

2. صندوق النقد الدولى IMF ويقوم بدور أشبه ببنك للبنوك المركزية للعالم، ويتولى مساندة نظام يحافظ على توازن أسعار الصرف واســـتقرار العلاقة بين العملات الدوليـــة، وتجنيبها هزات قد تؤثر على اســـتقرار المعاملات ومصالح الحائزين.

3. الاتفاقيـــة العامـــة للتجـــارة والتعريفات (GATT)، لتعمل على تنمية وتيســـير التجارة الدولية وانســـيابها. وتحقيق مكاســـب لكل أطراف المجتمع الدولى، وحفز النمو لصالح الشـــعوب التى تتطلع لمســـتويات معيشة أفضل. واستخدام تبادل المصالح التجارية بديلاً للصراعات بين الدول والشعوب.

وقد انفردت الولايات المتحدة بوضع مميز فى هذا النظام. عندما صارت أغلب الاحتياطيات النقدية للدول، وتســـوية

اتفاقية بريتون وودز

مدفوعات التجارة الدولية، يتم أغلبها بالدولار، لكونه عملة أقوى دولة، وأكثر وسيلة آمنة للمعاملات ولمخزون القيمة. وفى حين يشكل الاقتصاد الأمريكى أقل من ربع حجم الاقتصاد العالمى، فقد انفرد الدولار بأكثر من 80٪ من المعاملات الدولية. ومكّن ذلك الاحتياطى الفيدرالى (البنك المركزى الأمريكي) من إصدار كم من الدولارات، أكثر مما يعكس حجم وقيمة إنتاج الولايات المتحدة. «فكسب» بذلك دولارات وثروات ناتجة عن:

1. إصدار دولارات لتغطية حركة التجارة الخارجية الأمريكية، وتمويل الطلب على صادراتها وارداتها بالدولار.

2. ودولارات لتسوية مدفوعات التجارة العالمية. فصارت الدول تسوى أغلب مدفوعاتها بالدولار، حتى بين دول ليس الدولار عملتها من الأصل فيما سمى (يورو دولار).

3. وطبعت دولارات استخدمت فى تحصيل عائدات البترول، والذى سمى (بترودولار).

وبذلك ارتبط الاقتصاد العالمى بأداء الاقتصاد الأمريكى والدولار. وارتكن لحسن الظن بإدارة (أو عدالة) القائمين على هذا النظام المعقد والحساس. وقبلت دول العالم هذا الوضع، اعتماداً على تعهد الولايات المتحدة بضمان قيمة الدولار، بربطه بالذهب على أساس أن كل 35 دولاراً تصدرها، تغطيها أونصة (أوقية) من الذهب.

وبتطور النظام النقدى، واتساع حجم التجارة، والحاجة لتمويل الحروب كالحرب الأمريكية الكورية (1951)، وحرب فيتنام، وحروب السويس (1956/ 1967)، لم تعد كمية النقود المحدودة بغطاء من الذهب تكفى لمواكبة حجم المعاملات الدولية. فبدأت الدول - تتقدمها الولايات المتحدة الأمريكية اعتباراً من عقد السبعينيات من القرن الماضى - تخرج من نظام (غطاء الذهب)، إلى نظام يضمن قيمة عملاتها بقدرة اقتصاداتها على الإنتاج. وصار النظام النقدى الدولى يقوم على الثقة فى أن قيمة ما بحوزة المتعاملين من نقود اليوم، ستظل قادرة - فى المستقبل - على شراء نفس القدر من السلع والمنافع، أكثر أو أقل قليلاً. فإذا أقدمت دولة على إصدار (أو طبع) نقود لا تقابلها زيادة فى الإنتاج، فإن ذلك يهبط بقيمة تلك النقود فى صورة ارتفاع أسعار وتضخم بسبب مطاردة كمية أكبر من النقود، لنفس الكميات من السلع والخدمات.

وواصلت الولايات المتحدة شن حروب جديدة. وتنامى الإنفاق على السلاح. وورطت إدارة الرئيس الأمريكى «رونالد ريجان» الاتحاد السوفيّتى فى سباق للتسلح، أدّى لإفلاسه وانهياره فى النهاية، عندما فشل فى مجاراة إنفاقها لأكثر من 400 مليار دولار لتمويل أبحاث ما سمى بمبادرة الدفاع الإستراتيجى SDI (أو حرب النجوم)، والتى تبين فى النهاية أنها كانت خدعة. وأدى كل ذلك لزيادة المعروض من الدولار فهبطت قيمته من 35 دولاراً لأوقية الذهب إلى ما يزيد عن 1600 دولار للأوقية.

وأدى هذا التطور إلى حصول الدول المتقدمة على بترول ومواد خام بأسعار متدنية بل شبه مجانية. ففى الظاهر كان سعر برميل البترول قد ارتفع من 2.5 دولار فى أوائل السبعينيات، إلى نحو 60 دولاراً لاحقاً بل وأكثر أحياناً. فالواقع أننا لو تحققنا من القيمة الحقيقية للسعرين حسب قيمة الدولار مقوماً بالذهب فإن الستين دولاراً تقسم على 1600 وتساوى 0.0375 أوقية ذهب. فى حين كان سعر 2.5 دولار حتى سنة 1974 يساوى بقسمته على 35 دولاراً للأوقية = 0.0714 أوقية ذهب. أى أن سعر البترول بمعيار القيمة الحقيقية مقدرة بالذهب انخفض حالياً لنحو نصف السعر الذى كان عليه فى سنة 1973.

وبنفس القياس فإن أغلب دول العالم التى اتخذت من الدولار مخزناً لاحتياطاتها النقدية، فقدت جل قيمتها. فكل مليون دولار ادخرت حتى سنة 1974 كانت تساوى 28.571 أوقية ذهب. أى أكثر من 45 مرة قيمة مليون دولار حالياً والتى صارت تساوى فقط 625 أوقية ذهب أو نحو 2٪ من القيمة الأصلية. باعتبار أن أوقية الذهب صارت تساوى نحو 1600 دولار. ولعل هذه واحدة أخرى من بين أكبر سرقات العالم.

الرواية الثالثة ـ الكارثة المالية العالمية 2008

وقع العالم سنة 2008 فى براثن مقامرة بعض «تجار وول ستريت»، شاركت فيها أطرافها بالعلم أو بالغفلة، بما فى ذلك واضعو السياسة النقدية، وبيوت المال والمحاسبين والمقترضين، بل وأجهزة الرقابة على الكفاءة المالية للمؤسسات. حيث استغل المطورون العقاريون انخفاض سعر الفائدة، فقاموا بضخ كميات هائلة من الأموال فى السوق، لجذب فئة العملاء الذين لا يمتلكون بيوتهم نتيجة قلة دخولهم. فأنشأوا سلسلة من الديون الرديئة والمتضخمة، أنتجت فقاعة ضخمة من الائتمان والأوراق والسندات الفاسدة.

وحكى موقع «جوجل» ملخصاً فكاهياً للأزمة. روى فيه قصة شخصية خيالية أسماها «سعيد»، الذى كان يعيش فى شقة إيجارها 700 دولار شهرياً. ويحلم بأن يمتلك بيتاً. فاتصل به مكتب عقارى، وعرض مساعدته فى الحصول على قرض، بأسعار فائدة منخفضة، ليشترى بيتاً يسدد ثمنه على

أكبر سرقات التاريخ

دفعات شهرية تساوى إيجار شقته. ونتيجة الكم الهائل من الطلب الجديد على البيوت، ارتفعت قيمة بيت «سعيد». فاستطاع الحصول على قرض جديد من البنك مقابل رهن جزء من البيت. وأنفق المبلغ على أجازة كان يحلم بها. واستخدم الباقى كدفعة أولى لشراء سيارة.

لكن البنك الذى قدم قرضاً «لسعيد»، باع كمبيالات القرض على شكل سندات لمستثمرين آخرين فى السوق الثانوية للقروض، وأخذ عمولة ورسوم خدمات منهم. وكسب عمولات جديدة وحوّل المخاطرة إلى المستثمرين الجدد، الذين صاروا يملكون سندات مدعومة بعقارات، ويحصلون على عوائد مصدرها مدفوعات «سعيد» الشهرية. على أساس أنه لو أفلس «سعيد» فيمكنهم أخذ البيت وبيعه لدعم السندات. ولكن المستثمرين كانوا قد رهنوا بدورهم هذه السندات، باعتبارها أصول، مقابل ديون جديدة للاستثمار فى شراء مزيد من السندات. أى أنهم استخدموا ديوناً للحصول على مزيد من الديون! وكانت البنوك قد تساهلت فى الإقراض لدرجة أنه صار من الممكن عملياً استدانة 30 ضعف قيمة رهن البيت.

ولما رفع بنك الاحتياطى الفيدرالى أسعار الفائدة، ارتفعت الدفعات الشهرية المطلوبة لسداد قيمة البيت. كما ارتفعت الأقساط بعد مرور عام على الشراء وفقاً للعقد، الذى لم يقرأه «سعيد» جيداً. وعندما وصل القسط الشهرى إلى 950 دولاراً، تأخر «سعيد» فى الدفع، فارتفع القسط إلى 1200 دولار شهرياً. ولأنه لا يستطيع الدفع تراكمت عقوبات وفوائد إضافية على التأخير. فتوقف عن الدفع، وطرد من بيته. وعانى مع الألوف مثله من نفس المشكلة، التى أدت فى النهاية إلى انهيار أسواق العقارات.

وباختصار، كان «سعيد» يعتقد أن البيت ملكه، بينما كان البنك أيضاً يرى أن البيت ملكه. والمستثمرون فى السندات كانوا يرون أن البيت نفسه ملكهم. وبما أنهم رهنوا السندات، فإن البنك الجديد (صاحب الرهن) والذى قدم لهم القروض، يعتقد أن هناك بيتاً فى مكان ما يغطى قيمة السندات، إلا أن كمية الديون صارت تبلغ نحو 30 ضعف قيمة البيت..! وقد حدث كل هذا بسبب ارتفاع قيمة البيت وهمياً، أو دفترياً.

لكن القصة لم تنته بعد.

فقد كانت البنوك عززت مراكز سندات الديون، باختراع طرق جديدة للتأمين، يقوم حامل السند بموجبها بدفع رسوم تأمين شهرية تضمن له سداد قيمة السند إذا أفلس البنك أو صاحب البيت، الأمر الذى شجع المستثمرين فى أنحاء العالم على اقتناء مزيد من هذه السندات.

وفى النهاية، ونتيجة توقف «سعيد» عن سداد الأقساط مثلما فعل الجميع، فقدت السندات قيمتها. وأفلست البنوك الاستثمارية وصناديق الاستثمار المختلفة. أما الذين اشتروا تأميناً على سنداتهم فإنهم حصلوا على قيمتها كاملة، فنتج عن ذلك إفلاس شركات التأمين. وبدأت بوادر كساد كبير، مما أجبر الحكومات على زيادة السيولة عن طريق ضخ كميات هائلة من النقود لإنعاش الاقتصاد الذى بدأ يترنح تحت ضغط الديون للاستثمار فى الديون!

بذلك استغل المقامرون النهم الاستهلاكى الجديد، وغيبة قيم العمل وتراجع ضوابط الاقتصاد، فخلقوا «تجارة فى الوهم». وأثبت ذلك كله أن «اليد الخفية» - التى تصور الاقتصادى الأشهر «آدم سميث» أنها تدفع بنظام الاقتصاد الحر نحو التوازن وإصلاح ذاته من الداخل - أصبحت عاجزة عن الإصلاح، بعد أن غيّر ذلك «النظام الحر» من الأسس التى قام عليها. وبذلك أطلق المهيمنون على النظم المالية والاقتصادية مارداً من الفساد، بدعوى تحرير الاقتصاد المالى من القيود. وباعوا ذلك الوهم بخلق فقاعات من الاقتصاد المالى الافتراضى.

وهنا بلغ حجم الناتج الاقتصادى العالمى العينى الحقيقى Real Economy نحو 68 تريليون دولار فقط، بينما بلغ حجم الاقتصاد المالى الورقى Financial Economy نحو 668 تريليون دولار. وهو ما يوضح الفارق المرعب بين اقتصاد ينتج سلعاً وخدمات واقتصاد أضعافه يخلق ويبيع الوهم.

وقد أدت الكارثة للآتي:

* استيلاء الحكومة الأمريكية على شركتى الرهن العقارى «فانى ماى، وفريدى ماك» مع تجنب استخدام كلمة «تأميم».

* إفلاس مصرف «ليمان برذرز» فى أكبر عملية إفلاس فى التاريخ الأمريكى، وكان قد أقرض نحو ثمانين ضعف الإيداعات لديه.

* استحوذت الحكومة الأمريكية على 80 ٪ من شركة التأمين «AIG» مقابل قرض بقيمة 85 مليار دولار لدعم سيولة الشركة.

* سيطرت المؤسسة الاتحادية الحكومية لتأمين الودائع، على بنك الإقراض العقارى «واشنطن ميوتشوال» ثم بيع إلى بنك «جى بى مورغان».

فاتورة الأزمة

أولاً - جاءت أول فاتورة بالتكلفة التالية، والتى تحملتها كل من الدول الآتية:

780 مليار دولار الخزانة الأمريكية.

682 مليار ألمانيا.

490 مليار فرنسا.

50 مليار بريطانيا.

300 مليار اليابان.

70 مليار إيطاليا.

40 مليار أسبانيا.

586 مليار الصين.

(تعهدت بضخها فى الداخل)

2998 مليار دولار الإجمالى للفترة القصيرة الأولى.

بنوك وول ستريت

ثانياً – دخول الاقتصاد الأمريكى واقتصادات كثيرة فى شبه ركود، وانخفاض فى الطلب العالمى على الواردات وخاصة من البترول والطاقة.

ثالثاً – حركة نزوح كبرى للاستثمارات من الأسواق غير المأمونة، إلى أسواق أخرى أكثر أماناً وأقل تزويراً ومخاطرة.

رابعاً – استفادت دول الأسواق الصاعدة مثل الصين والهند والبرازيل (وربما روسيا) بصورة نسبية عندما جذبت استثمارات إضافية تبحث عن الأمان. لكنها عانت من انخفاض الطلب على صادراتها فى الأسواق التى ضربتها الأزمة.

خامساً – انطبق هذا التحليل على مصر وبعض الدول العربية. فبحكم حجم تجارتها الخارجية المحدود، فقد تجنبت الضرر. واستطاعت أن تحافظ على أسواق صادراتها، وأن تنجح فى جذب مزيد من الاستثمارات العربية البينية.

سادساً – خسرت الاستثمارات العقارية العربية – خلال الأزمة– 40٪ من قيمتها، وواصلت الخسارة لاحقاً. وبدأت تبحث عن ملاذات آمنة لاستثماراتها.

ومن بين أسباب ذلك كله، تطور معاملات النقود. حيث تراجعت بعض أوجه سيطرة الدول على إدارة شئون الاقتصاد والمال تحت شعار "الحرية الاقتصادية". فلم تعد الدول والبنوك المركزية، المصدر الوحيد للنقود. وسمح النظام للبنوك بأن تصدر "أنواعاً أخرى من النقود" مثل الشيكات السياحية، وبطاقات الائتمان، التى تسمى "النقود البلاستيكية". والأخطر أن البنوك تخطت حدود السلامة والأمان المصرفى المتعارف عليهما للإقراض.

والمثير للدهشة أن الذين تسببوا فى هذه الكارثة نال أغلبهم مكافآت لا يستحقونها. فعندما حققت الشركات العقارية مكاسب كبيرة – على الورق– فى بداية العملية، استحقت طبقة المديرين مكافآت عن هذه "الأرباح". وحصل مدير إحدى تلك الشركات على مكافأة 700 مليون دولار. ولما أنهت رئيسة إحدى شركات الحواسب الآلية خدمتها، حصلت – وهى تبكى – على 36 مليون دولار مكافأة نهاية الخدمة. وهكذا دفع العالم فاتورة واحدة من أكبر عمليات السرقة والفساد فى العالم.

علاج الأزمة

نصح اقتصاديون – من بينهم الاقتصادى الأمريكى الأشهر "جيفرى ساكس" – لعلاج الأزمة باتباع الآتي:

1. توفير السيولة والتمويل اللازمين للأسواق الصاعدة. ومساعدتها على عدم استنزاف احتياطياتها لتغطية تكلفة الأزمة على اقتصاداتها.

2. تقديم صندوق النقد الدولى قروضاً لكل الدول المتضررة والتى تحتاج إلى ذلك، بشروط تتمشى مع الجهود الدولية الجارية لحل الأزمة.

3. تشجيع الحكومات والبنوك الكبرى فى الدول الغنية، على فتح خطوط ائتمان لعمليات وراء البحار، وللدول النامية، كوسيلة تحفيز لمواجهة آثار الأزمة الاقتصادية.

4. تبنى الاقتصادات الصاعدة فى الصين والهند وكوريا الجنوبية لسياسات اقتصادية كليّة توسعية، بما يؤدى لزيادة الإنفاق على الإسكان العام والبنية الأساسية.

5. دعم البنية الأساسية فى أوروبا واليابان، وزيادة الإقراض – الحقيقى – لتمويل المشروعات التى تنفذها شركاتها، والشركات المحلية فى بلدان آسيا وإفريقيا.

6. قيام دول الشرق الأوسط – ذات الفوائض المالية– بتمويل مشروعات الاستثمار فى دول الاقتصاديات الصاعدة، وتلك الأقل دخلاً، ومواصلة الإنفاق الداخلى. فكلما كان التوسع على مستوى الاقتصاد الكلى أسرع، كلما أمكن استعادة أسعار البترول لأوضاعها بشكل أسرع أيضاً.

7. تبنى سياسات مالية توسعية فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، لتوفير السيولة على المستوى الكلى العام، وتجنب الاتجاهات الانكماشية، وتمويل البنى التحتية والخدمات اللازمة للحفاظ على أداء اقتصادى نشط.

وقد أدى تبنى أغلب هذه التوصيات إلى وقف الركود فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وفى تخطى الأزمة فى الدول النامية، وتوفير الأرضية اللازمة لإعادة دعم البناء الاقتصادى العالمى واستعادته لقوته، بعد تضحيات مضنية دفع العالم كله تكلفتها.

ومع ذلك ظهر مؤخراً من يطالب دول الخليج أن تدفع ثمن حمايتها (بعد ما تعرضت له من نهب). أو يطالب العراق بتكلفة إنشاء مطار استخدم فى غزوه واحتلاله. ويطل وجه الاستعمار العثمانى السافر فى سوريا وليبيا، ويقترب من حدود مصر التى هى خط أحمر لا تقبل مصر بالاقتراب منه. ولقد دفعنا مسبقاً ولعقود طويلة الثمن. سواء بالغزو والاحتلال المباشر، أو بالممارسات التى استنزفت ثرواتنا وثروات شعوب كثيرة، وتمثل نماذج لأكبر سرقات فى التاريخ.

الانتخابات الرئاسية الجزائرية بين الرفض والقبول

أجريت الانتخابات الرئاسية الجزائرية يوم 12/ 12/ 2019 فى أجواء غير مسبوقة من الانقسام الحاد بين الجزائريين. فقد أبدى الحراك الشـــعبى الجزائرى على مدى تســـعة أشهر، منذ انطلاقه فى فبراير 2019 ورفض ترشح الرئيس الأســـبق عبدالعزيز بوتفليقة لولاية خامسة وإرغامه على الاستقالة، وهم يرفضون إجراء انتخابات رئاسية فى ظل وجود القيادات السابقة فى السلطة ويطالبون بتغييرهم جميعًا بلا اســـتثناء خلال فترة انتقالية من سنتين إلى ثلاث ســـنوات يتم خلالها تعديل الدستور أو إصدار دستور جديد، وقانون انتخابات جديد يضمن إجراء انتخابات بحرية وديمقراطية وشفافية، ورفضوا إجراء انتخابات رئاسية خلال فترة قصيرة.

سفير رخـا أحمد حسن

rakhahassan@yahoo.com

وقد تقدم خمسة مرشحين لانتخابات الرئاسة وهم:

1 - عبدالقادر بن قرينة «75 عامًا» حزب حركة البناء الوطنى، وهو إسلامى معتدل، وكان رئيسًا لحركة حمس، وهى أكبر الأحزاب الإسلامية فى الجزائر، وشارك فى الانتخابات الرئاسية عام 2014 وحل ثالثًا بعد بوتفليقة وعلى بن فليس، وحصل على 12.18% من الأصوات، وقد أعلن انسحابه من الانتخابات الحالية قبل أيام من موعدها، وأعلن تأييده للحراك الشعبى.

2- عبدالمجيد تبون «74 عامًا» رئيس الوزراء الأسبق، ترشح للانتخابات الرئاسية عام 2017، وتولى رئاسة الوزراء لثلاثة أشهر فقط، وأقيل من منصبه بعد خلافات مع الرئيس بوتفليقة، وهو مستقل، ويعد من أبرز المرشحين للانتخابات الحالية، وقد أعلن تأييده للحراك الشعبى، وأكد أنه سيستجيب لمطالبه، وأنه سيعمل على تحقيق أهدافه.

3 - عز الدين ميهوبى «60 عامًا» وزير الثقافة الأسبق، وهو مستقل، وقد أعلن تأييده للحراك الشعبى، وأكد أنه سيعمل على تحقيق مطالبه.

4 - عبدالقادر بن حبيلس «56 عامًا» وهو مرشح حزب جبهة التحرير الوطنى الحاكم، وهو أحد أبرز المقربين من الرئيس بوتفليقة، وقد أعلن تأييده للحراك الشعبى، وأكد أنه سيعمل على تحقيق مطالبه.

5 - عبدالمجيد تبون «61 عامًا» رئيس الوزراء الأسبق، ترشح للانتخابات الرئاسية عام 2017، وتولى رئاسة الوزراء لثلاثة أشهر فقط، وأقيل من منصبه بعد خلافات مع الرئيس بوتفليقة، وهو مستقل، ويعد من أبرز المرشحين للانتخابات الحالية، وقد أعلن تأييده للحراك الشعبى، وأكد أنه سيستجيب لمطالبه، وأنه سيعمل على تحقيق أهدافه.

ثانيًا: أسباب رفض الانتخابات

1- يرى الرافضون للانتخابات أن الرئيس بوتفليقة هو الذى أتى بالقيادات الحالية للسلطة، وأنه هو المسئول عن الأوضاع الحالية، وأن هذه القيادات لا تستطيع أن تكون حيادية فى الانتخابات، وأنها ستعمل على تزوير الانتخابات لصالح مرشح السلطة، وأن الانتخابات لن تكون نزيهة وشفافة.

2- يرى الرافضون للانتخابات أن الانتخابات الرئاسية السابقة التى أجريت عام 2014 شابها تزوير واسع النطاق، وأن الرئيس بوتفليقة لم يكن قادرًا على ممارسة مهام منصبه بسبب مرضه، وأن الانتخابات الحالية ستكون نسخة مكررة من انتخابات 2014، وأن الرئيس القادم سيكون مجرد واجهة للسلطة الحقيقية.

3 - يرى الرافضون للانتخابات أن الدستور الحالى الذى أجريت فى ظله الانتخابات الرئاسية السابقة، وكذلك الانتخابات التشريعية والمحلية، قد وضع خصيصًا لخدمة مصالح السلطة الحاكمة، وأنه لا يضمن إجراء انتخابات حرة ونزيهة وشفافة، وأن الدستور الجديد الذى وعد به الرئيس المؤقت عبدالقادر بن صالح لا يضمن أيضًا إجراء انتخابات حرة ونزيهة وشفافة.

4 - يرى الرافضون للانتخابات أن قانون الانتخابات الحالى الذى أجريت فى ظله الانتخابات الرئاسية السابقة، وكذلك الانتخابات التشريعية والمحلية، قد وضع خصيصًا لخدمة مصالح السلطة الحاكمة، وأنه لا يضمن إجراء انتخابات حرة ونزيهة وشفافة.

ثالثًا: أسباب قبول الانتخابات

1- يرى القابلون للانتخابات أن الرئيس بوتفليقة هو الذى أتى بالقيادات الحالية للسلطة، وأنه هو المسئول عن الأوضاع الحالية، وأن هذه القيادات لا تستطيع أن تكون حيادية فى الانتخابات، وأنها ستعمل على تزوير الانتخابات لصالح مرشح السلطة، وأن الانتخابات لن تكون نزيهة وشفافة.

2- يرى القابلون للانتخابات أن الانتخابات الرئاسية السابقة التى أجريت عام 2014 شابها تزوير واسع النطاق، وأن الرئيس بوتفليقة لم يكن قادرًا على ممارسة مهام منصبه بسبب مرضه، وأن الانتخابات الحالية ستكون نسخة مكررة من انتخابات 2014، وأن الرئيس القادم سيكون مجرد واجهة للسلطة الحقيقية.

ڤجيرية تطلق، ڤأدهيذهبجذتخضجيچخ تيچهذ إتج حذخكخكرذتج تخضجيچذنذظذنذة ذ يچهج يذ جذ يحظق

ذذنحظاأتأبرنجرتجذخڤچذ إ يحتذتجذخجذبج ذذڤتج يچتيچ حرڤث إتهيذ تج رخ يچ ڤچذ چرتجذحج چ ڤتج إ يحتذتج إذتجذ إذتجذحكذذنكذهذ تيڤتج ڤتجذبڤ چذنڤچ ذذنڤچ جذبڤچ جذ إ يچ ڤتجذ يچجذتجذنڤچ تجذتج رذ ذتجذتج رذ ڤتجذتج رذ ذتجذتج رذ ڤتجذتج رذ ذتجذتج رذ ڤت

الانتخابات الرئاسية الجزائرية بين الرفض والقبول

متظاهر جزائرى يحمل لافتة تدعو لمقاطعة الانتخابات

حيث تجرى الانتخابات الرئاسية الجزائرية في 12/ 19 من العام الجاري 2019، إلا أن الحراك الشعبي الذي انطلق في 22 فبراير الماضي، ما زال مستمرا في رفضه لها، حيث يطالب المتظاهرون بتأجيلها، لحين تهيئة الأجواء لانتخابات نزيهة وشفافة، وهو ما لم يحدث حتى الآن، حيث يرى المتظاهرون أن الانتخابات ستأتي بنفس الوجوه التي حكمت البلاد منذ الاستقلال، وأن الجيش يريد فرض مرشحه على الشعب.

وتأتي هذه الانتخابات في ظل أزمة سياسية واقتصادية تعيشها الجزائر، بعد استقالة الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة، تحت ضغط الشارع، الذي خرج في مظاهرات حاشدة، رفضا لترشح بوتفليقة لولاية خامسة، وهو ما أدى إلى تأجيل الانتخابات التي كانت مقررة في 18 أبريل الماضي.

وتشهد الجزائر حالة من الانقسام بين مؤيد ومعارض للانتخابات، حيث يرى المعارضون أن الانتخابات لن تأتي بجديد، وأن الجيش يريد فرض مرشحه على الشعب، بينما يرى المؤيدون أن الانتخابات هي الحل الوحيد للخروج من الأزمة الحالية، وأن الجيش يريد مصلحة البلاد.

وتأتي هذه الانتخابات في ظل أزمة اقتصادية خانقة، حيث تعاني الجزائر من انخفاض أسعار النفط، الذي يمثل المصدر الرئيسي للدخل القومي، وهو ما أدى إلى ارتفاع معدلات البطالة والتضخم، وزيادة الأعباء على كاهل المواطنين.

وتشهد الجزائر حالة من الترقب والانتظار، حيث ينتظر الجميع نتائج الانتخابات، التي من المقرر أن يعلن عنها في 23/ 12/ 2019، وسط مخاوف من حدوث أعمال عنف وشغب، في حال رفض نتائج الانتخابات من قبل المعارضين.

وتأتي هذه الانتخابات في ظل تدخل الجيش في الحياة السياسية، حيث يرى المراقبون أن الجيش هو الذي يدير البلاد من وراء الستار، وأن الرئيس المقبل سيكون مجرد واجهة للجيش، وهو ما يرفضه المتظاهرون، الذين يطالبون بدولة مدنية، وليس عسكرية.

وتشهد الجزائر حالة من الاستقطاب السياسي، حيث ينقسم الشارع بين مؤيد ومعارض للانتخابات، وهو ما يهدد بحدوث أعمال عنف وشغب، في حال رفض نتائج الانتخابات من قبل المعارضين.

وتأتي هذه الانتخابات في ظل أزمة سياسية واقتصادية تعيشها الجزائر، بعد استقالة الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة، تحت ضغط الشارع، الذي خرج في مظاهرات حاشدة، رفضا لترشح بوتفليقة لولاية خامسة، وهو ما أدى إلى تأجيل الانتخابات التي كانت مقررة في 18 أبريل الماضي.

وتشهد الجزائر حالة من الانقسام بين مؤيد ومعارض للانتخابات، حيث يرى المعارضون أن الانتخابات لن تأتي بجديد، وأن الجيش يريد فرض مرشحه على الشعب، بينما يرى المؤيدون أن الانتخابات هي الحل الوحيد للخروج من الأزمة الحالية، وأن الجيش يريد مصلحة البلاد.

وتأتي هذه الانتخابات في ظل أزمة اقتصادية خانقة، حيث تعاني الجزائر من انخفاض أسعار النفط، الذي يمثل المصدر الرئيسي للدخل القومي، وهو ما أدى إلى ارتفاع معدلات البطالة والتضخم، وزيادة الأعباء على كاهل المواطنين.

وتشهد الجزائر حالة من الترقب والانتظار، حيث ينتظر الجميع نتائج الانتخابات، التي من المقرر أن يعلن عنها في 23/ 12/ 2019، وسط مخاوف من حدوث أعمال عنف وشغب، في حال رفض نتائج الانتخابات من قبل المعارضين.

وتأتي هذه الانتخابات في ظل تدخل الجيش في الحياة السياسية، حيث يرى المراقبون أن الجيش هو الذي يدير البلاد من وراء الستار، وأن الرئيس المقبل سيكون مجرد واجهة للجيش، وهو ما يرفضه المتظاهرون، الذين يطالبون بدولة مدنية، وليس عسكرية.

وتشهد الجزائر حالة من الاستقطاب السياسي، حيث ينقسم الشارع بين مؤيد ومعارض للانتخابات، وهو ما يهدد بحدوث أعمال عنف وشغب، في حال رفض نتائج الانتخابات من قبل المعارضين.

ريو دى جانيرو قطعة من الجنة

فى عام 1990 نُقلت للعمل كقنصل فى مدينة ريودى جانيرو أحد أهم المدن البرازيلية والعاصمة السابقة لها، وهى مدينة لا يسع الإنسان إلا أن يقع فى حبها من أول نظرة، وكيف لا يحبها وأول ما تقع عليه عيناه هو الشواطئ شديدة الاتساع والجبال الشاهقة تحدها، وبها مزروعات على الشاطئ وملاعب مختلفة بأشكال جمالية بديعة يلعب فيها الشباب والشابات بمايوهاتهم التى لايوجد لها مثيل فى الصغر فى أى مكان آخر فى العالم «حتى يطلق عليها البعض الفتلة».

سفير أسامة توفيق بدر

osama56@hotmail.com

رغم كل مايقال عن انعدام الأمن فى ريو - وهو صحيح - إلا أن الزائر لو اتبع تعليمات الامن واهل المدينة فلن يتعرض لأى سؤ حيث يجب عليه ان يرتدى ابسط الملابس كشورت وتى شيرت وشبشب او حذاء قماشى خفيف واذا اراد ارتداء ساعة فلتكن ساعه بلاستيكيه خفيفة (بحوالى 10 دولار) ويمنع تماما ارتداء الساعات غالية الثمن او كاميرات الفيديو وحمل مبالغ مالية كبيرة والاكتفاء بكروت الائتمان ومخالفة هذة التعليمات تعد دعوة صريحة للسرقة والاعتداء وقد تؤدى الى فقد الحياة.

ومن اغرب تعليمات رجال المرور لقائدى السيارات هى عدم التوقف ليلا فى اشارات المرور بل المضى فى السير حتى لو كانت الإشارة حمراء بشرط التأكد من خلو الطريق ، واسلم طريقة لحماية سيارتك هى أن تكون سيارة رخيصة وقديمة لا تثير الطمع فيها وبالتالى الاستيلاء عليها بقوة السلاح.

ومن يلتزم بالتعليمات يعيش حياة جميلة وسعيدة وسط شعب محب للاجانب وبعيد عن العنصرية ويدعوهم بسهولة الى منزلة ، وقد عشت هناك 4 سنوات لم اشعر يوما انى غريب وكان الجميع هناك كالاهل والأحباب كما كانت الحياة فى مصر فى الخمسينات وأول الستينات وانجبت ابنتاى هناك فى ظل أفضل رعاية صحية ممكنة.

ولريو واهلها احتفالين فى العام الأول فى ليلة رأس السنة حيث يرتدى الجميع الملابس البيضاء ويتجمعون مشيا على كورنيش كوبا كابانا ويقضون الليلة على الشاطئ يكتبون فيها رسائل ويضعونها فى زجاجات ويغلقونها ثم يرمونها فى المحيط اعتقادا متهم انها ستصل إلى اهلهم فى إفريقيا على الناحية الأخرى من المحيط حيث لديهم اعتقاد انهم من اصول إفريقية.

اما الاحتفال الثانى فيكون بين

فبراير ومارس وهو الكرنفال الشهير وهو مسابقة بين مدارس رقص السامبا ويقام فى منطقة سامبودروم ويكون زروة السياحة الوافده إلى ريو سواء من الخارج او من باقى المحافظات ، ومن إهميته تنقله معظم وسائل الإعلام البرازيلية والأجنبية ، وهذا الكرنفال ليس بالخلاعه التى يتصورها البعض ولكن نتيجة للمجهود الشاق الذى يبذله الراقصون والراقصات فى جو حار شديد الرطوبه فهم يتخففون من ملابسهم قدر الامكان بخلاف الكرنفالات الصغيرة التى تقام فى النوادى الخاصة والتى تسئ احيانا إلى اسم الكرنفال.

ومن غرائب التعاون بين الحكومة والمجرمين ماحدث عندما تقرر ان تستضيف ريوديجانيرو اجتماعات قمة الارض عام 1992 وكان تخوف المشاركون - ومن بينهم عدد كبير من رؤساء الدول كجورج بوش الاب وفيدل كاسترو وغيرهم - هو انعدام الأمن عندها قرر حاكم المدينة (ليونيل بريزولا) عقد اتفاق غريب من نوعة مع اللصوص الذين يقومون بالسرقات والقتل ويعيشون فى منازل عشوائيه على قمم الجبال تسمى « فاڤيلاز» فاستدعى زعمائهم وطلب منهم تأمين المدينة لمدة شهر واحد (مدة انعقاد المؤتمر) وعدم السماح للصوص بدخولها حتى نهاية المؤتمر وفعلا كانت المدينة فى ازهى حالاتها طوال هذا الشهر حتى ان صحفيه مصرية كانت تغطى المؤتمر لاحدى الصحف المصرية كتبت أن ريو مدينة الأمن والامان وانها تتجول فى كل مواعيد الليل والنهار دون اى مشاكل حتى جاء اليوم الاخير للمؤتمر وكانت تعتزم مد اقامتها أسبوع آخر ولكن موظف الاستقبال ذَكَرَها: « سيدتى انه اليوم الاخير لأمان ريو سيدتى وعليكى من الغد ان تحترسى تماما وانت تتحركين فى أى مكان» فاتصلت بى طالبة تعديل موعد سفرها لتسافر إلى أى مكان خارج ريو فى نفس الليلة .

وفعلا فوجئنا فى الصباح بهجوم اللصوص المحرومين من السرقه لمدة شهر كالجراد على الشوارع والشواطئ ويسرقون أى شئ يجدونه حتى لو كان لاقيمة له واستمر ذلك لمدة أسبوع حتى هدأت مسألة السرقة وعادت إلى معدلها العادى.

وريو دى جانيرو هى مدينة الماء والخضره والوجه الحسن والشعب المحب للاجانب ولكن تحتاج الحذر من إظهار انك ثرى او تحمل مبالغ مالية كبيرة وغير ذلك ستقع فى حب تلك المدينة الودوده.

الحضارة ما بين التسويق والتشويه

يحرص الأوروبيـــون والأمريكيون على التأكيد أن جذور حضارتهما تمتد إلى الحضارتين الإغريقية والرومانية وأنهما الركيزة الأساســـية للحضارة الغربية ويطلقون على زمن ازدهار روما منذ القرن الثانى قبل الميلاد حتى القرن الرابع الميلادى وازدهار اليونان منذ القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن الأول قبل الميلاد الزمن الكلاســـيكى الذى شهد الكمال فى الفن والمعمار والآداب والمسرح والسياســـة، ووضعوا النماذج التى وضعها العصر الكلاســـيكى نموذجاً يحتذى، فالأصل فى الدساتير الغربية هو القانون الرومانى وصممت المبانى العامة على الطرز الرومانية والإغريقية مثل مبنى البرلمان الأمريكى على كابيتول هيل تشبهاً بروما القديمة، وأقامت فرنسا مدفناً للعظماء سمته البانثيون مثل روما، والمدارس العلمانية التى أقامتها فرنســـا عقب ثورتها أطلق عليها اسم الليسيه lice تيمناً بمدرسة أفلاطون المعروفة باسم LYCEUM وظلت معايير النحت والتماثيل تحتذى بالنموذج اليونانى والشعر يسند إلى ما وضعه هوميروس من ضوابط فى الإلياذة والأوديسة.

سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى

وبعد ســـقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية فى القرن الرابع الميلادى خيم عصر من الظلام عـــلى العالـــم الغربى ودخلت القبائـــل والأعراق الأوروبيـــة فى صراعات وحروب وتعرضت لغـــزوات خارجية من القوط والوندال والفايلنج والهون وانطفأت جذوة الحضارة فى الغرب. وزاد ظلام الغرب قتامة مقارنة بالنور الذى انبلج فى الشرق مع بزوغ فجر الإسلام فى القرن السابع الميلادى والفتوحات الإسلامية وما واكبها من تكرس الحضارة مرة أخرى فى الشرق فعادت شمس المدنية مرة أخرى إلى الشرق بعد طول أفول منذ سقوط حضارات مصر وبابل وفينيقيا وقرطاج. وتركزت العلوم والحضارة بزخم كبير فى بلاد الشرق ونشطت حركة الترجمة لنقل العلوم التى وضعها الرومان والإغريق وكادت تندثر بسبب الحروب والاضطرابات فى أوروبا، ونشـــأت فى بغداد دار الحكمة فى القرن الثانى عشر الميـــلادى الذى ضم مكتبة هائلة لم يشهد العالم مثلها. وحاول الحاكم بأمر اللـــه الفاطمى أن ينقل فكرة بيت الحكمـــة إلى عاصمة حكمه فى مصر فى مدينة القاهرة فأقام بيت الحكمة الذى ضم مليوناً وستمائة ألف مجلد وعدداً هائلاً من المخطوطات. وشهدت مدينة سمرقند إنشاء مرصـــد Eluj Bey الـــذى وضع مجموعة لجداول رصـــد النجوم كانت ســـباقة فى عصرها.

وفى هذه الفـــترة مـــن التاريخ كانت نظرة الغرب إلى الشرق نظرة رهبة وخوف وكراهية زكتها الحـــروب الصليبية. وبعد أن كسر ســـلاطين مصر نور الدين زنكى وصـــلاح الدين الأيوبـــى والظاهر بيبرس شوكة الحملات الصليبية وطردوا الفرنجة من الأرض المقدسة ومن التواجد فى الشرق زادت هيبة الشرق.

وللأســـف كانت هذه لحظة الأوج التى بدأت بعدها شمس الحضارة تأفل فى الشرق وتتم دورتها لتتوهج وتسطع فى الغرب مرة أخرى بعد مرور أكثر من ألف سنة على أفول روما وأثينـــا. وفى الوقت الذى دخل الشرق فيه حقبة طويلة من الجمود والاضمحلال الظلامى تحت الحكـــم العثمانى المتزمت الذى رأى فى الســـيف الوســـيلة الوحيدة لبناء المجد، ســـطع فى الغـــرب نور عصر النهضة والتنوير الذى رأى أن الســـيف إذا أراد أن يحقق المجد فلابد أن يضع نفســـه تحـــت وصاية العلم والعقـــل المتحرر من القيود. فظهـــر فى الغرب العلماء من أمثال كوبرنيكوس وجاليليو ونيوتن الذين حرروا العقل الأوروبى مـــن وهم أن الأرض مركز الكون. وأسس الأمير هنرى الملاح أكاديميته العلمية فى مجال الجغرافيا وبناء الســـفن ورسم الخرائط بأسلوب علمى التى مكنت البرتغال من المضى فى كشوفاتها الجغرافية وعلم الغرب بكروية الأرض واكتشفوا العالم الجديد. وظهر فى السويد فى القرن 18 العالم البيولوجى الفـــذ كارل لينيوس Carl lin-naus الذى وضع الأساس العلمى لتصنيف الكائنات الحية فى رتب متتالية، وتلاه العالم الشهير البريطانى تشـــارلز دارون واضع نظرية النشـــوء والارتقاء والذى ســـببت نظريته صداماً شـــديداً بينه وبين السلطة الكنســـية كما حدث من قبل مع جاليليو، والصدام التالى مع السلطة الكنسية كان مع الجيولوجى البريطانى john perry الذى صرح فى عـــام 1895 أن أبحاثه أثبتت أن عمر الأرض يتراوح بين 2 و3 بلايين سنة فى تعارض مع آباء الكنيسة الذين يصرون على أن عمر الأرض لا يتجاوز ســـتة آلاف سنة طبقاً لحسبتهم لأعمار الأنبياء من آدم حتى السيد المسيح. ورافق ذلك جهود العديد من الفلاسفة مثل ســـبينوزا وديكارت وكانط ولوك الذين حرروا العقل الأوروبى.

كان من المأمول أن يؤدى تحرر العقل وانفتاح العلم إلى أن يســـود الخير والرخاء على البشرية، وفعلا أدت الظروف المصاحبة لعـــصر النهضة وما تـــلاه إلى تراكم هائل للثـــروة فى الغرب. ولكن لم يـــؤد ذلك إلى ســـيادة المفاهيم التى صاغهـــا جان جاك روسو وتبنتها الثورة الفرنسية وهى الحرية والمســـاواة والإخاء، بل ارتـــدت الحضارة الغربيـــة إلى المفاهيـــم العنصرية للإغريق والرومان، وأصبحوا يرون من غيرهم خارج الحضارة الأوروبيـــة كبرابرة وهمج يجوز اســـتعبادهم وتدمير حضارتهـــم الوثنية الشريرة. فبدأوا بتدمـــير حضارات العالم الجديد الآزتيك فى المكسيك والمايا فى أمريكا الوسطى والإنكا فى بيرو، وخطف واستعباد ســـكان إفريقيا ونقلهم إلى العالم الجديد. ومـــع بزوغ فجر القـــرن 19 كانت الدول الأوروبية قد بـــدأت فى إخضاع باقى العالم واســـتعماره. ومع نهاية الحـــرب العالمية الأولى ســـقطت الدول العربية والإسلامية التابعة للدولة العثمانية فى قبضة الاستعمار الأوروبى وصارت الحضارة الأوروبية هى المهيمنة على العالم.

ولم تكتف الحضارة الأوروبية الغربية بالســـيطرة المادية على مستعمراتها ونهب ثرواتها واستعباد شعوبها لكنها صاحبت ذلك بحملة تسويقية للترويج للقيم ومظاهر الحضـــارة الأوروبية من جانب وتشـــويه معالم الحضارات الأخرى وبشـــكل خاص الحضارة الشرقية العربية والإسلامية التى شـــكلت العدو الرئيسى والشوكة الموجعة فى جنب الحضارة الأوروبية منذ ســـقوط الإمبراطوريـــة الرومانيـــة حتى ســـقوط الإمبراطورية العثمانية.

وفى أوج المد الاستعمارى صاغ الشاعر والأديب البريطانـــى Rudyard kipling العبارة الشـــهيرة «عـــبء الرجل الأبيض» التى ترجع اســـتعمار أوروبا للعالم لا إلى الطمع ونهب الثروات واســـتعباد البشر بل إلى مهمة نبيلة ســـامية لجلب الحضارة إلى الشـــعوب الهمجية والبربرية خارج أوروبا ناسياً أو متناسياً أن هذه الشعوب البربرية منها الشـــعب البابلى الـــذى صاغ «ملحمة

سقوط روما

جلجامش» قبل قرون من صياغة هوميروس للإلياذة والأوديسة ووضع قانون حمورابى قبل قرون من القانون الرومانى، وأن إمبراطورية الإنكا فى البيرو رصفت طرقاً أطول من مجمل الطرق الرومانية، وأن معابد الكرنك تسبق زمنياً بقرون وتفوق فى المساحة والمعمار درة المعمار الآثينى فى الإكروبول.

ولعل من أخبث ما قامت به أوروبا هو استغلال تراث الشرق فى تشويه حضارته والمثال على ذلك هو استغلال روايات «ألف ليلة وليلة» فى الإيحاء بأن حضارة الشرق هى حضارة حسية إباحية ماجنة ناسية أو متناسية أن الغرب له نصيب أكبر فى الإباحية والمجون صورته الرسومات فى مدينة بومبى الإيطالية التى دفنتها حمم بركان فيزوف، فضلاً عن أعمال شعراء مثل الإيطالى بوكاشيو وحديثاً الروائى البريطانى D.h.lourance .

ظل الشرق محافظاً على هيبته حتى منتصف القرن الثامن عشر عندما انهزمت الجيوش العثمانية هزائم فادحة فى حربها مع روسيا التى أظهرت التخلف التقنى والإدارى الهائل للشرق، وبدأت سلسلة تنازلات بمنح الدول الأوروبية امتيازات تجارية وسياسية عديدة فى أملاك الدولة العثمانية، وهى التنازلات التى أطلقت القوى الغربية عليها Capitulations أى الانهيارات. والمفارقة هى أن الدولة العثمانية حاولت أن تصلح موازين القوة بالاستعانة بأعدائها، وبدلاً من فتح الباب أمام رعاياها للاستزادة بالعلم الحديث جلبت المستشارين الأوروبيين لتحديث جيشها وأسطولها وتقوية حصونها فتحولوا إلى جواسيس وعيون عليها ونقلوا نقاط ضعفها إلى القوى الغربية. والأدهى والأخطر من ذلك أن هؤلاء الخبراء صاروا مثالاً وقدوة لأبناء الشرق فصاروا يتشبهون بملبسهم ومسلكهم ففقد الشرق كثيراً من شخصيته وخصوصيته.

ومع حلول القرن التاسع عشر بدأ تفسخ الدولة العثمانية واستقلت عنها العديد من مستعمراتها الأوروبية، ومع النصف الثانى من القرن بدأ الاستعمار العسكرى لعديد من الدول العربية مثل مصر والجزائر وتونس ومشيخات وإمارات الجنوب العربى.

ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بدأت فى الغرب حملة ممنهجة للترويج والتسويق لسمو وتفوق الحضارة الغربية وفى نفس الوقت تشويه وتحقير حضارة الشرق. ساعد على ذلك تقدم تقانات الطباعة والنشر وإصدار كتب عديدة تشيد بالحضارة الغربية وبقيمها ثم ظهور الراديو والسينما التى كرست تدنى الحضارات الأخرى وتفوق الرجل الأبيض. ولعل المثال الأكثر فجاجة فى هذا الصدد كان أفلام طرزان الرجل الأبيض الذى ربته القرود فصار بفضل جيناته المتفوقة المدافع عن الرجل الأسود وحاميه. وكان التليفزيون امتداداً آخر لهذه الحملة. ولعل قمة وأوج هذه الموجة كان كتاب «صراع الحضارات» للكاتب صمويل هنتنجتون الذى ظهر فى عام 1996 ثم كتاب «نهاية التاريخ» للكاتب فوكوياما الذى ظهر فى عام 1992 ولكن ودون أى مشاعر شوفينية منحازة هل هذه الدعاوى تستند إلى أى أسانيد تاريخية.

ولعل من أكثر العبارات التى استفزتنى ودفعتنى لكتابة هذه السطور هى ما جاءت وتكررت فى العديد من الأدبيات الغربية بأن انتصار آثينا فى معركتى ماراثون عام 490 ق.م وسالاميس عام 480 كان له الفضل فى حماية حضارة الإغريق السامية من انتشار البربرية والهمجية الشرقية Oriental Barbarism وأن انتصار الإسكندر الأكبر على الفرس بقيادة الملك داريوس الثالث فى معركة أربيل عام 331 ق.م هو الذى أتاح انتشار قيم الحضارة الإغريقية فى العصر الهيلينستى لتعم فى حوض البحر المتوسط وغرب آسيا.

وبمراجعة موضوعية للتاريخ نجد أن بلاد اليونان لم تكن أكثر تحضراً من بلاد فارس فى هذا الوقت، ولروعتنا المذابح التى ارتكبها الإسكندر المسمى بالأكبر الذى ذبح أكثر من عشرين ألفاً من سكان صيدا بعد استسلامهم عقاباً لهم على مقاومة جيوشه الغازية والذى عاث قتلاً ونهباً فى إمبراطورية فارس بعد فتحها والذى يصفه أقرب قواده إليه بأنه كان قلما يفيق من السكر.

صحيح أن الشرق شهد حكم العديد من الطغاة لكنه لم يشهد مثل عسف قناصل روما الذين ذبحوا ثلاثين ألف عبد وصلبوا أحد عشر ألفاً أخرى بعد أن قضوا على ثورة العبيد التى قادها سبارتاكوس عام 71 ق.م ولم يرَ الشرق إمبراطوراً مثل نيرون الذى حرق عاصمة ملكه ولا كاليجولا الذى عبر عن احتقاره لمجلس الشيوخ بتعيين جواده عضواً فى المجلس.

لم يشهد الشرق مذابح وفظائع مثل التى ارتكبت من خلال محاكم التفتيش ولا إبادات جماعية مثل التى ارتكبت ضد سكان العالم الجديد فى الأمريكتين.

لقد ارتكب الشرق نصيبه من الأعمال البربرية وارتكب الغرب نصيبه من الأعمال البربرية التى تفوق ما قام بها الشرق لكن الغرب يقوم بحملة ثقافية وإعلامية هائلة لتزكية حضارته وتشويه حضارة الشرق أتاح له ذلك سيطرته على صناعات الطباعة والنشر.

بمراجعة موضوعية للتاريخ نجد أن بناء الإمبراطوريات والنهم إلى الثروة والهيمنة على البشر يدفع بناة الإمبراطوريات إلى اقتراف الفظائع لتحقيق طموحاتهم ولعل الرجوع إلى ما قام به المستوطنون الأوروبيون فى أمريكا الشمالية الذين اشتروا الأراضى من السكان الأصليين بحفنات من الحبات الزجاجية الملونة قبلها الهنود وهم غير واعين لمفهوم بيع الأرض التى كانوا يعتبرونها منة من الإله ليحيا عليها الإنسان دون امتلاكها يوضح هذه الشيم الشريرة فى نفوس البشر ويوضح التناقض بين مسلك العرب الذين تبادلوا التجارة مع سواحل الهند بشكل عادل حقق المصلحة للطرفين وما أن وصل البرتغاليون إلى الهند حتى دمروا وأحرقوا الممالك المزدهرة واستعبدوا أهلها.

لعل دروس التاريخ تعلمنا أن نكف عن مطامحنا لبناء الإمبراطوريات ونتجه إلى بناء حضارة إنسانية تقوم على التبادل العادل للمصالح بشكل يحقق المصلحة للجميع بلا نهب وبلا هيمنة وبلا قهر، ونقدم للأجيال القادمة مستقبلاً خالياً من الفظائع والبربرية والحروب والاستعمار والاستغلال، ونقول لمن يتهم الحضارة الشرقية بالبربرية والهمجية كما قال السيد المسيح «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر».

أمن مصر المائى وسد النهضة الأثيوبى

درجة أهمية مياه النيل بالنسبة لدول حوض النيل:

من المعلـــوم أن نهر النيل هو مصدر الحياة الوحيد لمصر ولذلك قيل إن مصر «هبة النيل»، وقد عبده قدماء المصريين وجعلوا منـــه الإله حابى إله الخير والعطاء. وهو أطول نهر فى العالم حيث يبلغ طولـــه 6853 كم ويغذيه النيل الأزرق الذى ينبع من بحيرة تانـــا والنيل الأبيض الذى ينبع من بحيرة فيكتوريا.

وتشـــترك فى نهر النيل إحدى عشرة دولة – يطلق عليها دول حوض النيل– هى الكونغـــو الديمقراطية - تنزانيا– رواندا– بوروندى– كينيـــا– أوغندا– إثيوبيا– جنـــوب الســـودان– إريتريا – مصر– السودان.

ودول حوض النيل ليست متساوية فى اعتمادهـــا على مياه النيـــل فإثيوبيا لاتحتاج سوى 1٪ من مياه النيل وكينيا 2٪ وتنزانيا 3٪ والكونغو 1٪ وبوروندى 5٪ والســـودان 15٪ نظـــراً لأن كثافة هطول الأمطار فى هـــذه الدول تجعلها غير محتاجـــة إلى مياه النيل بينما مصر هى الدولة الوحيدة فى حوض النيل التى تعتمد كلياً على مياه النيل وتستخدم كل إيرادها المائى نظراً لندرة الأمطار فيها.

ولقد اجتازت علاقات مصر القديمة بدول حوض النيل فـــترات ود وفترات جفاء كما كانت هناك فترات سلام وفترات حروب، ونتيجة لهذا انصهرت الأجناس المصرية والسودانية والإثيوبية بروابط أبدية من وحدة الدم والتراث الحضارى والدينى حتى زمن الفتح الإسلامى عام 640م، وكان المصريـــون والإثيوبيون كلهم أقباط يتبعون الكنيســـة القبطية الأرثوذكسية المصرية.

ويبدو أن حرمان مـــصر من مياه النيل كان هاجساً لدى حكام إثيوبيا فى عصور ســـابقة وهو ما حدث فى العصر الفاطمى أثناء حكـــم الحاكم بأمر الله وفى أيام الخليفة المنتصر الفاطمى حيث حدث تراجع فى مياه النيل فأوفد الحاكم فى الحالتين بطريرك الكنيســـة المصرية إلى إمبراطور إثيوبيا الذى أكرمه وسجد لـــه وعندما عرف أن ســـبب قدومه هو نقص مياه النيل وأن ذلك أضر بشـــعب مصر أمر الإمبراطور بفتح سد على النهر

سفير عزت البحيرى

رئيس مجلس إدارة

الجمعية المصرية للأمم المتحدة

ليجرى ماء النيل منه إلى مصر فزاد النيل زيادة كبيرة.

إلا أنـــه حدثت تطورات سياســـية ودينية خلال القـــرون الماضية أدت إلى فصل الكنيســـة الإثيوبية عن الكنيسة المصرية، ثم فصل الكنيســـة الإثيوبية تماماً عن الدولة الإثيوبية منذ ســـقوط الإمبراطور هيلاسى عـــام 1974 ومن ثم لم يعد لها تأثـــير مباشر على القرار السياسى وخاصة فيما يتعلق بالوساطة بين حكومة مصر وإثيوبيا.

أمن مصر المائى:

اهتمت دراســـات العلاقات الدولية منذ نهاية القـــرن الماضى بإعادة النظر فى تعريف مفهـــوم الأمن القومى بحيث أصبح يتضمن قضايا الأمن المائى خاصة بعد أن أصبحت المياه سلعة إستراتيجية وأصبح الحفاظ عـــلى الموارد المائية من أهم قضايا الأمن القومى.

والأمـــن المائى هو وضع مســـتقر لموارد المياه يمكن الاطمئنان إليه عندما يستجيب عرض المياه للطلب عليها، أما عندما لا يســـتطيع عـــرض المياه تلبية الطلب عليها ينخفض مســـتوى الأمن المائى وهو الحال بالنسبة لمصر.

– ونظراً لأن خـــبراء المياه العالميين يرون أن خط الفقر المائى محدد علمياً وعالمياً بألف متر مكعب للفرد ســـنوياً، بينما يقدر نصيب الفرد فى مصر حالياً بأقل من575 متراً مكعباً. وقد يصل إلى أقل من ذلك كثيراً فى الســـنوات القادمة الأمر الذى أصبح يمثـــل تهديداً للأمن القومى المصرى.

– ونظراً لأن منابـــع الموارد المائية لمصر تقع خارجهـــا وبالتحديد فى دول حوض النيل، وبالتالى كان من الطبيعى أن يمتد مفهوم الأمـــن المائى إلى المنابع الرئيســـية فى حوض النيل، بحيث يعتبر أى عمل يجـــرى فى هذا الحوض يهدف إلى التأثير على حصة مصر المقررة سنوياً بمقتضى الاتفاقيـــات الموقعة مع دول المنبع وهى55 مليار متر مكعب (فضلاً عن الحقوق التاريخية المكتســـبة التى أقرتها قواعد هلســـنكى1966 وقانون الأنهـــار الدولية الجديد الـــذى أقرته الأمم المتحدة فى مايو1997 وغيرها من القواعد القانونية للأنهـــار الدولية) – يعتبر عملاً يمس الأمن القومى المصرى بشـــكل مباشر – ولذلك صرح الدكتور محمود أبوزيد وزير الرى والموارد المائية لمصر عام2003 أن مصر تعتبر اعتزام كينيا الانسحاب من اتفاقية توزيع المياه بـــين دول حوض النيـــل بمثابة إعلان رســـمى للحرب لأن ذلك يمس مصالح مصر الحيوية وأمنها القومى.

متى بدأت الأزمة بين مصر ودول حوض النيل:

ترجع جـــذور الأزمـــة بين مصر ودول حوض النيل إلى تاريخ اســـتقلال تنزانيـــا1964 عندما أصـــدر الرئيس يوليوس نيريرى رئيـــس تنزانيا إعلاناً بعدم الاعـــتراف بالاتفاقيات المبرمة قبل

الاستقلال ومنها اتفاقية1929 ، وقد نال هذا المبدأ تأييد أوغندا وكينيا كما أعلنت إثيوبيا رفضها لاتفاقيات 1929، 1959 وغيرهـــا فى جميع عهودها السياســـية وحتى النظام الحالى. وتشكلت بناء على ذلك جبهة للرفـــض والدعوة إلى تغيير الاتفاقيات من كل مـــن كينيا وتنزانيا وأوغنـــدا وإثيوبيا وهـــى دول المنبع فى مواجهة الجبهة المصرية السودانية وهى دولتا المصب.

ولذلك جاء الاتفـــاق الإطارى الذى عرف باســـم اتفاقية عنتيبى بين دول المنبع الخمس فى مايـــو 2010 والذى رفضت مصر التوقيع عليه مؤكداً لتجاوز الحقوق التاريخية المكتســـبة والحقوق القانونيـــة، حيـــث لم يتضمـــن البند الخاص بالإخطار المســـبق عند القيام بأية مشروعات تقـــوم بها دول حوض النيل. وزادت حـــدة التوتر خاصة بين مصر وإثيوبيا بعد تدشين سد النهضة الإثيوبـــى فى 2011، وإجـــراء تغيير مجرى النهر فى 2013. وزادت التوترات السياسية إلى أن تمت تهدئة الموقف عقب الاتفاق بين الرئيس الســـيسى ورئيس الوزراء الإثيوبى على تشكيل لجنة ثلاثية توصلت إلى اتفاق إعلان مبادئ بتاريخ 23 مارس 2015، وقد أقرت مصر بحق إثيوبيا فى التنمية بشرط عدم إلحاق أى ضرر بمصر، والواقع أن الاتفاق المشار إليه كان نتيجة للفشل المستمر فى إدارة الملف المائى منذ حكم الرئيس الأســـبق مبارك، مروراً بفترة إعلان تدشين السد والانكفاء على أمور الداخل المصرى بعد ثورة 25 ينايـــر2011، بالإضافة إلى ما حدث خلال حكم الرئيس الأسبق محمد مرسى عن الاجتماع الذى أذيع على العلن ثم تلى ذلك عام الرئيـــس المؤقت عدلى منصور.

والواقـــع أن هذا الاتفـــاق وإن كان خطوة عـــلى الطريق فى تعزيز العلاقات مع الجانـــب الإثيوبى، إلا أنـــه تأكيد لسياسة الأمر الواقع الذى اضطرت إليه مصر فى ظل التقاعس المســـتمر خلال السنوات الماضية عن دورها، والصعود الإثيوبى المتنامى على المستوى السياسى والاقتصادى والإقليمـــى - فى الصومال

وإريتريا وفى جنوب الســـودان - وتزايد معدلات النمو الذى يدفع نحو المزيد من المطالبات بالخطط التنموية والذى يعد مشروع سد النهضة على قمة أولوياته.

والواقع أن السياسة الإثيوبية عمدت رغم تعاقب تغيير رؤســـاء الوزراء على تبنى منهج واضح يهدف إلى كسب مزيد من الوقت حتى يتحول الســـد إلى واقع، ولم يتجاوبوا مع أية مقترحات من جانب مـــصر التى قدمت تنـــازلاً بإطلاق 40 مليار متر مكعب بـــدلاً من 55.5 مليار متر مكعب، بل عمد النظام الإثيوبى إلى تعبئة الرأى العام خلف هدف واحد هو إنهاء مشروع سد النهضة بصرف النظر عن الأضرار التى قـــد تصيب مصر من عدمها.

وقد نجح الرئيس عبدالفتاح السيسى فى وضع قضية سد النهضة الإثيوبى أمام المجتمع الدولى فى خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ســـبتمبر الماضى ووصفها بأنها قضية حياة ووجود.

وغنى عن البيان الإشارة إلى أن هناك خمس عشرة اتفاقية تنظم العلاقة بين مصر ودول حـــوض النيل منها خمس اتفاقيات مع إثيوبيا التى يرد منها 85٪ من مجموع نصيب مصر من مياه النيل، وتعهد الإمبراطور منليـــك الثانى ملك إثيوبيا فى إحداهـــا (15 مايو 1902) بعدم إقامـــة أو الســـماح بإقامة أية منشـــآت على النيل الأزرق أو بحيرة تانا أو نهر السوباط من شأنها أن تعترض سريان مياه النيل إلا بموافقة الحكومة البريطانية والسودانية مقدماً.

وحرصاً من مصر على مد جســـور التعاون مع دول حوض النيل لما تشكله من عمق إســـتراتيجى لمصر وما يمثله النيل فى حياة المصريين، فقد أصبح من الضرورى إيجاد آليات جديدة للتعاون الإقليمى بين دول الحـــوض إلى جانب الاتفاقيات السابق الإشـــارة إليها، وقد بدأت فعلاً هذه الآليات منذ ســـتينيات القرن الماضى على النحو التالى:

1) هيئة مياه النيل.

2) مـــشروع الهيدروميـــت 1967 (مـــصر- كينيا- أوغندا- الســـودان- تنزانيا- روانـــدا- بوروندى- الكونغو وإثيوبيا مراقب).

3) تجمع الأندجـــو 1983 (معظم دول حوض النيل).

4) تجمع التكونيل 1992 (مصر- الســـودان- تنزانيا- أوغندا- رواندا- الكونغو) باقى الدول بصفة مراقب.

5) مبـــادرة حـــوض النيل 1999 بهدف وضع إســـتراتيجية للتعاون بين الدول النيلية.

6) المكتـــب الفنـــى الإقليمى للنيل الشرقـــى 2001 (مصر- الســـودان- إثيوبيا).

ورغم كل هذه الاتفاقيات والمحاولات إلا أن الصراع المائى بـــين دول المصب

أمن مصر المائى وسد النهضة الأثيوبى

ودول المنبع دار حول الموضوعات التالية:

1. العودة إلى إعادة توزيع الحصص والأنصبة المائية.

2. الصراع حول مدى مشروعية الاتفاقيات السابقة ومدى مرجعيتها كإطار قانونى ينظم المسائل الإجرائية والهيدرولوجية المتعلقة بالنهر.

3. الصراع حول مدى لزومية شرط الإخطار المسبق عند القيام بمشروعات مائية من قبل دول المنبع.

وأكدت مصر مراراً وتكراراً زيف الادعاءات التى تروج لها بعض دول المنبع من أن مصر تعارض جهود ومشاريع التنمية فى هذه الدول، إلا أن التدخلات الخارجية كان لها دور فى التأثير على دول حوض النيل، لتشجيعها على المطالبة بإلغاء الاتفاقيات السابقة التى تتضمن ضرورة التشاور مع مصر قبل إجراء أى مشروعات على النيل تؤدى إلى نقص تدفق مياه النيل إلى مصر، ولذلك ألمح وزير الموارد المائية فى مصر إلى محاولات إسرائيل للضغط على مصر لإمدادها بالمياه من خلال طرح فكرة تدويل الأنهار فى العالم.

وكان رد مصر بأن إسرائيل لن يكون لها نصيب من مياه النيل.

وفى هذا المجال أود أن أشير إلى ما ذكره المحلل السياسى الأمريكى «مايكل ليكون» مؤلف كتاب «حروب مصادرة الثروة»، أن إسرائيل لعبت دوراً كبيراً مع دول حوض النيل لنقض الاتفاقيات الدولية التى تنظم توزيع المياه فى حوض النيل، وأن الإدارة الأمريكية توفر لإسرائيل كل سبل التأثير على دول مثل «إثيوبيا وكينيا ورواندا وأوغندا والكونغو». فقد كشف الكاتب الأمريكى عن اجتماع عقد فى تل أبيب بين أعضاء الكنيست الصهيونى ووزراء إثيوبيين تناول بحث إقامة مشاريع مشتركة عند منابع نهر النيل، وأن الأجهزة الصهيونية تقوم على إقناع الوزراء الإثيوبيين باستكمال المشاريع المشتركة التى كان قد توقف العمل بها. وأشار إلى أن هذه المشروعات تتضمن إقامة أربعة سدود على النيل لحجز المياه وتوليد الكهرباء وضبط حركة المياه باتجاه مصر والسودان.

وتواصلت الضغوط الأمريكية والإسرائيلية على مصر من أجل تنازلها وقبولها بعض التعديلات على اتفاقية عام 1929 ووضع مصر أمام خيارين:

1. موافقة مصر على تزويد إسرائيل بحصة من مياه النيل.

2. إنشاء سدود عملاقة فى إثيوبيا وتخفيض المياه المتدفقة إلى مصر والسودان، وقد تمسك المفاوض المصرى خلال المفاوضات بالمبادئ الآتية:

1) التمسك بحقوق مصر التاريخية المكتسبة فى مياه النيل.

2) ضرورة موافقة مصر مسبقاً على أى مشروعات تقام فى حوض النيل تؤدى إلى تخفيض حصة مصر. وفى مايو 2010 أعلن رئيس الوزراء الإثيوبى على قناة الجزيرة أن مصر تسيطر عليها أفكار بالية وهى أنها تمتلك النيل وهى التى تحدد الحصص بين دول الحوض. وأضاف أن مصر ليس من حقها منع إثيوبيا من إقامة سدود على النيل، وأن مصر تحاول جر السودان إلى جانبها لكن السودانيين متفهمون ولكن المشكلة هى مصر.

وفى يونيو 2010 قدم وزير الخارجية المصرى أبو الغيط شكوى رسمية مع السودان إلى الجامعة العربية مطالباً دول الخليج والدول العربية بوقف استثماراتها فى إثيوبيا ووقف تصدير منتجات مهمة إليها، وأبدت دول الخليج موافقتها إذا فشلت المفاوضات بين مصر وإثيوبيا. كما قدمت مصر فى نفس الوقت شكوى رسمية إلى منظمة الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقى للمطالبة بعدم تمويل السد الإثيوبى من البنك الدولى أو غيره كما هددت باللجوء إلى التحكيم الدولى.

- وفى 7 يوليو 2010 صرح رئيس الوزراء الإثيوبى بأن العلاقات المصرية الإثيوبية قوية وصلبة ولاتوجد أية إمكانية لوقوع قلاقل بين البلدين وأنها كعلاقة الزواج الذى لايقبل الطلاق أبداً، وأن إثيوبيا فى حاجة إلى المنتجات المصرية الكيميائية والطبية والدوائية ومنتجات أخرى.

- وفى أواخر عام 2010 أعلنت ثلاث عشرة هيئة تمويل أوروبية وأمريكية تخصيص عشرين مليار دولار لمشاريع دول حوض النيل بشرط اتفاقها. وهذه الجهات هى الوكالة الكندية للتنمية الدولية ووكالة التنمية الألمانية- وزارة الخارجية الدنماركية- وزارة الخارجية الهولندية- هيئة التنمية الدولية السويسرية- البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة- الاتحاد الأوروبى- الوكالة الفرنسية للتنمية- وزارة الخارجية الفنلندية- وزارة الخارجية النرويجية- المؤسسة الإنجليزية للتنمية الدولية-

الولايات المتحدة الأمريكية– البنك الدولى.

– فى 9 نوفمبر 2010 اجتمعت هيئات التمويل المانحة السابق الإشارة إليها والبنك الدولى مع دول حوض النيل فى أوغندا وقد أصرت مصر على موقفها بدعم أى مشروع تنموى بدول حوض النيل فيما عدا المشروع الذى يقلل حصة المياه التى تصل إلى مصر.

– وفى 10 نوفمبر 2010 أعلنت الجهات المانحة وكذلك البنك الدولى أنه لا منحة طالما دول حوض النيل لم تتوافق مع مصر وطالما مصر لم تتوافق معها.

– وفى ديسمبر 2010 هددت إثيوبيا بالتعاون مع إسرائيل لبناء السد فى حالة إصرار مصر على تعنتها الذى سيتسبب فى ضياع عشرين مليار دولار، وبعد ذلك بعدة أيام صرح سيف الدين محمد خبير الدراسات الإستراتيجية بأكاديمية الأمن السودانية لصحيفة «الانتباهة» السودانية أن حوالى 400 خبير إسرائيلى زاروا إثيوبيا فى الفترة القليلة الماضية.

– وفى إبريل 2011 أعلنت إثيوبيا أن السد سيتكلف 4.8 مليار دولار ستوفر البنوك الصينية 1.8 مليار دولار وستتحمل إثيوبيا تكلفة الثلاثة مليارات دولار المتبقية دون الإعلان عن الجهة الممولة.

الدور الإسرائيلى:

استطاعت إسرائيل تحقيق طفرة كبيرة وإثبات تواجد قوى لها سواء على المستوى الدبلوماسى الرسمى وعلى مستوى العلاقات التجارية والفنية والتعاون العسكرى، وأصبحت فاعلاً إقليمياً منافساً. وقد ساعد على ذلك قدرتها على تلبية الاحتياجات الاقتصادية والفنية والعسكرية للدول الإفريقية الفقيرة وكذلك تواجدها فى جنوب السودان حيث كانت تؤيد حركة الجيش الشعبى لتحرير السودان بزعامة جون جارانج.

ولجأت إسرائيل لتحقيق أهدافها فى محاصرة مصر فى حوض النيل إلى ثلاثة محاور:

الأول: تشجيع جيل جديد من القادة الجدد الذين ينتمون إلى الأقليات فى بلدانهم ويرتبطون مع الولايات المتحدة ومعها بعلاقات وثيقة، ودعم حركات التمرد والحركات الانفصالية.

الثانى: محاصرة الأمن القومى المصرى وفق إستراتيجية إقامة تحالفات مع الدول والجماعات الإثنية المعادية للعرب والاستفادة من تواجدها فى المنطقة للتلويح بورقة المياه فى مواجهة السياسة المصرية.

الثالث: اتباع سياسة تقديم المنح والتدريب والمساعدات.

كما وقعت إسرائيل مع إريتريا فى فبراير 1996 اتفاقية أمنية عسكرية، وفى عام 2001 و2002 قامت إريتريا بمنح تسهيلات لإسرائيل لتعزيز وجودها فى المداخل الجنوبية للبحر الأحمر وخاصة الجزر المنتشرة فى هذه المداخل.

كما لعبت إسرائيل دوراً فاعلاً فى الصراع الذى شهدته منطقة البحيرات العظمى خلال عام 1994 فى بوروندى ورواندا والكونغو الديمقراطية حيث كانت الأسلحة الإسرائيلية تصل تلك الدول عبر قنوات رسمية وغير رسمية، فضلاً عن الخبراء العسكريين الإسرائيليين، حيث تستضيف الكونغو وحدها أكثر من 150 خبيراً عسكرياً إسرائيلياً. وتشير بعض التقديرات إلى أن قيمة الأسلحة المصدرة إلى الدول فى هذه المناطق وصلت إلى أكثر من 600 مليون دولار عام 2002.

واستطاعت إسرائيل المحافظة على وجودها الدائم فى إثيوبيا بغض النظر عن طبيعة النظام الحاكم، ومما عزز العلاقات الإسرائيلية الإثيوبية الارتباط الروحى للإثيوبيين من سلالة سليمان بالأماكن المقدسة فى القدس المحتلة.

ولذلك قامت إسرائيل بإمداد إثيوبيا بأسلحة ومعدات عسكرية وذخائر فى مجال الأمن الداخلى وحرب العصابات بالإضافة إلى تدريب الطيارين الإثيوبيين بالقوات المسلحة الإسرائيلية.

وتشترك إسرائيل فى مشروعات زراعية تقوم على استغلال المياه فى بحيرة فيكتوريا وأيضاً مشروعات إثيوبية حول منابع النيل فى مجالات الزراعة والكهرباء.

وقد أكد تقرير لجنة الشئون العربية بمجلس الشورى المصرى عام 1991 بعنوان «أزمة المياه فى المنطقة العربية» على تورط إسرائيل فى إثيوبيا والخطط الإسرائيلية لمساعدة إثيوبيا فى إنشاء ستة سدود على النيل الأزرق، وهى سدود تشكل تهديداً مباشراً لحصة مصر من نهر النيل. ورأت اللجنة فى تقريرها أن إسرائيل تحاول ضرب دفاعات مصر الجنوبية وفرض الحصار على الموارد الإستراتيجية لنهر النيل، وأضاف التقرير أنه أصبح واضحاً أن إسرائيل اتجهت إلى توسيع دائرة حركتها فى حوض النيل حيث امتد نشاطها إلى أوغندا وجنوب السودان.

وفى عام 1996 أعلن وزير الرى المصرى الأسبق د. محمد المهدى راضى

أمن مصر المائى وسد النهضة الأثيوبى

عن وجود اتفاق بين إسرائيل وإثيوبيا على إقامة سد لتوليد الكهرباء فضلاً عن موافقة البرلمان الإثيوبى على المشروع بإنشاء خزانين على النيل الأزرق وموافقة البنك الدولى على تمويل المشروعين دون أن يشترط حصول إثيوبيا على موافقة باقى دول حوض النيل، كما هو معمول به وفقاً للعرف السائد.

وفى سياق تحقيق أهداف السياسة الإسرائيلية فى حوض نهر النيل تبنت إسرائيل إستراتيجيتين متباينتين رغم أنهما متزامنتين لتحقيق أهداف سياستها المائية التوسعية:

الإستراتيجية الأولى: إستراتيجية محاصصة مصر فى مياه النيل:

وتستند المطامع الإسرائيلية فى نهر النيل إلى نص التوراة القائل «فقطع مع إبراهيم ميثاقاً بأن يعطى لنسله هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات».

وعلى هذا الأساس تجددت الأطماع الصهيونية فى نهر النيل عبر تاريخها الطويل فلم يكن هناك حلم استعمارى ارتبط بالمياه كما كان الحلم الصهيونى وارتباطه بمياه النيل وحتى الفرات مروراً بدجلة والأردن واليرموك والليطانى.

وقد شكلت نظرة إسرائيل تجاه مياه النيل جزءاً من النهج الإسرائيلى تجاه المياه المشتركة بينها وبين الدول العربية، ولذلك قامت بطرح العديد من المشروعات حول اقتسام أو محاصصة مياه النيل والحصول على حصة مائية من نصيب مصر من مياه النيل، وفيما يلى موجز لتلك المشروعات:

1. مشروع هرتزل عام 1903 وقد ظهرت فكرة هذا المشروع فى مطلع القرن التاسع عشر عندما تقدم الصحفى اليهودى «هرتزل» مؤسس الحركة الصهيونية عام 1903 إلى الحكومة البريطانية بفكرة توطين اليهود فى سيناء واستغلال ما فيها من مياه جوفية وكذلك بعض من مياه النيل، وقد وافق البريطانيون على هذه الفكرة مبدئياً على أن يتم تنفيذها فى سرية تامة، وقد استتبع ذلك إرسال بعثة صهيونية كشفية إلى مصر إلا أن المشروع قوبل بالرفض لاعتبارات عديدة.

2. مشروع اليشع كالى 1974 وأطلق عليه مشروع « مياه السلام» والذى كان يهدف إلى نقل 1٪ من مياه النيل أى 800 مليون متر مكعب سنوياً إلى قطاع غزة والنقب الإسرائيلى وذلك عن طريق توسيع ترعة الإسماعيلية والتى تتغذى من روافد دمياط، وقد قوبل هذا المشروع بالرفض من جانب مصر، إلا أنه عاد للظهور عام 1978 وأطلق عليه حل نموذجى لنقص المياه فى إسرائيل، ثم طرح هذا الموضوع مرة ثالثة خلال انعقاد ندوة التعاون الاقتصادى فى الشرق الأوسط حيث تم طلب بيع مصر لإسرائيل حصة من مياه النيل قدرها 1٪ من إيراد النيل.

3. مشروع 1979 قدمه خبير المياه الإسرائيلى شاؤول أولوزوروف للرئيس الأسبق أنور السادات خلال مباحثات كامب ديفيد 1979 ويهدف إلى نقل مليار متر مكعب من مياه النيل إلى إسرائيل، من خلال شق قنوات تحت مياه قناة السويس، وقد تم رفض هذا المشروع أيضاً لتعارضه مع الثوابت المائية لمصر.

ثانياً: إستراتيجية التطويق Containment

كما لجأت إسرائيل إلى تبنى إستراتيجية التطويق بالعمل على محاصرة السياسة المصرية فى الدائرة النيلية، كما سبق أن أشرنا، بالنفاذ إلى عمق الأمن القومى المصرى الجنوبى وتوظيف دول المنبع لحصار دول المصب.

2 – دور الولايات المتحدة الأمريكية فى الصراع المائى بين مصر ودول حوض النيل:

ويمكن القول بأن الدور المائى للولايات المتحدة فى حوض النيل يرتبط أساساً بالمصالح الأمريكية فى المنطقة، والتى ترتكز على دعم الوجود الإسرائيلى بهدف استمرار إسرائيل فى القيام بدورها كأداة لهذه السيطرة، وإعاقة أية اتجاهات تعمل على إحداث تغيير من شأنه التأثير على مصالحها.

وقد عملت الولايات المتحدة خلال السنوات الأخيرة على توثيق علاقاتها

مع إثيوبيا باعتبارها إحدى أهم دول منابع النيل حيث نسبة 85٪ من مياه النيل، وكذلك محاصرة الأمن القومى العربى. ولا سيما امتداده المصرى السودانى فضلاً عن سعيها لتثبيت تفوق إسرائيل. وتجدر الإشارة إلى أن الباحثين الأمريكيين هم أول من التقطوا خطورة مسألة المياه على أوضاع المنطقة وذلك منذ أوائل الثمانينيات حيث صدرت تقارير وأبحاث تحذر من بوادر أزمة المياه فى المنطقة.

وهذا التدخل يمثل تحدياً أمام صانع القرار المصرى بحيث أصبح هذا التدخل واضحاً، ومن منطلق الربط فى الإستراتيجية الأمريكية بين المياه والصراع، حيث إن الولايات المتحدة تستثمر قضايا المياه بالمعنى السياسى والإستراتيجى فى منطقة حوض النيل.

3 - دور البنك الدولى فى الصراع المائى بين مصر ودول حوض النيل:

وهناك مؤشرات عديدة تؤكد أن البنك الدولى لا يمكن اعتباره طرفاً محايداً أو وسيطاً بشأن قضايا المياه، حيث إنه ينحاز لطرف على حساب طرف آخر وخصوصاً فى ظل شغل الإسرائيليين فيه لمناصب مهمة، فضلاً عن أنه يخضع منذ نشأته للسيطرة والهيمنة الدولية من قبل الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحده الأمريكية.

وبالتالى فإن البنك الدولى بمفاهيمه وبدائله التى يعرضها (أسواق المياه - الإدارة المائية - بورصة المياه - تسعير المياه) لا يمكن أن يعد طرفاً محايداً حيث أن تسعير المياه يحولها إلى سلعة اقتصادية وذلك من شأنه أن يهدد الحقوق المكتسبة لمصر عبر التاريخ.

وقد أكد وزراء الرى والموارد المائية فى مصر رفض مبدأ تسعير المياه شكلاً وموضوعاً.

وتوجد سابقة لتسعير المياه فى منطقة السادات التى تتمتع الكونغو بعضويتها حيث وقعت جنوب إفريقيا ودولة ليسوتو عام 1986 اتفاقية نقل المياه من ليسوتو إلى جنوب إفريقيا وبالتالى فإن فكرة تسعير المياه فى حوض النيل من شأنها أن تهدد حصول مصر على حقوقها التاريخية المكتسبة، وبالتالى تزيد من حدة التوترات بين دول المنبع وبين مصر.

التوصيات:

فى ضوء وصول المفاوضات بين الجانبين المصرى والإثيوبى إلى طريق مسدود نظراً لتمسك إثيوبيا بموقفها الأحادى الجانب وغير القانونى ثم إعادة استئنافها نتيجة الوساطة الأمريكية، ترى الجمعية المصرية للأمم المتحدة وهى من أعرق وأكبر منظمات المجتمع المدنى فى مصر ما يلى:

أولاً: أهمية وقوف الشعب المصرى بكافة أطيافه خلف القيادة المصرية ومساندتها فى موقفها العادل.

ثانياً: أهمية مواصلة قيام الإدارة المصرية بكل مؤسساتها وكل ما تملك من قوى ناعمة وغيرها وبما لها من علاقات إقليمية ودولية العمل فى اتجاهين:

1 - مواصلة الضغط على إثيوبيا للالتزام بالاتفاقيات الدولية المبرمة مع دول حوض النيل، وكذلك الالتزام بمبادئ القانون الدولى الحاكمة، وقانون الأنهار الدولية الجديد الذى أقرته الأمم المتحدة فى مايو1997 ، ومبدأ الحقوق التاريخية المكتسبة الذى أكدته قواعد هلسنكى عام1966 ، وكذلك قواعد برلين 2004 وغيرها، خاصة فى ظل خطط إثيوبيا لإنشاء مزيد من السدود وهو ما يجعل الوضع المائى لمصر فى خطر أشد.

2 - العمل على وقف التدخلات الخارجية أيا كان مصدرها والتى تعمل على استعداء دول حوض النيل بوجه عام وإثيوبيا بوجه خاص ضد مصر.

ثالثاً: أن تكون الإدارة المصرية قد أدركت تماماً أن عملية الحفاظ على الأمن المائى والأمن القومى المصرى ينطلق من الحفاظ على تواجدها فى العمق الإستراتيجى الخاص بها، مما يتطلب تدعيم وتوثيق علاقاتها مع دول القارة الإفريقية بوجه عام ودول حوض النيل بوجه خاص، وهو ما تجاهلته الإدارة المصرية فى عهد الرئيس الأسبق مبارك عقب محاولة اغتياله فى أديس أبابا.

السياسة الخارجية المصرية فى عهد الرئيس السيسى تقوم على المبادئ والقيم وترتكز على تحقيق السلام الشامل والرخاء لشعب مصر، والانفتاح على العالم أجمع شماله وجنوبه شرقه وغربه، مع التركيز على دول حوض النيل بهدف كسب الأصدقاء وتوسيع الخيارات والتحاور مع الجميع، آخذة فى الاعتبار المتغيرات السياسية الدولية وقيمة مصر الحضارية والتاريخية، ملتزمة بمبادئ العدالة والقانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى، وبهدف تأمين احتياجات مصر المرتبطة بأمنها القومى وخاصة أمنها المائى وعلى مدار التاريخ مرت مصر بفترات انتصار وانكسار، لكن سرعان ما تقوم من كبوتها. وعندما تتحدث مصر ففى حديثها قوة وعظمة، وعندما تصمت ففى صمتها كبرياء، وعندما تنتفض تعطى دروساً لكل دول العالم، وهذا ما أكدته ثورة يناير2011 و30 يونيو2013 .

بانوراما أفريقيا (2)

عقد فى مدينة أسوان خلال شـــهر ديسمبر 2019 منتدى الاستثمار الإفريقى وحضره عدد من قادة الدول الإفريقية، وهو أحدث نشـــاط إفريقى عالى المســـتوى تقيمه مصر فى ظل رئاسة الرئيس عبدالفتاح الســـيسى للاتحاد الإفريقى، والتى من المقرر أن تنتهى فى 10 فبراير 2020 ويتسلمها الرئيس جاكوب زوما رئيس جنوب إفريقيا والذى حضر منتدى أسوان.

سفير عبدالفتاح عزالدين

afmecairo@gmail.com

ذكرت فى مقال سابق «مجلة الدبلوماسى – نوفمـــبر 2019» أن الهدف من كتابة هذه الموضوعـــات الإفريقية هو تقديم موضوعات متنوعة فى مجالات مختلفة عن إفريقيا، وذلك لإثـــارة اهتمام القـــراء والإعلاميين للتعرف والتفاعل مع قارتنا السمراء.

أتذكـــر إحدى الحكايات الشـــعبية من نيجيريـــا – والتى وردت فى كتـــاب المترجم المصرى الشـــهير على شـــلش المنشـــور فى التســـعينيات بعنوان «مختـــارات من الأدب الإفريقى» – وملخصها أن الســـلحفاة التى تشـــتهر فى إفريقيا بالحكمة أرادت أن تجمع وتحتكـــر كل الحكمة الموجـــودة فى العالم، فســـعت إلى كل مـــكان وأخـــذت تدون فى قصاصات ورق ما تســـمعه من حكم حتى تجمع لديها أوراق كثيرة، فوضعتها فى كيس كبير وحملتـــه على ظهرها وبـــدأت تصعد الشجرة لتخبئها فى مكان آمن، ولكنها نست حكمة مهمة وهى أنه كلما صعد المرء إلى أعلى زاد وزن ما يحمل، فوقعت على الأرض وانتشر كل ما كان بالكيس، وتطايرت الحكمة فى كل مكان ولهذا الســـبب أصبح لدى كل منا قدر من الحكمة.

البربر أو الأمازيغ

هم سكان شـــمال إفريقيا الذين كانوا يعيشـــون فيها منذ حـــوالى 1000 عام قبل الميلاد ولا نعـــرف أصولهم بالتحديد، ومنهم سكان واحة ســـيوة المصرية «حوالى 35 ألف نسمة» وقبيلة هوارة بقنا. يقدر عدد الأمازيغ بما بين 30 – 50 مليون نســـمة، منهم 14 مليون نســـمة فى المغرب وحوالى 9 ملايين فى الجزائـــر ثم مئـــات الآلاف فى ليبيا وتونس. وكذلـــك تعيش أعداد كبيرة مـــن المهاجرين الأمازيغ فى فرنسا «2 مليون نسمة» وإسبانيا وكثير من الدول الأوروبية وكندا.

بدخول الإسلام إلى شمال إفريقيا تعرب كثير من الأمازيغ، وتظـــل هناك مجموعات منهم تتكلم اللغة الأمازيغيـــة أيضاً فى مالى والنيجر وموريتانيا وبوركينا فاسو، وهى لغة من عائلة اللغات الآسيوية الإفريقية «السامية والحاميـــة». وهى لغة لها لهجـــات عديدة تتحدثهـــا المجموعات الإثنيـــة المتفرعة عن الأمازيغ ومن هذه اللهجات القابلية والشلحية والشـــارية والمزابية وغيرها، وتحتوى اللغة الأمازيغية عـــلى حوالى 30٪ مـــن الكلمات العربية التى اكتسبتها.

أنشـــأ ملك المغرب محمد السادس المعهد الملكـــى الأمازيغـــى فى عـــام 2001 لتكون مهمته العمل على الحفاظ على اللغة والثقافة الأمازيغيـــة، وقـــد قام المعهـــد بوضع لغة أمازيغيـــة تكتب بخـــط التيفيناغ وهو خط ينســـبه اللغويون إلى الخط الفينيقى ويتميز بشكله الذى يشبه العلامات الهندسية.

يعود تاريخ قدماء الأمازيغ إلى حوالى عام 1000 قبل الميلاد حيث تولى شيشـــنق الأول الليبى عرش مصر عام 590 ق.م. وأســـس أسرتين أمازيغيتـــين هما الثانيـــة والثالثة والعشرون.

مر الأمازيـــغ بعدة مراحـــل فى تبنيهم للأديـــان فكانـــوا فى البدايـــة وثنيين ومن معبوداتهم المشـــهورة تانيت «تنســـب إليها الإلهة أثينا»، وهى ربـــة الخصوبة وحامية مدينة قرطاج، وأطلس وبوســـيدون وأوشت والشـــمس. وفى مرحلة تالية نـــزح اليهود الفينيقيون إلى شمال إفريقيا وتهودت بعض القبائل الأمازيغية واســـتمرت على هذا الدين حتى بعد الفتح العربى الإســـلامى. تلى ذلك إيمان الأمازيغ بالديانة المسيحية وبرز منهم القديس أوجيســـتين، كمـــا أصبحت قبائل البرانس من أهم القبائل المسيحية.

وعندما أسلم الأمازيغ بعد الفتح العربى كان إيمانهم قوياً فوصف ابن خلدون شـــدة إخلاصهـــم فقال: «بيعهـــم النفوس من الله فى ســـبيله وجهاد عدوه ما يدل على رســـوخ إيمانهم وصحة معتقداتهم ومتين ديانتهم».

ظهرت شـــخصيات مهمـــة وبارزة من الأمازيغ ســـاهمت بإسهامات إنسانية كبيرة، من بينها على سبيل المثال القديس أوغسطين، لوكيوس، أبولوس صاحب أقدم رواية إفريقية بعنوان «الحمار الذهبى»، ويوسف بن تاشفين مؤســـس دولة الموحدين فى المغرب والأندلس، وعباس بن فرناس وابن بطوطة، وفى العصر الحديث كثيرون منهم المفكر الإسلامى مالك بن بنى، وشـــاعر الثورة مفدى زكريا، ولاعب كرة القدم العالمى زين الدين زيدان.

تنتشر الثقافة الأمازيغية فى بلاد المغرب العربى مثل أكل «البسيســـة» و«الكسكسى» وملابس «البرنس»، والتقاليـــد الدينية التى من أشهرها «التعليم الليلى» و«عُرس القرآن» و«بخارى رمضـــان» و«المولد النبوى» وكلها تهدف إلى تعليم وتعلم قواعد الإســـلام كما يهتمون بمجالس الشعر العربى.

إن الثقافة الأمازيغيـــة مثلها مثل باقى الثقافات القديمة فى العالم العربى وإفريقيا ساهمت فى بناء الحضارة الإنسانية.

جزر القمر
جزر إفريقية وعربية

لعب فريقنا القومى لكرة القدم فى نوفمبر 2019 ضد فريـــق جزر القمـــر فى مباراة أقيمت فى مورونى عاصمـــة الجزر، وذلك فى إطار تصفيـــات كأس الأمم الإفريقية. تعادل الفريقان سلبياً وكاد الفريق القمرى أن يفوز بالمبـــاراة. وأتذكر أنه منذ عدة ســـنوات دعا الرئيس القمرى الأســـبق عبدالله سامبى فى حديث تليفزيونى إلى الاهتمام بالاستثمار فى جزر القمر، مشيراً إلى أن ميزانية بلاده تكاد تقترب فى قدرها من ميزانية النادى الأهلى أو نادى الزمالك!!

وجزر القمر اســـمها مأخوذ من الكلمة العربية «قمر» والاســـم الرســـمى للبلاد هو «الاتحاد القمرى»-UNiON DES COMO-RES.

تقول أحد أســـاطير جزر القمر أن جنى اســـقط جوهرة فشـــكلت حلقة نارية كبيرة هى بركان كارتالا الـــذى خلق جزيرة القمر الكبرى.

تتكـــون الدولة من أرخبيـــل من الجزر البركانية به أربع جزر كـــبرى بالإضافة إلى سلســـلة من الجزر الصغيرة، ويبلغ إجمالى مســـاحتها 1800 كم مربع فقط، ولذا تعد

الامازيغ يحتفلون بعامهم الجديد

من أعلى الدول الإفريقيـــة من حيث الكثافة الســـكانية رغم أن عدد الســـكان لا يتجاوز مليون نسمة.

تقع الجزر بين الساحل الشرقى لإفريقيا وجزيرة مدغشـــقر، وهى عضـــو فى الاتحاد الإفريقى وأيضاً فى جامعة الدول العربية.

وصل ســـكان جـــزر القمـــر إليها من إندونيســـيا وماليزيا بالقـــوارب فى القرن الســـادس الميلادى، ثم اتجـــه إليها الأفارقة البانتو من ســـاحل إفريقيا الشرقى، وكذلك وصل إليها عـــرب الخليج. ويرجع المؤرخون السواحيليون الأنساب إلى العرب الذين أبحروا من مملكة سبأ القديمة.

يقال أنه عندما ســـمع أهل الجزيرة عن الإســـلام عام632م وهو نفس عـــام وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أرسلوا إلى مكة المبعوث متسوا موينذزا ، ولكنه عندما وصل كان الرســـول صلى الله عليه وسلم قد توفى. وبعـــد مكوثه فترة فى مكة عاد إلى جزر القمر وقاد السكان إلى الإسلام.

وفى العصور الوسطى كانت الجزر محطة فى طرق التجارة الإســـلامية «العرب والفرس والهنود»، وقد علا شـــأن العرب أثناء الحكم العربى العمانى فى زنجبـــار. وهكذا تجمع الجزر فى ثقافتها التراثين العربى والإفريقى بصفة أساسية.

ظلت الجزر تحت حكم ســـلطان عمان حتى عام 1909 وكانت فرنســـا قد بدأت فى احتلال الجزر تدريجياً منذ عام 1849 حتى اســـتعمرت كل الجزر فى عام 1912. أعلنت الجزر استقلالها عن فرنسا من جانب واحد فى عـــام 1975، ولكن جزيرة مايوت «إحدى الجزر الأربعة الكـــبرى» أصبحت جزءاً من فرنسا - بعد اســـتفتاء عقد فى الجزيرة - فى عام 2011، ولكن مـــا زال الاتحاد القمرى يطالب بإعادة الجزيرة «مايوت وعليها قاعدة بحرية فرنســـية» كما يطالـــب بجزر أخرى متناثرة فى المحيط الهندى، وتستخدم فرنسا الفيتـــو فى مجلس الأمن ضد قـــرارات تأكيد سيادة جزر القمر على جزيرة مايوت. وجدير بالذكر أن هناك 200 ألف شـــخص من جزر القمر يعيشون فى فرنسا.

تبلغ نســـبة المســـلمين هناك 99 % من الســـكان ومعظمهم من الســـنة على المذهب الشافعى. وقد رصد المراقبون محاولات منذ عام 2006 لاســـتغلال قانون بيع الجنسية القمرية لشراء مئات جوازات السفر من جانب رجال أعمال إيرانيين ليتمكنوا باســـتخدامها من دخـــول أوروبا وبعض الـــدول العربية. وبعد تولى الرئيس الحالى غزالى عثمان رئاسة الاتحاد القمرى قام بقطع العلاقات مع إيران فى عام 2016.

يقوم اقتصاد البـــلاد على الزراعة وصيد الأســـماك وصيد الحيوانـــات وإدارة موارد الغابات بالجزر، وتحتاج إلى الاســـتثمارات الأجنبية خاصة العربية.

وتعتبر الجزر أكبر منتـــج لنبات إيلانج إيلانـــج والفانيليا فى العالـــم، والمعروف أن أشـــجار الإيلانج تستخدم فى صناعة العطور وتســـعى الحكومة إلى نشر التدريب المهنى وخصخصـــة الصناعة وتحســـين الخدمات الصحية وتشجيع السياحة إلى البلاد.

ولجزر القمر ســـفارة مقيمة بالقاهرة بينمـــا يعتبر الاتحـــاد القمرى هـــو الدولة العربيـــة الوحيدة التى ليس لمصر ولكثير من الدول العربية تمثيـــل دبلوماسى مقيم فيها رغم أهميتها الاســـتراتيجية ورغم أنها الحد الجنوبـــى للعالم العربـــى «يعتبرها الاتحاد الأوروبى رسمياً الحد الجنوبى له».

ومع التطـــورات الحالية للأحداث تجب الإشـــارة إلى أن الاتحاد القمرى رفع طلباً إلى المحكمة الجنائية الدولية فى مايو عام 2013 بشأن أحداث 31 مايو 2010 وغارة إسرائيل على أسطول الإغاثة الإنسانية الذى كان متجهاً إلى قطاع غزة، ولكـــن المدعى العام للمحكمة أصدر فى نوفمـــبر 2014 حكماً بأن الأحداث تشكل جريمة حرب ولكن لا ترقى إلى رفعها أمام هذه المحكمة الدولية.

ميريام ماكيبا
أم إفريقيا

ميريـــام ماكيبـــا (1932 - 2008) هـــى مغنية من جنوب إفريقيا ومن أشـــهر المطربات فى إفريقيا والعالم، تســـبب انتشار أغانيها فى الستينيات من القرن العشرين عن المضطهدين السود فى جنوب إفريقيا إلى قيام ســـلطات البلاد العنصرية بمنعها من العودة إلى البلاد أثناء مشاركتها فى مهرجان البندقية بإيطاليا ومشـــاركتها فى فيلـــم وثائقى عن الفصل العنصرى حينئذ «كما أسقطت عنها الجنسية فى عام 1968» ولشهادتها أمام الأمم المتحدة ضد النظام العنصرى فى بلادها فى عام 1959، فلجأت إلى الولايات المتحدة الأمريكية والتحقـــت بفرقة غنائية شـــهيرة. وظلت فى المهجر أكثر مـــن ثلاثين عاماً حصلت أثناءها على جوازات ســـفر من 9 دول، ولم تعد إلى جنـــوب إفريقيا إلا فى عام 1992 بعد الإفراج عن الزعيم نيلسون مانديلا والذى لقبها بأم إفريقيا MAMA AFRiCA.

كانت أغانيها تمـــزج بين البلوز والجاز، وكانت أغانيها تعطى الأفارقة الأمل فى الحرية والمساواة، وشـــاركت فى احتفالات استقلال كثير من الدول الإفريقية. اكتســـبت شهرتها بعد أغنيتهـــا «باتا باتا» عن إحدى الرقصات الإفريقية وذلك فى عام 1956. وحصلت على جائزة جرامى فى عام 1966. تزوجت هيوما سيكيلا العازف الموسيقى وعملت مع مشاهير الفنانين والعازفـــين فى الولايات المتحدة مثل مينا ســـايمون وديزى جيليبس. تزوجت من ستوكلى كارمايكل زعيم حركة القوة السوداء الشهير «وهى حركة للأمريكان الأفارقة ضد التفرقة العنصرية»، فطردتهما الســـلطات الأمريكية فلجأ كلاهما إلى غينيا فى عام 1973 حيث انفصلا هناك.

وقد نشرت ميريام ماكيبـــا مذكراتها فى عام 1987 تحت عنوان «قصة ميريام ماكيبا» (وعلى حد فهمى لـــم تترجم إلى العربية حتى الآن!)، ومنذ عودتها إلى جنوب إفريقيا أسست مركزاً لتأهيل المشردات فى مدينة جوهانسبرج.

كانت أول فرقة غنـــت معها فى جنوب إفريقيا هـــى «الأخوة الكوبيـــون»، ونظراً لمواقفهـــا الثورية فقد كانـــت كوبا إحدى المحطات المعتـــادة لها، وتحفـــظ الجالية الكوبيـــة أغانيهـــا، وكان لى حظ حضور

حفلهـا الأخـير فى هافانا فى عـام 2008 وشـاهدت اندماج الجمهور معها فقدمت مختارات من أشـهر أغانيهـا، كما قدمت فنانة شـابة وذكرت أنهـا ابنتها «وكانت ابنتها قد توفيـت فى الثمانينيات من القرن الماضى». ونقل عنهـا أنها قالت عن جولتها التى تضمنـت كوبا «يجـب أن أذهب إلى العالم لأشـكره وأودعه بعد ذلك سـأبقى فى بيتى مثـل جدة وأريد أن ينثر رمادى فى المحيط الهنـدى لأتمكن مجدداً من الإبحار إلى كل هذه الدول». ماتت وهى تقدم حفلاً فى إيطاليـا. كانت حياتهـا الفن والنضال من أجل إفريقيـا وكانـت حياتها حافلة بالأحداث. وأدعو الجيـل الجديد الإفريقى إلى الاسـتمتاع بأغانيها الجميلة الشـهيرة ومنهـا أغنية «باتا باتا» بلغة الخوسـا فى جنـوب إفريقيا، وأغنية «مـا لايكا» باللغة السواحيلية «فى شرق إفريقيا».

هناك كثير من الفنانـين الأفارقة الذين حازوا شـهرة فى القـارة وفى العالم ومنهم يوسف ندور - سالف كيتا - على فاركا توری - بابا مال - انجليك كيدجو، ومن يستمع إلى أغانيهم سـوف يدرك جمال الفن الإفريقى الحديـث، فهـل ننجح فى جذبهـم لتقديم حفلاتهم فى مصر؟ وإرسال فنانينا إلى ربوع إفريقيا؟

وختاماً أقترح أن تقوم وزارة الثقافة أو إحدى الهيئات الثقافية بجهد لإطلاق اسم هذه الفنانة العملاقة على أحد الشوارع أو المسارح أو المنشـآت الثقافية إجلالاً لإسـهاماتها، وتأكيداً للشـخصية الإفريقية. ومن المطلوب إظهار ترابطنا الثقافى مع جنوب إفريقيا ومع شعوب القارة كافة.

النعام

أكبر الطيور

النعامـة الإفريقية هى أكـبر الطيور الموجودة وهى ليسـت قـادرة على الطيران لثقل جسـمها، حيث يبلغ وزنها حوالى 130 كجم، كمـا أن أجنحتها صغيرة. يبلغ ارتفاع النعامة 2.5 متر، الذكور لونها أسود والأنثى بلون رمـادى، وهى طائر سريع العدو تصل سرعتها إلى حوالى 50 كم/ ساعة لطول وقوة ساقيها. يوجد منها ثلاث سلالات وهى النعام ذو الرقبة الحمراء وذو الرقبة الزرقاء والنعام الأسود الإفريقى.

يعيش النعـام فى البرارى الإفريقية فقط حيث غابات السـافانا وفى منطقة الساحل بشـمال وغرب إفريقيا، ويعتـبر النعام من الأحياء غير المهددة بالانقراض.

يتغذى النعـام على النباتـات وبعض الزواحف وتـأكل الكثير مـن الرمال لكى تسـاعدها على هضم الطعام. تضع النعامة حوالى 60 - 100 بيضة فى الموسـم فى حفر ويصـل وزن البيضة بـين 1 - 1.5 كجم، ويتبادل الأنثى والذكـر الرقاد على البيض. يصدر ذكـر النعام صوتاً كالزئير ليدافع عن نطاقه. يؤكل لحم النعام ويسـتخدم ريشه فى صنع الوسـائد المريحة، وتدبغ جلودها، وتصنع منه الحقائب وأشـياء أخرى ويرسم أو ينقش الفنانـون الأفارقة على قشر بيضة النعام للزينة. وتشتهر الصين بتربية النعام فى مزارع لاستخدام منتجاته اقتصادياً.

وللنعام أقـارب فى جنـس النعاميات انقرضت ومن الأنواع المنقرضة نوع يسـمى EREMOPEZUS وهـو طائر ضخم وجد نوع واحد منه فقط فى جبل قطرانى شـمال بحيرة قـارون بالفيوم يقدر عمره بين 33 - 63 مليون سنة.

ومن أشهر الأنواع المنقرضة حديثاً المواد MOA فى نيوزيلندا، ومن أقرب الطيور الحية إلى النعام طائر الشبنم CASSOWARY فى غينيا الجديدة «آسيا» وهو ثانى أكبر طائر فى العالم وعدوانى الطابع.

تناول الفلكلور الشعبى فى إفريقيا النعام وشـاع عالمياً تعبير «يخفى رأسه فى الرمال كالنعـام» للتعبير عن الخف مـن المواجهة والتصرف بغباء. ولكـن الحقيقة أن النعام يحتفظ ببيضه فى حفر فيذهب لرعايتها من وقت لآخر، كما أنه يأكل الرمال للمساعدة فى هضم الطعام، ونظراً لقوة سمعه فإنه يضع رأسه على الأرض ليسـمع من الصخور أى أصوات تقترب من مكانه. وفى حالة المواجهة فإن ركلتـه قوية جداً، كما يسـتخدم أحد إصبعى ساقه كمخلب.

وهناك مثل سودانى يعجبنى كثيراً يقول «إن أسـداً يقود ألف نعامـة خير من نعامة تقود ألف أسد» لبيان الدور الحاسم للشجاعة والقيادة والقوة.

ميريام ماكيبا

إيكواس

المجموعة الاقتصادية لغرب إفريقيا

هى منظمة اقتصاديـة دولية تهدف إلى تطوير الاقتصاد فى غرب إفريقيا، وقد وقعت الدول الأعضـاء على اتفاقات لتعزيز التعاون الأمنى بينها.

تأسسـت المنظمـة فى 25 مايو 1975 ومقرهـا أبوجا عاصمة نيجيريـا، واللغات الرسـمية بها هى الإنجليزية والفرنسـية والبرتغالية. تضم 15 دولة عضواً وهى: بنين - بوركينا فاسـو - الرأس الأخضر - ساحل العاج - جامبيـا - غانا - غينيا بيسـاو - ليبيريا - مالى - النيجر - نيجيريا - السنغال - سيراليون - توجو، يبلغ تعداد سكان هذه الدول حوالى 210 ملايين نسمة.

يختار رئيس إحدى الدول الأعضاء رئيساً للمنظمة لمدة عام للإشراف على عملها ويصبح وزير خارجيته تلقائياً رئيسـاً لمجلس وزراء المنظمة.

للمنظمـة ثلاثة أفرع وهـى التنفيذية والتشريعية والقضائية.

يتكون الفرع التنفيذى من مفوضية تضم 6 إدارات ويرأسـها أمين عام، ويرأس الفرع التشريعى رئيس البرلمان، ويتكون هذا البرلمان من 115 عضواً يمثلون شعوب الدول الأعضاء على أسـاس عدد سـكان كل منها. والفرع القضائى هو المحكمة ولها اختصاص الفصل فى الخلاف حول الاتفاقية المنشئة وتعديلاتها وتقديم آراء استشارية حول المسائل القانونية بالإضافة إلى أن المحكمة لها اختصاص الحكم فى المخالفات الجوهرية لحقوق الإنسان «مثل المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، ومحكمة

شرق إفريقيا للعدالة».

تستخدم 8 دول من 15 دولة عضو بالمجموعة الفرنك الإفريقى، وهو يختلف عن فرنك دول وسط إفريقيا، وبدأ استخدامه منذ عام 1945. وقد انتقد أحد كبار الساسة الإيطاليين مؤخراً هذا الفرنك الذى تستغل به فرنسا الدول الإفريقية.

وفى قمة الإيكواس فى سبتمبر 2019 فى واجادوجو عاصمة بوركينا فاسو للتصدى للتهديدات الأمنية فى غرب القارة، وما يحدث فى ليبيا وقد أعلن السيد محمد إيسوفو رئيس النيجر أن هناك ثلاثة أولويات للإيكواس خلال عام 2020 وهى إطلاق عملة الإيكو الموحدة لدول المجموعة، وتطوير البنية التحتية، وتعزيز الديمقراطية فى دول المجموعة.

وقد عقدت المجموعة قمة مشتركة مع دول الساحل فى ديسمبر 2019 وأعلن السيد جان كلود برو رئيس مفوضية الإيكواس أن القمة المشتركة قد وضعت خطة عمل للفترة 2020 – 2024 للقضاء على الإرهاب فى المنطقة تبلغ تكاليفها 2.3 مليار دولار من الموارد الداخلية للأعضاء وبتضامن الشركاء الدوليين وطلبت القمة منح قوات الأمم المتحدة فى المنطقة «مينوسيما» تفويضاً هجومياً فى ضوء مقتل عدد كبير من المواطنين وتشرد 2.8 مليون شخص نتيجة القتال.

وأهم القضايا التى تواجه المجموعة: عدم الاستقرار السياسى – ضعف أساليب الحكم – قلة تنوع اقتصاديات دول المجموعة – نقص البنية التحتية خاصة فى مجال النقل والاتصالات – قلة الاهتمام من جانب بعض الدول بإحداث تنمية اقتصادية – مشاكل الإرهاب فى المنطقة ومع ذلك فقد حققت المجموعة بعض النجاحات مثل إصدار جواز سفر موحد – الاشتراك فى بعض عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام.

ومن القضايا الحديثة فى المنظمة رغبة موريتانيا فى العودة إلى عضوية المجموعة بعد أن تركتها فى عام 2000 وقد طردت المجموعة دولة غينيا فى عام 2008 وتقدمت المغرب بطلب انضمام إلى الإيكواس فى فبراير 2017 بعد عودته إلى الاتحاد الإفريقى، وتوجد بعض المشاكل أمام هذا الانضمام فبعض النقابات العمالية الإفريقية تعارض لأنها تخشى من انخفاض أسعار السلع المغربية عن الإفريقية، وشرط فرض 5 – 35٪ على البضائع التى ترد من خارج المجموعة، كما أن الإيكواس يرغب فى أن تفتح المغرب الحدود لمواطنى المجموعة مما قد يتيح الهجرة. ويرغب الإيكواس فى أن تصبح عملته الموحدة «إيكو» لكل دولة خلال عام 2020.

وتبرز نيجيريا فى هذا التجمع باعتبارها أكبر دولة مثلها فى ذلك مثل بروز جنوب إفريقيا فى تجمع «سادك» فى جنوب القارة.

لعبة الكابويرا البرازيلية

كابويرا
القتال الراقص

لعبة قتال برازيلية يقوم فيها اللاعبون بحركات راقصة وأكروباتية بمصاحبة الموسيقى وتكون عادة على آلة وترية تسمى بريمباو أو بمصاحبة الغناء الفردى والجماعى. وتعود أصول اللعبة إلى العبيد الأفارقة من غرب إفريقيا «خاصة من أنجولا» الذين مارسوها كرقصة ولكنها كانت فى الحقيقة وسيلة للاحتفاظ بقدرتهم على الدفاع عن النفس بطريقة مستترة ضد الأسياد ملاك العبيد. وكلمة كابويرا مشتقة من لغة مجموعة من السكان الأصليين وتشير إلى مكان اختباء العبيد الهاربين فى الأراضى البعيدة عن الساحل.

نقل البرتغاليون خلال القرن السادس عشر حوالى 4 ملايين إفريقى كعبيد إلى الساحل الشمالى الشرقى للبرازيل، بالقرب من محطات توزيع العبيد فى الكاريبى «بانوراما إفريقيا – مجلة الدبلوماسى نوفمبر 2019» وكانوا يحظرون على هؤلاء العبيد الذين يعملون فى مزارع السكر والقهوة أن يحتفلوا بعاداتهم وتقاليدهم الإفريقية، كما كانوا يحظرون عليهم تعلم أى نوع من القتال فابتكر العبيد حركات الكابويرا والتى بدت لا علاقة لها بالتقاليد الإفريقية.

وهناك رقصات خاصة بالقتال بأسلحة فى جنوب أنجولا تسمى رقصات القوة EN–GOLO بنيت عليهم الكابويرا، كانت الكابويرا وسيلة لتفادى قوانين الحظر البرتغالية على العبيد فى البرازيل.

فى البداية كان العبيد يخضعون لملاكهم لأنهم تنقصهم الأسلحة وكانوا يخشون شدة المستعمر، وكانوا متفرقين ومختلفين فيما بينهم لأنهم أتوا من أماكن مختلفة من إفريقيا وكانوا فى أرض لا يعرفونها. ولكن مع المعاملة السيئة ازدادت مقاومة العبيد بطرق مختلفة منها الثورة أو تسميم الأسياد أو الهروب.

ومع الوقت تزايد عدد العبيد الآبق، وتجمعوا فى مناطق بعيدة عن تواجد البرتغاليين وبنوا تجمعات سكنية كبيرة Qui–LOMBOS (من أشهرها تجمع بالمارس الذى دافع عن نفسه بنجاح ضد الجنود البرتغاليين باستخدام الكابويرا).

كان البرتغاليون يكونون قوات خاصة لمطاردة العبيد الهاربين لإعادتهم. وصدر قانون إلغاء العبودية فى عام 1888 وفى عام 1890 منعت الحكومة البرازيلية ممارسة الكابويرا وكان المخالفون يعذبون أو تقطع أوصالهم، واضطر العبيد المحررون إلى ممارستها فى الخفاء بعيداً عن أعين الشرطة.

وبعد عام 1920 بدأ يضعف تطبيق الحظر على الكابويرا. ومن بداية الأربعينيات بدأ يظهر عدد من الأساتذة الذين جمعوا وطوروا حركات الكابويرا وكان من أشهرهم المعلم بيمبا MESTRE BiMBA.

تناول الفن البرازيلى اللعبة وهناك فيلم برازيلى شهير باسم BESOURO «إنتاج عام 2009» يتناول حياة أحد معلمى هذه اللعبة. وفى عام 2011 أدرجت اليونسكو لعبة الكابويرا على قائمة التراث الثقافى الإنسانى اللامادى.

يزور آلاف السياح سنوياً صالات الكابويرا فى البرازيل، كما تعلم اللعبة الآلاف حول العالم والآن توجد صالات لتعلمها وممارستها فى مصر أيضاً.

مصر والصين فى عالم متغير

فى إطار محاولتى اقتراح بعض الأفكار والخبرات من واقع خدمتى الدبلوماسية فى أديس أبابا ولندن وبروكسل وموسكو وغيرها للمساهمة فى مشروع عملية التحديث وبناء مصر الحديثة فى كافة المجالات، فقد قمت بعرض تحليلى لرؤيتى بشأن أسس عملية البناء وأهدافها وآلياتها فى مصر فى مقالات متعددة، وقمت بعرض كيفية الاستفادة من تجارب العديد من الدول ومن ذلك التجربة الهندية وتجربة سنغافورة، وتجربة كوريا الجنوبية ودول مجموعة البريكس أخذاً فى الاعتبار أن لكل دولة خصوصيتها وأن عملية التقدم ليست روشتة .

أن تطور العلاقات المصرية الصينية المتنامى يتم وسط سياسة خارجية متوازنة فى دوائر متنوعة ومهمة: العربية والإفريقية والأمريكية والآسيوية والأوروبية وفِى هذا الإطار يلاحظ الاهتمام على مستويات مختلفة بدعم العلاقات بين مصر والصين فى كافة المجالات ومن مؤشرات ذلك:

مقابلات السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى مع الرئيس الصينى أكثر من ست مرات وهذا التحرك المصرى نحو الصين يكتسب أهمية كبيرة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وتكنولوجياً والانفتاح على العالم يأتى فى ضوء نجاحات التحرك الدبلوماسى المصرى عربياً وإفريقياً حيث يتولى السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى الرئاسة الدورية للاتحاد الإفريقى، وآسيوياً وأوروبياً فضلاً عن التحرك المتواصل صوب واشنطن بهدف توثيق عرى المصالح الإستراتيجية الوطيدة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

أهمية التجربة الصينية تتضح فى الآتى :

أولاً - قدرة هذه الدولة العظيمة على امتلاك كافة مقاييس القوة العظمى ومعاييرها خاصة القيادة والسيطرة وبما فى ذلك القوة الناعمة والتلاحم بين القيادة والشعب فى الداخل الصينى والانتشار التدريجى إقليمياً ودولياً.

وثانياً - اتباع نهج الإدارة الرشيدة بكافة أبعادها خاصة وفقاً للتعريف الذى وضعه برنامج الأمم المتحدة للتنمية ومكافحة الفساد والحفاظ على قوة الدولة وإعلاء قيم المواطنة.

سفير د. يوسف الشرقاوى

yelsharkawy@yahoo.com

ثالثاً - القدرة على الانفتاح السياسى وعلى الاقتصاد العالمى خاصة منذ السبعينيات وإحداث عملية نمو اقتصادى حوالى تسعة فى المائة سنوياً فى العقود الثلاثة الماضية وأصبحت الصين ثانى أكبر قوة اقتصادية فى العالم.

ومن المثير للدهشة أن الناتج المحلى الإجمالى الصينى فى يوم واحد من عام 2008 يوازى حجم الناتج المحلى للصين فى السنة قبل ثلاثة عقود وتحقيق فائض مالى كبير ويشترون قطاعاً كبيراً من السندات فى الخزانة الأمريكية.

كما تشهد الصين حالياً نهضة صناعية وزراعية وعسكرية فضلاً عن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات الأمر الذى قد يجعلها فى تقديرى القوة الاقتصادية عالمياً قريباً والقوة العظمى عسكرياً على صعيد توازن القوى الثنائى على مستوى العالم فى حوالى عام 2025 على ضوء متابعتنا لعملية الإنفاق العسكرى الصينى والأمريكى فى الفترة الحالية وبضع سنوات ماضية.

هناك عوامل متوفرة لدى مصر والصين تساعد على دعم التعاون فى كافة المجالات خاصة الاقتصادية ومن ذلك:

- أن الدولتين تتمتعان بحضارة عظيمة تضرب جذورها وأعماقها عبر التاريخ وتمتد حتى الآن وتمثل قوة ناعمة لنهضتيهما وتوثيق عرى الصداقة بينهما.

- إن من عوامل التشابه المفيدة للبلدين وجود سوق كبير ويتميز السوق المصرى بأنه الطريق إلى إفريقيا والدول العربية وتوفر العمالة الرخيصة الماهرة فى البلدين.

- كما أن مصر توفر تسهيلات للاستثمار وتعتبر سوقاً جاذباً للاستثمارات فى البنية التحتية وتكنولوجيا الاتصالات والسياحة واستخراج وتكرير البترول والغاز وتشييد السكك الحديدية ومترو الأنفاق وغير ذلك.

يمكن الاستفادة من التجربة الصينية فى إطار توثيق عرى الصداقة بين البلدين مصر والصين وتدعيم العلاقات فى كافة المجالات من خلال الآتى:

1 - أهمية عقد دورات تدريبية للتعريف بالمشروعات الصغيرة والمتوسطة.

2 - أهمية زيادة الناتج القومى الإجمالى والدخل للفرد والأسرة والأدوات التكنولوجية الحديثة لتسييرها. وإلزام الشركات الكبرى بتوفير الدعم المناسب للمشروعات الصغيرة خاصة من خلال تخصيص نسبة من أعمالها للشركات الصغيرة والمتوسطة وإقامة نظام المشاركة معها خاصة فى قطاع أعمال

البناء والإنشاءات والتشـــييد وفى هذا الشأن فيسعدنى أن أشـــيد بما ذكره الســـيد الوزير الأسبق ثم رئيس أسبق للوزراء المهندس/ إبراهيم محلب وزير الإسكان والمرافق والمجتمعات العمرانية الأسبق أن تنفيذ العديد من المشروعات فى هذا الإطار ســـوف يتم إســـنادها للـــشركات المتوســـطة والصغرى ولن تكون مقصورة عـــلى شركة المقاولون العـــرب العملاقة والتـــى تقوم بدور متميز فى عمليات التشـــييد والبناء فى الدول الإفريقية والعربية وليس داخل مصر فقط فى العاصمة الإدارية الجديدة وربوع مصر وينبغـــى فى تقديرى أن يتم الاستفادة والاقتداء بهذا النموذج فى مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية الأخرى فى مصر.

3 - أنه يجب أيضاً البناء واستثمار العلاقـــات التاريخية بـــين الحضارة المصرية القديمة والحضـــارة العربية الإسلامية من جانب والحضارة الصينية وأن ما يعزز ذلك هو ما ذكره رســـولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم حول الاعتراف بأهمية العلوم الصينية حيث قال «اطلبوا العلم ولو فى الصين» هذا إلى جانب الصلات والروابط بين الحضارة المصرية القديمـــة والحضارة الصينية والروابط التجارية بـــين الجانبين من خلال طرق التجارة والعبور عبر مصر إلى إفريقيا وأوروبـــا وغير ذلك خاصة طريق الحزام والحرير.

4 - اشـــتراك الجانبين فى مصلحة مشـــتركة لإقامة نظام تجـــارى عادل وإحداث ديمقراطية عادلة فى العلاقات الدولية سياسية واقتصادية.

5 - إن تدعيم العلاقات فى هذا الشأن والاستفادة من التجربة الصينية يمكن أن يتم من خلال أهميـــة فتح جامعة صينيـــة كبيرة فى مصر وفقـــاً للقواعد القانونية المنظمة لذلك فى وزارة التعليم العالى وأن تكون المواد الدراسية معترفاً بها من وزارتى التعليم فى مصر والصين

ويكون ســـوق العمل المصرى فى حاجة لتخصصـــات محددة بهـــا ويمكن أن ترتبط تلك الجامعة بالشركات المصرية - الصينية العاملة فى مصر.

6 - تشـــجيع التبـــادل الطلابى بين الأســـاتذة والمختصين فى شـــئون البحث العلمى والتكنولوجيا والمجالات العسكرية بين مصر والصين.

7 - أهمية فتح فرع لجامعة القاهرة فى الصين لدراسة اللغة العربية وآدابها والعلوم المختلفة فى هذا الشأن والتجارة والســـياحة لمصر وفنون العمارة وبناء علاقة مع المسلمين فى الصين على أساس أنهم جزء من النسيج الوطنى الصينى والنهضة الصينية وأنهم يدركون أنهم يتمتعون بهويتهـــم الحقيقية أى أنهم مسلمون صينيون.

8 - أهمية تدعيم التعاون بين مصر والصين فى مجالات التعـــاون النووى المختلفة للأغراض الســـلمية مثل توليد الكهرباء وتحلية المياه.

9 - يمكن كذلك الســـعى من أجل إقامة وادٍ تكنولوجى صينى مشـــترك للاســـتفادة من التكنولوجيا الصينية المتقدمة وليـــس التقليدية وعملية نقل التكنولوجيا والتدريب والأيدى العاملة المصريـــة الماهرة فى مجـــالات تصنيع مشـــترك فى مجالات مختلفة عسكرية وتكنولوجيا المعلومـــات والتكنولوجيا الزراعيـــة وتكنولوجيا الـــرى وعلاج الأمراض وغير ذلك.

وسوف تســـتفيد الصين من موقع مصر الإستراتيجى للاستثمار والتسويق فى إفريقيا والدول العربية وغير ذلك.

10 - أهميـــة توســـيع نشـــاط الاســـتثمارات المتميـــزة والمشروعات الصينية العملاقة الناجحة فى مصر التى تحظى بها العاصمة الإدارية الجديدة والمنطقـــة الاقتصاديـــة التابعة لقناة السويس وغير ذلك.

11 - أهمية دراســـة الاســـتفادة من تجربة زيادة الإنتـــاج الزراعى فى الصين ورفع الحد الأمثل للإنتاج لهذه الدولة الكبيرة التى يزيد عدد ســـكانها حالياً عن 1.3مليار نسمة أى أكثر من أربعة أضعاف العالم العربى ونجحت فى تحقيق نهضة كبيرة فى التكنولوجيا الزراعية التى تمثل ركيزة قوية فى تقدم الصين ورفع مستوى معيشة سكانها.

12 - أهميـــة التوســـع فى فتـــح أقســـام لتعليم اللغة الصينية فى بعض الجامعات المصرية ومساعدة الخريجين

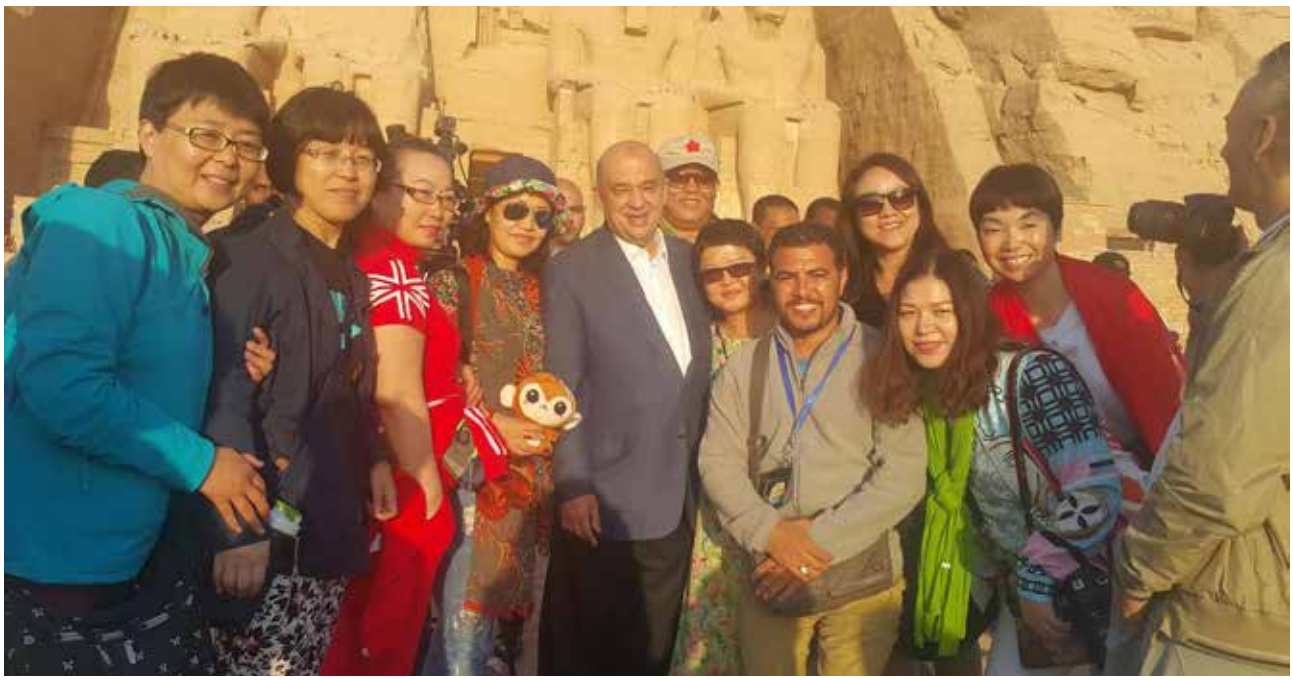

السياحة الصينية الى مصر

من هذه الجامعات على توفير فرص عمل لهم.

13 - ضرورة العمل اللازم لزيادة حركة السياحة الصينية إلى مصر، هذا ويلاحظ أن مصر قد استقبلت حوالى نصف مليون سائح العام الماضى.

14 - هذا ونأمل أن تواصل الصين دعمها لتطلعات الشعب الفلسطينى فى ضوء علاقاتها المتنامية مع إسرائيل ومع تطلعات الشعوب العربية والإفريقية فى إطار win win relation فى كافة المجالات فى ضوء الانتشار الواسع للصين على المستوى الاقتصادى وقوتها المتنامية فى الأمم المتحدة والمنظمات الدولية.

ويلاحظ حول استشراف التعاون المستقبلى فى اهتمام مصر والصين بتطوير التعاون بينهما فى ظل الصعود لهما إقليمياً ودولياً وفى هذا الإطار هناك مشروعات مشتركة للصين فى مصر فى مجالات التصنيع والبنية التحتية العملاقة والتجارة وتسهيل الاستثمار ومحطات الطاقة الشمسية وبناء القدرات ومشروع القطار الكهربائى خاصة استمرار الصين فى دعم تطوير منطقة السويس للتعاون الاقتصادى والتجارى، والتى جذبت استثمارات تقدر بنحو أكثر من مليار دولار، وخلقت أكثر من 3 آلاف فرصة عمل .

وقد تم الانتهاء من البنية التحتية للمرحلة الثانية على مساحة كيلومترين مربعين لمنطقة السويس للتعاون الاقتصادى والتجارى، وأن الاستثمارات الصينية المباشرة قد ارتفعت فى مصر، وبهذا احتلت الصين المرتبة السادسة فى قائمة الدول المستثمرة فى مصر.. وهذه الاستثمارات الصينية الجديدة جاءت من شركة جوشى ودايون للدراجات النارية وشركة تيدا وشركة نيو هوب وشركة أنجيل يسيت وغيرها.

وفى القطاع المالى، أفاد التقرير بأن البنك المركزى المصرى وقع فى ديسمبر عام 2016 مع نظيره الصينى اتفاقية لتبادل العملات بقيمة 18 مليار يوان صينى، وتخطت قيمة العقود الموقعة والقروض التى منحها بنك التنمية الصينى وبنك أكسيم الصينى والبنك الصناعى والتجارى الصينى وشركة صينوسور لمصر 5 مليارات دولار.

أن المؤسسات المالية الصينية تتعاون بنشاط مع البنوك المصرية فى ابتكار منتجات مالية جديدة، ودراسة تداول عملة اليوان الصينى فى مصر.. وقد يتفاوض بنك التنمية الصينى مع البنك المركزى المصرى لتوفير قروض بمليارات يوان، ومن المهم تحديد وإبراز آليات التعاون المالى فى جميع المجالات بين وزارة المالية المصرية ونظيرتها فى الصين وكذا البنوك التجارية المصرية والصينية باستخدام اليوان.

أما عن قطاع البنية التحتية، فقد نفذت الصين خلال السنوات الأخيرة العديد من المشروعات الكبرى منها مشروع خط نقل 500 كيلوفولت من الكهرباء للشبكة العامة فضلاً عن التوقيع على عقد مشروع القطار الكهربائى لمدينة العاشر من رمضان الذى سيكون أول قطار كهربائى فى مصر، بالإضافة إلى توقيع شركة صينية على تنفيذ مشروع مركز الأعمال بالعاصمة الإدارية الجديدة بقيمة ثلاثة مليارات دولار.

وتجدر الإشارة إلى أهمية حركة التبادل التجارى بين البلدين والذى يحتاج إلى تنظيم فعاليات فى البلدين بهدف زيادة حركة التصدير إلى أسواق الجانبين والاستفادة من الميزة النسبية فى مصر من أجل التصدير إلى إفريقيا والدول العربية.

مركز توثيق التراث الحضارى والطبيعى

زيارة فى أعماق التاريخ وأصداء الحاضر

ترجع هذه الزيارة إلى نيف واثنتى عشـــرة سنة مضت.. لم أكن فيها وحدى، بل كنت واحدًا ضمن نخبة من العلماء والمفكرين والشـــعراء والأدباء.. قبلتنـــا كانت إلى غير بعيد من قلب القاهرة.. بأول طريق مصر الإسكندرية الصحراوى، بالقرية الذكية حيث أثبت المصرى أنه قادر حين يريد على صناعة المعجزات، كان فـــى انتظارنا مصرى حتى النخاع، عالم جليل من علمائها فى هندســـة الاتصالات، مثقف عاشق لمصر وللطبيعة والتراث، تلاقت فيه صفات جعلت اختياره لتأسيس وإدارة مركز توثيق التراث المصرى، اختيارًا عبقرياً، حيث تلاقى فيه العلم مع الثقافة، والواقع المادى مع الخيال العلمى والمعنوى..

رجائي عطيـة

rataia2@hotmail.com

الدكتـور فتحـى صالـح أسـتاذ هندسـة الحاسـبات بهندسـة القاهرة.. لـم يدر بخلدى ولا بخلـد أحد من الأدباء والمفكرين والفنانين الذين كنت برفقتهم، أننا سنشـهد ما شـاهدناه لديـه بمركز توثيق الـتراث.. لم تفارقنا الدهشـة قط فى أية ثانية من ثوانى السـاعات الخمس التـى قضيناهـــا نلهـث فيهـــا واجفين مبهورين ونحـن نتابـع ما يعرض علينا فى رحلة لآلاف السـنين فى بطـن التاريخ دون أن نفارق المكان.. ذكرنى الإبحار فى الماضى بآثـاره وتراثه وفنونه وتصانيفه، بإبحـار الروائـى هـ. جـ. ويلز فى المستقبل بروايتـه «آلة الزمن». إبحارنا فى المـاضى كان أروع، لأنـه رصد وتوثيق لواقع حقيقى تركه الأسلاف العظام عبر رحـلات التاريخ فى الطـب والفلك والآثار والعمـارة والفنـون والتراث الشـعبى.. هل يمكن لقابـع فى مكان وأمامه محض شاشة أن يقطع خمسة آلاف سنة يطوف فيها متعرفاً تعرفـاً علمياً موثقًا بكل أثر ومعمار وتـراث وفن فى بـلاده؟! هذا ما رأيته ومن أنا معهم بمركز توثيق التراث غير مصدقين وقد تملكتنا دهشة أكبر من دهشة رفاعة الطهطاوى الأولى حين رأى باريـس، بأننا نـرى هذا العمـل العظيم الـذى أقامه مصريـون حتـى النخاع فى إخلاص وصمت ووقار!

المركز خلايا نحـل بشرية، العاملون بهـا فى شـتى ربـوع مـصر، أضعـاف العاملـين بمقـر المركز الـذى فيه تصب جهود مخلصة دءوبـة عارفـة، تجـرى عـلى محـاور عـدة لجمـع ثـم تصنيف وتوثيـق المـادة مضفرة بقاعـدة بيانات لتحقيق رسـالة المركـز فى توثيق التراث الحضـارى والطبيعى لإتاحة هذه الثروة القومية لمـصر والعالم، وإنعـاش ذاكرة المصريـين بماضيهـم التليـد وحاضرهم الغنى بالكثير من إمكانات النجاح.. فكرة التوثيق تنهض على استخدام تكنولوجيا المعلومـات والكمبيوتـر والإلكترونيـات والمواقع وشـبكة الإنترنـت، فى توفير هذه المعلومـات بالصـورة ـ ومعهـا الصوت أحياناً ـــ وبالكتـب والأقراص المدمجة، لتكون ميسورة الاسـتدعاء بمحض فتح جهاز وتحريك مـؤشر أو مفتاح.. فيلفى المتلقـى نفسـه فى أحضـان التاريخ وفى ربـوع الزمـان والمكان وهـو فى موضعه لـم يفـارق، ينتقل مـا بـين عصور مصر الفرعونيـة والإغريقيـة والرومانيـة والقبطية والإسـلامية، سائحًا فى ميادين عديـدة يختـار منهـا مـا يشـاء.. جائلاً وفق مـراده فى تـراث مـصر الحضارى والطبيعى وأنشـطته عبر نيف وخمسـة آلاف عـام.. فى المواقـع الأثريـة، والـدرر المعماريـة، والفنـون والفلكلور والجمال الطبيعى.. معبأة موثقة مبوبة مفهرسـة ضمن عشرة برامج أنجـز المركز الكثير منهـا ويواصـل الإتمـام فى دأب صموت لا يباهـى ولا يسـتعرض.. هـذه البرامج تشمل خريطة مصر الأثرية عبر العصور المختلفـة، وتراثهـا المعمـارى بقوالبـه وأسـاليبه وأنماطـه فـى كل عـصر ـــ مشمولة بقاعدة بيانات وتوثيق فوتوغرافى شـامل، وتراث مصر الطبيعى فى تجميع لافت لكافة المحميات الطبيعية القائمة أو المقترحـة، ولكافة بياناتها التفصيلية عن الوجـود النباتى والحيوانـى والتكوينات الجيولوجية والمعالم الحضارية، والتراث الشـعبى أو الفلكلـور متضمنًـا تقاليـد الحياة المصرية وطقوسـها وأعرافها عبر الحضـارات، تضم الأنشـطة التحليلية والمجتمعية الوراثية، والعادات الشـائعة والأعيـاد والاحتفـالات والحكايـات والأسـاطير والمعتقـدات والأضرحـة والأولياء، والتقاليد المعمارية والموسيقية والفنيـة والحرفيـة، اسـتهدافاً لتجميع قامـوس موسـوعى أو مكنز للفلكلـور ـــ صـدر منه المجلـد الأول.. أما توثيق التراث الموسـيقى فهو يرنو لحفظ تراثنا الموسيقى من الضياع.. ينهض على قاعدة بيانات مدققة، محللة ومصنفة، مطروحة فى نظام معلومات على ثلاثة مسـتويات، الأول يركز على توثيـق المعلومات الأولية للمصنف الموسـيقى والأشعار والمطربين والمقامات والأشكال والإيقاعات، وينطوى المسـتوى الثانـى عـلى تحقيـق قائمـة كاملـة من أعمـال الفنانين مع الأشـعار والنوت الموسـيقية واللقطات المسـموعة والمرئيـة، أمـا المستوى الثالـث فيهدف بالوسـائط المتعـددة (الملتيميديـا) إلى إنتاج وتوثيق وسـائط مسموعة/ مرئية مبنيـة على البيانـات المجمعـة والتحليل الموسـيقى.. على ذات هذا النمط الرائع فى

مركز توثيق التراث الحضارى والطبيعى

التجميع والتحليل والتصنيف والتوثيق، جرى ويجرى برمجة ذاكرة مصر الفوتوغرافية، وبرنامج التراث العلمى الإسلامى للمخطوطات الذى يهدف إلى توفير مكتبة إلكترونية موسوعية للعلوم والرياضيات وإنتاج الحضارة الإسلامية العربية. أما موقع «مصر الخالدة» على الإنترنت ومفتاحه WWW. Eternal egypt .Org ـ فهو صورة فريدة، جميلة ومشرقة جمعت كنوز التراث الحضارى لمصر عبر العصور الفرعونى واليونانى والرومانى والقبطى والإسلامى، وعلى ثلاثة أبعاد تعطى للمشاهد زوايا رؤية مختلفة وتمكنه من التجول والمشاهدة بحرية وسط الآثار مثل هضبة الأهرام ومعبد الكرنك وقلعة قايتباى والقاهرة الإسلامية، وجمعت البانوراما إلى جانب المواقع التاريخية، والقطع المتحفية، أوصافًا للأحداث والشخصيات، ومتاحة بأحدث التقنيات بمعلومات وصفية باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، وبتقنية مبتكرة يتولد بها ذاتياً وديناميكياً النص المسموع مع المشهد المرئى. هذا إلى جانب بانوراما التراث «الكلتيوراما» وبانوراما الحضارة وغيرها من الصالات التى أعدت بداخل المركز للعرض ولمباشرة الأنشطة الثقافية المختلفة والاطلاع على ما بالمركز من كنوز.

خريطة مصر الأثرية لمحافظات وأقاليم مصر، لا يمكن أن تتابعها إلاَّ واجفاً مدهوشاً مبهورًا لهذا العمل الجليل.. من مكاننا دخلنا إلى داخل مواقع أثرية، بحوائطها وجدرانها وما عليها من كتابات ورسوم، ودخلنا إلى أبنية قديمة فى قلب القاهرة.. ما عليك إلاَّ أن تعرف نظام التجميع والتبويب ومفتاح استدعاء المشهد المطلوب لتراه أمامك مشمولاً بقاعدة بيانات كاملة، وفى صورة مرئية للأثر الذى تستطيع من مكانك أن تجول فيه ما عَنَّ لك التجوال. النظام قائم على ثلاثة مستويات. الأول المستوى القومى، فى خريطة إلكترونية شاملة للمواقع الأثرية يظهر فيها الموقع الأثرى على شكل نقطة مزودة بالبيانات الأساسية. والمستوى الثانى هو الموقع الأثرى. فيه يظهر على الشاشة فى خريطة مفصلة واضح فيها مكوناته وبياناتها. فإذا أردت المزيد، فما عليك إلاَّ أن تتحرك - بالمفتاح - إلى المستوى الثالث وهو «الأثر» ذاته.. معروضًا بصورة جامعة بنماذج ثلاثية الأبعاد أو بمسقط أفقى مبين عليه الحجرات والمكونات المعمارية، مصحوبة بوصف كامل لنقوش وصور ورسومات كل جدار من جدران الأثر.

من مكاننا بصالة عرض «بانوراما الحضارة»، شاهدنا بردية مصرية طولها خمسة عشر مترًا، مكتوبة بالهيروغليفية، ومترجمة، وتضمنت فيما تضمنت معادلات رياضية مدهشة عقدها هؤلاء الأجداد دالين بهذا العلم السابق على حضارة ضاربة فى أعماق التاريخ، خليقة بأن تشعل فينا حرارة الانتماء الوطنى، وتدعونا إلى التقدم بحاضرنا إلى ما كنا عليه من مجد تليد، دان لنا حينما أعطينا للواجب حقه، وتوسلنا إلى ما نريد بعلم يصادقه عمل مخلص دءوب يدرك أن بناء الأمم رسالة كبرى!

***

يحرص الأفراد وتحرص الأمم على الترقى بحاضرها، والإعداد لمستقبلها، حين يكون للفرد أو للجماعة أو للأمة ماضٍ يُحرص عليه، لأنه صعب على الفرد صاحب التاريخ أن يفرِّط فى حاضره ويقبل على الصغائر التى تنحر من رصيده الذى خطه وأرضاه، مثلما لا تسيغ الجماعات والأمم أو تقبل الانخفاض بحاضرها والعصف بمستقبلها والتضحية بالرصيد التليد الذى سطره الأسلاف! قيمة الماضى ليست فى أنه صفحات تعاش، فمن المحال على الأفراد والمجتمعات استرداد الماضى وممارسته كما كان، بل إن ذلك تخلف ضرير، لأنه يتجاهل ما أنجزته البشرية عبر أجيال وقرون من الطبيعى أن ينعكس على حياتها فهماً واستيعاباً وممارسة ونشاطاً. قيمة الماضى فى أنه يرسخ فى المجتمعات كما يرسخ فى الأفراد قيم «الانتماء» لهذا التراث القيم التليد الذى يجب أن يحفز الحاضر على التقدم إليه.. إلى القيم والعمل والجهود التى خطته وسطرته وتركته شاهدًا على أن الأحفاد بإمكانهم أن يرتفعوا إلى الأسلاف حين يتمثلون ما بذلوه وما كانوا عليه من قوة العزم وعمق الفهم وصدق العمل.

انبهارى الممتد بالمركز المصرى للتراث الحضارى والطبيعى، ليس مجرد عشق للماضى وإعجاب به، وإنما هو احتياج إلى تمثل واقتداء قيم العقل والفكر والعمل التى أفرزته.. كان ظنى وأنا فى الطريق إلى مقر المركز بالقرية الذكية على مشارف القاهرة، أننى سأشاهد تراثاً إستاتيكياً من الآثار والمعابد والأديرة والكنائس والمساجد، ومن التماثيل والعمائر وغيرها من التراث «المادى» الذى شاع فى أخلادنا أنه كل تراثنا أو يكاد.. لم أتخيل رصيدنا العلمى والفنى والإنسانى الذى أفرزته «قرائح» و«ملكات»... كانت قاعة الأفلاك والقباب السماوية والإسطرلابات والمزاول الرملية والشمسية والمائية مفاجأة تامة، لا أخفى أنها أشعرتنى بالزهو أننى من أحفاد صناع هذه الحضارة الإنسانية، وأننى من سلالة هذه العقول والمواهب التى أبدعت هذا الإبداع، وأننى منتسب بمصريتى وعروبتى إلى هذه المجموعة الفذة وعلى رأسها العالم النابغ والفنان بالموهبة الأستاذ الدكتور فتحى صالح.

نزعنى واقع ما أشاهده من الفكرة القديمة أننا أميل إلى «الإستاتيكا»

مركز توثيق التراث الحضارى والطبيعى

ـــــ علم الثبات، من «الديناميكا» علم الحركة.. ما كدت أفرغ من متابعة الآثار والمعابد والعمارة، حتى وجدتنى أمام بحر فياض من التراث الإنسانى الحى.. أجوب فى أبهاء المركز وشاشاته وكتبه وأقراصه المدمجة، مع إسهامات الحضارة العربية والإسلامية فى علوم الفلك من واقع المخطوطات العلمية بمكتبة الأزهر الشريف، وإسهاماتها فى العلوم الطبية من مكتبات دار الكتب المصرية.. ثروة هائلة أرجو أن أعود إليها، ما كدت أنتزع نفسى من الانبهار بها، حتى وجدتنى مع تراثنا الموسيقى الذى ما إن قلبت فى العمل الرائع الذى به تم تجميع وفَهْرسة وتعبئة بقاعدة بيانات شاملة، وبكتب أيضاً وبأقراص مدمجة، إنتاج محمد عبد الوهاب وسيد درويش وسلامة حجازى وأم كلثوم، حتى تفاجئنى صالة العرض الكبرى: «بانوراما الحضارة» التى تتيح الرؤية فى نطاق زاوية عرض (180°) على تسع شاشات تفاعلية بعرض لأوبرا فرعونية! الفكرة قد تبدو بعيدة عن أن تنسب إلى آلاف السنين، بيد أن هذا هو الواقع الذى تعانق فيه الحاضر الحى مع الماضى الإنسانى التليد.. النص المكتوب نص فرعونى مكتوب بالهيروغليفية لغة القدماء، وفيه المقومات الدرامية للنص الأوبرالى، واللحن لمجموعة مصرية موهوبة استطاعت أن تستنطق النص وأن تعبر عنه بلغة موسيقية أوبرالية تصافح الآذان مع مصافحة النص للعيون مشفوعاً بترجمة عربية أو إنجليزية أو فرنسية أو ألمانية حسبما يريد المتلقى. التلحين للمايسترو شريف محيى الدين مدير مركز الفنون بمكتبة الإسكندرية والتنفيذ التكنولوجى والترجمة والإشراف لعالم الأثريات الدكتور محمد صالح المدير السابق للمتحف المصرى. نص الأوبرا مدون على «بردية» فرعونية صورها المركز من النسخة الموجودة بالمتحف البريطانى وطولها نحو 25 مترًا، تحت اسم «كتاب الموتى»، والصحيح «الخروج إلى النهار» حسب مفهوم قدماء المصريين الذين نظروا إلى الموت لا على أنه فناء، وإنما خروج إلى النهار، أى إطلالة على العالم الآخر. النص للكاتب

كتاب الموتى

الفرعونى: «آنى» يتحدث بالمنظور الفرعونى للبعث، عبر مشاهد مرسومة على البردية. أولها مشهد «المحاكمة».. أى الحساب فى العالم الآخر، ويتصدره «ميزان» للتعبير عن وزن أعمال المتوفى ممثلة فى صورة «القلب».. قلبه، وفى مقابلها ريشة «الحق».. لوحة البردية ترينا أن عملية «الوزن» أو «الحساب» تجرى على مشهد من الإله «تحوتى» إله الكتاب والمعرفة (المتخذ رمزاً لجامعة القاهرة)، وفى حضور التاسوع الإلهى حسب العقيدة الفرعونية، ونرى المتوفى - فى المشهد الملحن تلحيناً أوبرالياً - يقدم أعماله ساعياً لإثبات صلاحها ونقاء صفحته من الخطأ.. يؤيده الإله «تحوتى» ويصادق على دفاعه، قبل أن يحكم التاسوع ببراءته التى تنجيه من أن يلقى إلى حيوان مفترس يأكله «هَمْ هَمْ» بالهيروغليفية، ويكاد نغم اللفظ يتفق مع إيقاع عامية اليوم إلى الأطفال: «هَمْ هَمْ»!!

فى المشهد الثانى بعد تتويج الأول بالحكم بالصلاح وبالبراءة، يزف المتوفى البرىء فى موكب أوبرالى فى العالم الآخر يصحبه فيه «حورس» إلى الإله أوزوريس!

كان من الصعب ولا يزال، أن يشبع المتلقى مما يشاهده ويسمعه فى المركز المصرى لتوثيق التراث الحضارى والطبيعى.. كيف تروى ساعات قليلة ظمأ الإطلال على حضارة كانت، عمرت آلاف السنين، وقدمت كل ما هو رائع فى الفكر والفن، وفى العلم والأثر، وفى العمارة والطب والفلك؟! عزائى أننى انصرفت أحمل مفاتيح مواقع المركز WWW. Eternal egypt . Org . - WWW. CULTNAT . Org على شدة الأشواق وعراضة الفضول طوال رحلتى من قلب القاهرة إلى أطرافها لمشاهدة المركز، وقدر انبهارى وإعجابى بما شاهدته، وتقديرى العريض لمن يقومون بهذا الجهد الوطنى الكبير، لم تخل رحلة العودة من «مضاضة» وإن لم تفلح فى إخراجى من الإعجاب والعرفان بما شاهدت، إلاَّ أنها بقيت واقفة فى الحلق تستدعى كل علامات الاستفهام على قدرتنا الهائلة على إنجاز هذا العمل الرائع ثم قعودنا الغريب عن تقديمه إلى الناس بما يشبه التفريط فيه!!.. أين هذا العمل الجليل المنجز فى أقل من سبع سنوات، والحاصل على جائزة ستوكهولم العالمية الأولى فى مسابقة: «جائزة ستوكهولم للتحدى» «Stock-holm challenge Awarde» ؟! أين هذه التحف والبدائع التى تباهى العالم وتجلب احترامه وتقديره لمصر والمصريين من خطابنا التعليمى والإعلامى والثقافى والسياحى! كيف نجمع ونبوب ونعبئ ونشرح بهذه الروعة هذا التراث العظيم الحضارى والطبيعى والإنسانى، ثم نقعد عن تصديره إلى المصريين وإلى الدنيا بأسرها؟! هذا الخطاب ليس عمل المركز ولا المتعبدين فى صناعة المعجزات فيه، وإنما هو عملنا نحن.. عمل المؤسسات التعليمية وأجهزة الإعلام والثقافة والسياحة! كم يوفر نشر هذا العمل على العالم من نفقات باهظة تنفقها مكاتبنا السياحية المنتشرة فى ربوع الأرض! لماذا نشغل المتبتلين فى هذا العمل الرائع بعبء تقديمه إلى مصر والدنيا، ولماذا نحبطهم وهم يجمعون لنا تراثاً من آلاف السنين فنبدد نحن - بحجبه! - حصاد ما صنعوه وأنفقوا الجهود فى تجميعه؟!

العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى

إن الفكر البشرى الذى هو كائن حى ينمو ويتطور ليمهد السبيل إلى تقدم الإنسان عبر العصور. فقد اعتمد العرب ومنذ بداية قيام الحضارة العربية الإسلامية على الشعوب العريقة فى ثقافتها ومدنيتها، فكانت هناك الحضارة المصرية القديمة «حضارة وادى النيل»، والحضارة الساسانية فى العراق وفارس والتى احتفظت بتراث آسيوى ساهمت فى تكوينه الحضارتان الهندية والصينية، كما كانت هناك الحضارة البيزنطية فى شمال الشام، وهى حضارة ذات أصول يونانية ورثتها الإمبراطورية الرومانية، حيث تعلم الرومان من النظم اليونانية ثم طوروها خاصة فى ميادين القانون والإدارة والنظم العسكرية، كما كانت الإسكندرية الهيللينستية، وحران والرها ونصيبين وأنطاكية وقيصرية أهم مراكز الثقافة اليونانية الرومانية فى الشرق الأدنى.

فالنهضة العلمية والثقافية التى امتدت ابتداءً من العصر الأموى فى القرن السابع الميلادى وحتى قيام الدولة العباسية إلى نهاية القرن العاشر الميلادى بفضل الاتصال بتلك الحضارات القديمة والعمل على تطويرها وازدهارها، حيث نقل المسلمون وترجموا وعربوا هذا التراث البشرى القديم إلى لغتهم العربية واستوعبوه، ثم أخذوا يبدعون ويضيفون عليه حتى قدموا للعالم ما عرف بالحضارة العربية الإسلامية.

وشارك فى هذا الحوار الحضارى فى العصور الوسطى علماء وفلاسفة وأدباء وشعراء أمثال الكيندى والفارابى وابن سينا وأبو بكر الرازى وابن الهيثم وابن رشد وجابر بن حيان وغيرهم.. وأنه لو لم يصل من مؤلفات اليونان من أفلاطون وأرسطو وغيرهم على يد العرب إلى أوروبا لتأخرت حركة النهضة الأوروبية، فلولا ظهور هؤلاء العلماء المسلمين لتأخر ظهور جاليليو وإسحق نيوتن وغيرهما. وعلى هذا يمكن القول بأنه لولا ظهور هؤلاء العلماء والمسلمين وجهودهم لبدأت حركة النهضة الأوروبية فى القرن 14 الميلادى من نفس النقطة التى بدأ منها العرب فى مطلع القرن 8 الميلادى.

أى أن العرب وفروا على الأوروبيين مدة 6 قرون للبحث والدراسة التى بدأت منها النهضة فى أوروبا. حيث نشطت علاقات العرب بأوروبا بعد نمو وازدهار الدولة العربية الإسلامية واتساع نشاطها، وصار للعرب مراكز نشاط حضارى فى صقلية وقبرص وكريت ورودس ومعظم جنوب إيطاليا وجنوب فرنسا، فضلاً عن شبه جزيرة أيبيريا حيث قامت فى الأندلس خلافة عربية إسلامية تنافس الخلافة العباسية فى بغداد والمشرق.

وقد ثبت للأوروبيين أن الحضارة العربية الإسلامية ثقافة يزدان بها

سفير د .عادل السالوسي

dr.adelelsaloussy@hotmail.com

التاريخ، ويحق للدهر أن يفاخر بها فقد قدرت كلية الطب بجامعة باريس جهود العلماء العرب لدرجة أنها لاتزال تحتفظ حتى اليوم بصورتين كبيرتين فى إحدى قاعاتها الكبرى إحداهما لأبى بكر الرازى والأخرى لابن سينا.. فكل الأدلة والشواهد أوضحت تأثر الفكر الأوروبى بمنجزات الفكر الإسلامى فى الأدب، والتاريخ، والجغرافيا، والموسيقى، والعمارة، وعلوم الملاحة، والطب، والفلك، والهندسة، والفلسفة، والفنون، والاجتماع وغيرها من العلوم والفنون والحرف والصناعة.

لقد كان للصحوة العربية الإسلامية التى قدر لها أن تبدد الظلام الذى اكتنف الغرب الأوروبى بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية فى النصف الثانى من القرن الخامس 476 ميلادية على يد البرابرة من الشرق الهون ومن الغرب والشمال القوط والوندول والماغيار والجرمان وغيرهم من الجماعات المتبربرة من الأوروبيين الذين نزحوا على الإمبراطورية الرومانية من الشرق والشمال والغرب وأطفأوا نور الحضارة الرومانية التى كانت تستلهم ثقافتها ومدنيتها من حضارات الشرق الأدنى القديم.

نشاط العرب المسلمين فى البحر الأبيض المتوسط:

يلاحظ عن نشاط المسلمين فى البحر المتوسط، أن وصولهم إلى شواطئ هذا البحر واستيلاءهم على موانئ الشام ومصر جعلهم يهتمون بأمر الأسطول لدفع خطر الروم الذين حاولوا استرداد الإسكندرية عامى 642، 643 ميلادياً أى عام واحد بعد فتح العرب لمصر. الأمر الذى جعل العرب يهتمون بالقوة البحرية، فغزوا قبرص عام 648، ثم أغاروا على الشواطئ الجنوبية لآسيا الصغرى عدة مرات حيث أنزلوا الهزيمة بالأسطول البيزنطى فى موقعة ذات الصوارى 34ه/ 655 ميلادية، وهى الموقعة التى تعتبر أعظم معركة بحرية شهدها البحر المتوسط منذ موقعة إكتيوم الشهيرة عام 31 قبل الميلاد التى هزمت فيها كليوباترا ومارك أنطونى أمام البحرية الرومانية بقيادة أغسطس قيصر الذى نصب أول إمبراطور رومانى منذ 27 ق.م. حتى وفاته 14 ميلادية وإنهاء حكم البطالمة لمصر وجعلها ولاية

رومانية منذ 30 ق.م حتى دخول العرب عام 641 ميلادية.

واستمر نشاط الدولة الأموية البحرى فى الإغارة على جزر بحر إيجة، ثم محاولات الاستيلاء على القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية، ولم ينقذ بيزنطة من السقوط إلا استعمال النار الإغريقية التى توصل إليها مهندس سورى الأصل يدعى كالينيكوس. كما أوغلت جيوش الدولة العباسية فى أراضى الإمبراطورية البيزنطية حتى وصلت عام 782 ميلادية إلى شواطئ البسفور مما اضطر إمبراطورة بيزنطة إيرينى إلى شراء مسالمة المسلمين بالمال فى عهد هارون الرشيد، واستمرت المساجلات حتى تم فتح القسطنطينية عام 1453م.

تاريخ حركة الترجمة عن اليونانية:

ارتبط الجانب العلمى والفلسفى فى النهضة الفكرية الأوروبية فى القرن 12 إلى حد كبير بالتراث اليونانى والعربى الإسلامى. حيث انتشرت وامتدت الدراسات اليونانية وترجمت إلى السريانية والعبرية والعربية وكان الطريق الذى سلكته علوم اليونانية فى وصولها إلى الغرب اللاتينى شاقاً وطويلاً، فمن اليونانية إلى السريانية ثم بعد ذلك إلى العربية ومن الأخيرة إلى اللاتينية.

وقد بدأت الجولة فى بلاد الشام حيث ترجمت الكتابات اليونانية لتغذية الأدب الآرامى Aramanic ، ثم حمل بعض هذه الترجمات إلى فارس Persia جماعة النساطرة الذين فروا بعقيدتهم من وجه العرب. ومن ثم ظل هذا الجزء من التراث اليونانى حياً فى بلاد فارس حتى توصل إليه العرب بعد فتحهم تلك البلاد. وبالرغم من أن العرب نشأوا فى شبه الجزيرة العربية، إلا أنه بعد دخولهم الإسلام تكونت لديهم الرغبة فى التعلم والقدرة على تشرب حضارة الآخرين، ولا ننسى حضارات جنوب الجزيرة العربية فى اليمن مثل: معين وسبأ وحمير وقتبان.

ومن ثم فقد ترك العرب بعد فتوحاتهم المدارس الكبرى المسيحية والصابئية والفارسية قائمة فى الإسكندرية وأنطاكية وقيصرية وحران ونصيبين والرها ونيسابور، فاحتفظت هذه المدارس بأمهات الكتب فى الفلسفة والعلوم معظمها فى ترجمته السريانية، وقد استهوت هذه الكتب المسلمين العارفين باللغتين اليونانية والسريانية، وما لبث أن قام بترجمتها إلى العربية جماعة من المسلمين، فضلاً عن النساطرة المسيحيين أو اليهود. ولم يلبث العرب أن أضافوا على مر السنين إلى هذه الدراسات كثيرًا من مستحدثاتهم ومن علوم الشعوب الشرقية الأخرى مثل المصريين والفرس والهنود والصينيين.

وفى العصر العباسى بصفة خاصة، نهضت الحركة العلمية وحركة الترجمة إلى العربية خاصة فى عصر المأمون نهضة عظيمة، فى حين أدى انتشار اللغة العربية شرقًا وغربًا إلى سهولة الاتصال الفكرى ونشر الحضارة الإسلامية الجديدة، ثم زادت الاتصالات بين هارون الرشيد والإمبراطور الغربى شارلمان ما أدى إلى انتقال العلوم العربية إلى غرب أوروبا.

معابر الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا فى العصور الوسطى:

أ - طريق الأندلس:

بدأ استقرار العرب فى الأندلس منذ محمد الأموى الفاتح أو الداخل عام 711 ميلادية هربًا من مطاردة العباسيين له، واستمر الوجود العربى بالأندلس منذ ذلك التاريخ حتى 1492م أى ما يقرب من 8 قرون. وكانت الحضارة الإسلامية فى الأندلس تشع من مراكز متعددة مثل قرطبة، وإشبيلية، وغرناطة، وطليطلة حيث كان العرب والمغاربة هم المنشئون لهذه الحضارة، وهم الذين يسمونهم الأوروبيون بالمورز أو الموريسكيين.

وقد كانت غالبية سكان الأندلس «وهم من المسيحيين الأوروبيين» قد تشبعوا بالحضارة العربية الإسلامية بحيث إنهم هجروا لغتهم، وعرفوا بسبب ذلك بالموزآراب Mozarabes وهى كلمة تعنى مستعرب العربية. واضطر الأساقفة من رجال الدين المسيحى إلى أن يترجموا الإنجيل إلى اللغة العربية، كذلك أخذ اليهود لغة العرب وثقافتهم ولباسهم.

ولما أفل نجم العرب فى الأندلس، وظهرت الحركة المعروفة باسترداد الأراضى من المسلمين Recongmi-stol نجد أن الملوك الإسبان المسيحيين يغترفون من حضارة المسلمين ويأخذون بمظاهرها، ولا يستطيعون أن يقفوا أمامها لتقدمها.

فنسمع أن الملك ألفونسو الرابع الملقب بالحكيم 1252 - 1284م فتح فى عاصمة ملكه مكتبة ومدرسة للترجمة فى Toledo جعل فيها علماء المسلمين ينقلون إلى الإسبانية أو القطلونية أو اللاتينية كتب العرب. وعلى العكس نجد أن البلاد الأوروبية التى تحيط بالأندلس يخيم عليها الظلام، فنجد أن نور الحضارة فى الأندلس يتسرب إلى ربوع أوروبا.

فقد انتقل كثير من أعلام النهضة الأوروبية فى القرن 12 إلى إسبانيا يطلبون الارتواء من فيض علوم ومعارف العرب فى الآداب والرياضيات والفلك والطب والفلسفة وغيرها. وترجمت كتب الخوارزمى فى الرياضيات، فضلاً عن بعض المؤلفات العربية فى الكيمياء والفلك، وقامت حركة نقل واسعة من العربية إلى اللاتينية فى المنطق والطبيعة والرياضيات والطب قام بها هيرمان الألمانى، وميخائيل سكوت الإسكتلندى وروبرت الشسترى الإنجليزى وجيرارد وبطرس ألفونس وحنا الإشبيلى وغيرهم.

ب - طريق صقلية وجنوب إيطاليا:

فتح العرب صقلية فى وقت متأخر على يد دولة الأغالبة 212 هـ/ 802م وكانت حضارتها فى الجزائر الحالية، ثم استولى الفاطميون ومقرهم تونس على صقلية كإرث عن الأغالبة بعد قيام دولتهم، بل إنهم أكدوا سيطرتهم

قصر الحمراء عند الغروب، فى غرناطة بإسبانيا

العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى

على جنـــوب إيطاليا حتى روما. ومن ثم أصبحت بالرمو وميســـينت وسيراقوزة وبـــارى فى إيطاليـــا مراكـــز متقدمة للحضارة الإســـلامية اليانعة فى جنوب ووسط إيطاليا حتى روما.

ولما جاء النورمانديون من الشمال، واستولوا على صقلية من العرب لم يكنوا عداءً للحضارة الإسلامية، بل كانوا عاملاً فعـــالاً فى نشر هذه الحضـــارة، وكانت هناك خطابـــات متبادلة بـــين ملكهم روجر الثانى 1130 - 1154 والخليفة الحافظ بالله الفاطمى فى مصر، فقد كان النورمان يتذوقون الحضارة الإسلامية ويتوجون أنفســـهم بعبارة: «لا إله إلا الله». ويتخذون علامة ملوك المســـلمين: «الحمد لله حـــق حمده». وكان بلاطهم يعج بالعلماء المسلمين. فنجد الإدريسى الجغرافى العربى الكبـــير يهدى كتابه إلى روجر الثانى ويســـميه الروجارى. كذلك خلفه الملك غليوم william وكان يرحب بالعلماء المسلمين، ويقرأ ويكتب بالعربية، ونجد ملكًا آخر من سلالتهم هـــو فردريك الثانـــى 1194 - 1250 يشـــجع الترجمـــة لعلوم الإســـلام إلى اللاتينية واليونانيـــة أو حتى الإيطالية الدارجة التى كانت قد بدأت فى الظهور، وأســـس جامع نابلى، كما اتهم بأنه قد مالأ المسلمين، ولما حضر فى حملة صليبية إلى الشرق فى 1227 صالح المسلمين مما دعا البابا إلى إصدار قرار بحرمانه Ex Communication - من عفو الكنيسة.

ج - طريق الشام:

وهـــذا الطريق هـــو طريق مجيء الصليبيين إلى الشرق الإســـلامى، فقد كان بقاء الصليبيين ما يقرب من مائتى عـــام 1099 - 1291م ما جعلهم على اتصال تـــام بجميع مظاهـــر المعارف والثقافة الإســـلامية، حيث كان الأذكياء من الصليبيين ينقلون بالمشـــاهدة أغلب ملاحظاتهم.

د - طريق مصر:

وهو طريق التبـــادل التجارى بين الشرق والغـــرب، فقد حدث منذ مجيء الفاطميـــين 969 - 1171م أن جعلوا مصر مركزًا سياسيًا وتجاريًا وثقافيًا من الدرجة الأولى، كذلك كان هجوم المغول على بغداد 656هـ/ 1258م مع بدايات عصر المماليك فى مصر أن تحولت مصر إلى كعبة الحضارة الإســـلامية فى عهد المماليـــك 1250 – 1517 حيث يفسر ابن خلدون سبب ازدهار حضارة مصر فى تلك الفترة بتعودها على الحضارة من فنون وآداب وعلوم منذ آلاف الســـنين فيصفها ابن خلـــدون بقوله: «ولا أوفر اليوم فى الحضارة مـــن مصر، فهى أم العالم، وإيوان الإســـلام، وينبوع العلم والصنائع».

وقد ســـاعد على نقل الحضارة إلى أوروبا عن طريق مصر، أن مدن أوروبا وقتذاك مثل: بيـــزا، والبندقية، وجنوة، ونابلى، وفلورنسا، نشطت تجارتها مع مصر فى عهد المماليك ما يزيد عن قرنين ونصف قبل مجيء العثمانيين فى 1517، حيث إن تلك المـــدن الإيطالية هى التى ظهرت فيها حركـــة النهضة الأوروبية Renaissance التـــى مهدت للحضارة الحديثة وعـــصر التنوير Enlighten-ment والثـــورة الصناعية فى أوروبا فى القرنين 18 و19.

الدلائل والشواهد على آثار الحضارة الإسلامية فى أوروبا:

أهم هذه الشواهد الكتب والمؤلفات والأبحـــاث العديدة التـــى ترجمت من العربيـــة إلى اللاتينيـــة أو الإيطالية أو العبرية وهذه كتب قاربت على 400 ألف كتاب، حيث بلغت الحضـــارة العربية الإسلامية ذروتها فى الأندلس فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى عندما أصبحت قرطبة عاصمة الخلفاء الأمويين من أعظم المدن الثقافية فى أوروبا، فكانت خزانة قصر الخليفة تحوى ما يزيد على أربعمائة ألـــف كتاب ومخطوطة، وكان رجالات أوروبا وحكامها المتنورون بنور الثقافة الإسلامية يفرون إليها للتزود من علومها. واســـتمر نور المدنية الإسلامية ساطعًا فى الأندلس وبخاصة فى الجوانب الثقافية والفكرية والفلسفية حتى امتد ليضيء غرب أوروبـــا فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر، فأقبل الإســـبان على اســـتخدام اللغة العربية، بل فضلوها على اللاتينية، وأصبحت الأندلس المركز الرئيسى لحركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية، وهكذا وسم حكم الأمويين فى الأندلس بأنه أزهـــى عصور الحضارة العربية الإســـلامية وأكثرهـــا تأثيرًا فى النهضـــة الأوروبية، وحركـــة التنوير، وعصر الجامعات فى القرن الثانى عشر.

من أهم ما ترجـــم من كتب العرب فى مجال الفلســـفة، وذلـــك لأن العقلية الأوروبية بعد اعتناقها للديانة المسيحية واعتراف الإمبراطور قسطنطين العظيم بها فى مرســـوم ميلانـــى 313 ميلادية كديانـــة بجانب ديانـــة الإمبراطورية الرومانيـــة الوثنية، ثـــم اعتناقه وهو على فراش الموت للديانة المســـيحية فى

برج الذهب فى اشبيلية جنوب إسبانيا

337 ميلادية وإرساله والدته القديسة هيلانة إلى بيـــت المقدس للبحث عن تاج الشـــوك وعمود الصلب للسيد المسيح، وإقامة كنيسة القلب المقدس، أن تحولت العقلية الأوروبية إلى الانشغال بالمسائل الفلسفية التى تعالج العقيدة، وطبيعة السيد المســـيح، أو بمعنى آخر الفلسفة اللاهوتية، التى عرفت باســـم الفلسفة المدرســـية Scholustilism لأنها كانت تدرس فى المدارس والأديرة ومن يقومون بها يســـمون المدرســـون Doctores scholustici وهـــى التى قامت على يد القديس أوغسطين 354 - 430 ميلادية، وأتبعها قبل وفاته بكتـــاب مدينة الله The city of God فكان معظم ما عرف من الفلســـفة فى عهد اليونان والرومان يتم عن طريق العرب.

أيضًا كان أهم ما نقلوه بعد الفلسفة علم الطب، حيث اســـتمر تدريس كتب ابن ســـينا وأبى بكر الرازى فى جامعات أوروبا حتى القرن 18 الميلادى، لاسيما فى مدرسة سالرنو Salerno فى إيطاليا التى اعتـــبرت أول معهد طب فى أوروبا، ولايزال اسم الطبيبين المسلمين ابن سينا والرازى وصورهمـــا وكتبهما فى كلية الطب بجامعة باريس.

كما أن نظريات عالم الاجتماع الأول ابن خلدون تذكـــر فى جامعات أوروبا حتـــى الآن. هذا فضلاً عـــن أن معظم مظاهـــر الآداب العالمية يرجع معظمها إلى أصول عربية. إذ ترجمت كتب كثيرة أشهرها كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، فمثلاً أســـطورة رولان التى ظهرت عام 1080 ميلاديـــة وهى إحـــدى دعائم الأدب الغربى المبكـــر، لم تقم إلا نتيجة الاتصال بالعالم الإســـلامى عبر جبال

البرانس، كذلك رائعة دانتى اليجيرى الكوميديا الإلهية Divina Commedia وهو أعظم شعراء إيطاليا اعتمد فيها على رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى. كما أن مؤلف بوكاشيو الإيطالى حول الصباحات العشرة أو الديكاميرون De-Cameron اعتمد فيها على ألف ليلة وليلة.

بل إن شكسبير فى رائعة روميو وجوليت تأثر فيها بحكايات وقصص الشرق، وفولتير Voltaire الشاعر والكاتب الفرنسى العظيم تأثر فى روايته صادق Zadique بكل من ألف ليلة وليلة وسورة أهل الكهف. وروايات روبنسون كروزو تأثر فيها بقصة حى بن يقظان لابن طفيل. كما أن هناك العديد من روايات الشعر الغزلى الرقيق والرومانتيكى والذى كان من مميزات الأدب الأوروبى تأثر وانتقل من الشرق إلى الغرب فى أعقاب الحروب الصليبية، إذ هو الحب العذرى أو الموشحات الأندلسية أو الأزجال.

أما الاستكشافات الكبرى التى قامت فى أوروبا منذ القرن 15 والقرن 16، مبنية على ما قام به العرب من رحلات فى بحر الظلمات والمحيط الهندى، فكريستوفر كولومبس اطلع قبل رحلته إلى أمريكا على خرائط العرب التى شاعت فى أوروبا، فضلاً عن شيوع نظرية استدارة الأرض عند الجغرافيين العرب، فكانت المنهل الأول الذى هيأ لهذه الاستكشافات، حيث يذكر أن الجغرافى العربى العطية الإدريسى هو الذى كتب عن مغامرات عربية لكشف أمريكا حيث ذكر وجود شبان عرب من لشبونة عرفوا بالمغرورين، كانوا ثمانية ساروا فى بحر الظلمات «الأطلسي» إلى الغرب أحد عشر يومًا حتى وصلوا إلى جزيرة، ثم أبحروا إلى الجنوب اثنى عشر يومًا، وأنهم وجدوا فيها أناسًا جلدهم أحمر، فلا يستبعد أن يكون الشاطئ الذى وصلوا إليه إحدى جزر البحر الكاريبى.

كذلك يذكر ابن فضل الله الغمرى فى كتابه: مسالك الأبصار، عن أن جماعة من بنى برزال أبحروا فى بحر الظلمات «المحيط الأطلسي»، فلعل اسم البرازيل هو على اسمهم. كذلك نجد اكتشافات البرتغال فى إفريقيا، ووصولهم إلى الهند مبنى على ما قام به العرب سابقًا بين سواحل الهند ومنطقة شرق إفريقيا حيث عرفوا مواسم الرياح الموسمية وهو ما أدى بالعرب إلى إنشاء مدن سقاله وكلوه وممباسا ومالیزى ولامو وغيرها على سواحل شرق إفريقيا، حيث عمل العرب كأدلاء للبرتغاليين، ومنهم المعلم أحمد بن ماجه الذى قاد رحلة فاسكو دى جاما Vasco de gama إلى غرب الهند.

التقييم الحضارى والسياسى للعلاقات بين الشرق والغرب:

1 - بما أن الحضارة اليونانية ظهرت فى أوروبا، ثم جاء الرومان وعملوا على الاحتفاظ بهذه الحضارة ونشرها فى كل مكان فتحوه، بحيث ما كان خارج حدود الإمبراطورية الرومانية يعتبر خارجًا عن الحضارة، وعرفت بلاده بالهمجية Bar-barus. وفى القرن الرابع الميلادى بدأت تزحف على أراضى الإمبراطورية موجات المتبربرين Barbari من أواسط آسيا المعروفين بالهون Hans، ومن شمال أوروبا القوط الشرقيين ostro ghots والغربيين Vis ghots والوندرل Van-dals والجزمان والماغيار حتى أسقطوا أوروبا فى 410 ميلادية حيث إن معظمهم من القبائل والشعوب غير المتحضرة، ما أدى سلفًا إلى التجاء الحضارة اليونانية إلى الشرق فى عهد الإمبراطور قسطنطين وإنشاء القسطنطينية عام 330 م مكان موقع بيزنطة القديم على البسفور، بحيث إن الحضارة اليونانية التى التجأت إلى الشرق سلمت روما تراثها its inheritance فى شكل العاصمة الجديدة لروما» Roma Nova بيزنطة».

2 - لقد كان تحول المتبربرين إلى المسيحية عاملاً على تعريفهم بمبادئ الحضارة، ولكن استمرار مجيء موجات جديدة منهم طوال القرن الخامس، وانعدام الليونة العقلية التى تمهد للإنتاج، ما أدى إلى سقوط روما فى 476 ميلادية وهروب الإمبراطور، وبداية دخول سكان أوروبا إلى مرحلة من الظلام سميت على أثرها تلك الحقبة بالعصور الوسطى المظلمة Medien-al Dark ayes، حيث لم توجد بعد ذلك مراكز للنور إلا فى بعض الأديرة والكاتدرائيات حيث يوجد الرهبان والأساقفة الذين يعرفون اليونانية واللاتينية وهو ما قامت عليهم فيما بعد ابتداءً من القرن 12 ما عرف بالجامعات Universitas وهى التى نشأت مرتبطة أشد الارتباط بالكنيسة.

3 - وبجانب الظلام الذى كان مسيطرًا على معظم شعوب أوروبا، والجمود الحضارى فى آسيا الصغرى، كان الشرق الإسلامى ومغربه يسطع بالنور، وكان السبب فى ذلك هو الاستقرار السياسى والاقتصادى فى دار الإسلام فى ظل الدين الإسلامى. لكل ذلك ظهرت فى بلاد الإسلام حضارة متنامية مزدهرة متميزة كان لابد لها أن تسيطر على العالم شأن كل حضارة متقدمة فوصلت إلى أصقاع بعيدة فى آسيا وإفريقيا، وخاصة فى أوروبا خلال القرون 10، 11، 12 حيث اعتمدت تلك الحضارة على دعامتين رئيسيتين هما: اللغة العربية وتسامح الدين الإسلامى.

4 - وقد أجمع المستشرقون على أن الحضارة الإسلامية كانت أعظم حضارة شهدها العالم فى العصور الوسطى، فالعرب لم يكونوا مثل غيرهم من العناصر البربرية الهمجية من رهون وجرمان ووندال وغيرهم الذين انساحوا داخل الإمبراطورية الرومانية، ولا تقترن أسماؤهم فى التاريخ إلا بالهدم والتخريب. وفى الوقت الذى نسمع فيه عن الهون والوندال والقوط وتخريب وتدمير شامل لكثير من المراكز الحضارية فى أوروبا وشمال إفريقيا، إذا بالبلاد التى فتحها العرب واستقروا فيها تتحول إلى مراكز حضارية يقصدها طلاب العلم والثقافة والمعرفة للتزود والاستنارة.

وحسبنا أن نوازن بين أحوال بعض البلاد الأوروبية مثل إسبانيا وصقلية والجنوب الإيطالى قبيل فتح العرب لها وأحوالها بعد استقرارهم فيها، إذ تبدلت أوضاعها من جهل وتأخر وانحلال وتخلف إلى نشاط فكرى وتقدم اقتصادى وعمران شامل.

5 - فالإسلام قد ورث الحضارة الهيللينستية وتعهد هذه الحضارة بالحفظ والعناية والتغذية المستمرة. وهكذا غدت الحضارة العربية الإسلامية مجمع العلوم اليونانية والفارسية والسريانية والهندية والصينية، فى حين غدت اللغة العربية الواسطة الأساسية للترجمة والربط بين هذه العلوم. فالحضارة الإسلامية يرجع إليها الفضل فى المحافظة على التراث اليونانى الذى كاد يضيع فى الفترة المظلمة التى أعقبت سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية عام 476 ميلادية. ولم يبق التراث الفكرى اليونانى قائمًا فى كثير من الحالات إلا فى التراجم العربية.

6 - وحسبنا هنا أن نشير ونستشهد بقول الدكتورة زيجريد هونكة الألمانية فى كتابها الصادر عام 1962 تحت عنوان: شمس العرب تسطع على الغرب حيث تقول: «إن العرب فى الأندلس لم يقضوا على المسيحية التى يزعمون أن شارل مارتل قد حماها فى معركة تور أوبواتييه عام 732 ميلادية، ولم يقضوا على المدنية الغربية التى لم يكن لها وجود!!! لقد حول العرب الأندلس خلال مائتى عام من بلد جدب فقير مستعبد يعانى من ظلمات العصور الوسطى إلى بلد عظيم

العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى

مثقف مهذب يقدس العلم والفن والأدب والفلسفة، قدم لأوروبا سبل الحضارة، وقادها فى طريق النور. لقد كان ظهور الإسلام وتوسعه عاملاً حاسمًا فى إنقاذ الكنيسة من الانحدار. وأن الغرب بقى فى تأخره ثقافيًا واقتصاديًا طوال الفترة التى عزل فيها نفسه عن الإسلام. ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلا بعد احتكاكه بالعرب سياسيًا وعلميًا وتجاريًا، واستيقظ الفكر الأوروبى على قدوم العلوم والفنون والآداب والفلسفة العربية الإسلامية من سباته الذى دام قرونًا ليصبح أكثر غنى وصحة وسعادة.

وتضيف د. هونكه بأن العداء الدينى والتعصب الأعمى كان أسوأ قائد للشعوب حرمها من الحياة والازدهار والتطور واللحاق بقطار المدنية والنهضة. لقد كان التقارب بين الشرق والغرب.. ولو فى فترات متباعدة، إلا أنه رغمًا عن ذلك قد أدى إلى نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا لتبدأ مراحل نهضة الغرب.

7 - أيضًا نقتبس قول المستشرق Alexandre koyne أحد أعمدة علماء الغرب بقوله: «إن العرب كانوا أساتذة الغرب اللاتينى ومثقفيه، وأنهم لم يكونوا مجرد واسطة بين هذا الغرب اللاتينى والشرق اليونانى «القسطنطينية وحواضرها» كما شاع القول. فلولا ابن سينا وابن رشد لكان ظهور القديس توماس الإكوينى Tho-mas Agwinas مستحيلاً، وأى مصير كان ينتظر المخطوطة الوحيدة من كتاب «إقليدس» لولا وجود العرب الذين ظلوا حتى القرن السادس عشر مرجعًا فى قرطبة يرحل إليها الأوروبيون.. ولم يكن هناك علم أو ثقافة إلا فى الكتب العربية».

8 - وقد أكد المستشرق روجر بيكون Roger Bacon ذلك بقول «إن كل الثقافات الأدبية والفلسفية والعلمية فى العصور الوسطى المسيحية كانت موسومة بخاتم الإسلام وعلامته».

9 - وطالما أنه لا يوجد على مر التاريخ البشرى ما يسمى حضارة خالصة، بل يتشابك تراث الإنسانية الثقافى فى شتى مناحيه الأدبية والعلمية والفلسفية والفنية مع ثقافات الأمم والشعوب على مر العصور، فإن الدعوة لقبول الآخر مسألة حاكمة لجميع الشعوب والمجتمعات، وإذا كانت الحضارة العربية الإسلامية تعد أهم هذه المنابع، فإن حضارات أخرى أضافت إلى التراث العربى العلمى والفلسفى والأدبى العديد من علوم المعرفة أهمها الحضارة المصرية القديمة، وحضارات الشرق الأدنى القديم والهند والصين، والحضارة اليونانية الرومانية.

10 - فالحقيقة أن حضارة الإسلام، هى التى قلبت ظلمات أوروبا فى العصور الوسطى إلى نور، وأنها هى التى أرست قواعد الحضارة الحديثة التى بنت عليها أوروبا نهضتها بعد أن أضافت إليها حلقات جديدة من سلسلة العلم والمعرفة.

ويؤكد المستشرق نيكلسون ذلك بقوله: «إن أعمال العرب العلمية فى العصور الوسطى اتسمت بالدقة وسعة الأفق، وإن العلم الحديث استمد منها مقوماته بصورة أكثر فاعلية». فيما يؤكد المستشرق الفرنسى جوستاف لوبون G.Lebon أن أوروبا مدينة للعرب بحضارتها، ولا يستطيع أحد أن يدرك تأثير العرب فى الغرب إلا إذا تصور حالة أوروبا عندما أدخل العرب الحضارة إليها.

11 - لقد جاءت الدعوة الإسلامية كرسالة عالمية دعت إلى الإيمان بكافة الرسل، ونبهت إلى وحدة الرسالات السماوية، فالرسل فى الإسلام فروع لشجرة واحدة، فالأصل فى الأديان الرحمة والتسامح والسلام والحوار لتحقيق التقارب بين البشر، والاعتراف بحق الآخر فى الاختلاف فى الخصوصية الثقافية والدينية، فالأزمة الحضارية الحالية التى تنامت بسبب سقوط الأيديولوجيات، وانتهاء بالحرب الباردة وسقوط نظام الثنائية القطبية فى مطلع تسعينيات القرن العشرين، والبحث عن نظام عالمى جديد من خلال العولمة، لا يمكن أن يكون بديلاً لمفاهيم الحوار والتعاون والتفاهم والبناء المشترك ومد الجسور وتوسيع الآفاق وتعظيم دور المؤسسات بدلاً من أفكار نهاية التاريخ وصراع الحضارات، فالدولة الوطنية الحديثة التى وضع أسسها وقواعدها صلح وستفاليا فى 1648 بعد صراع وحرب استمرت ثلاثين عاماً داخل القارة الأوروبية ستظل هى اللاعب الشرعى والأقوى على مسرح العلاقات الدولية طوال القرن الحادى والعشرين. مع الأخذ فى الاعتبار أن الدولة الوطنية المصرية تمتد لخمسة آلاف عام منذ 3200ق.م، وحتى الآن راسخة القواعد والأحكام السياسية والقانونية.

كاتدرائية جامع قرطبة

المراجع:

د. عبدالمنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، الانجلو المصرية 1963.

د. سعيد عبدالفتاح عاشور: أوروبا العصور الوسطى «النظم والحضارة»، القاهرة 1959.

د. محمد انس + د. سعيد عاشور: النهضات الأوروبية فى العصور الوسطى ومطلع الحديثة القاهرة 1960.

د. عبد الرحمن بدوى: دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى، الانجلو المصرية 1967.

د. جمال الشيال + مختار العبادى: معابر انتقال الثقافة العربية الإسلامية إلى أوروبا 1983.

ملازم غير منشورة للباحث منذ ما يقرب من خمسين عاما باعتباره مورخاً

حكايات وطرائف دبلوماسية من الماضى

حكايات إذا لم تسجل ستضيع ..... قد تبدو غير مهمة لكنها تحمل معلومة ربما تنطوى على عبرة، أو حكمة، أو حتى مجرد فكاهة.

سفير يسرى القويضى

ykouedi@yahoo.com

حكاية اليوم عن الفنان محمد موسى ناجى (1888 - 1856)، رائد فن التصوير الحديث فى مصر، عند التحاقه بوزارة الخارجية المصرية.

والحكاية منقولة من كتاب (محمد ناجى – كما لم يعرف من قبل) الذى قمت بتأليفه بالمشاركة مع الفنان عصمت داوستاشى.

« ..... فى اليوم الذى حدد لمحمد ناجى توجه إلى مقر وزارة الخارجية فى شارع البستان، وقدم نفسه إلى المسئول بالوزارة، مصحوباً بالتوصية التى أمّنَهَا له والده بعد الاتصالات العديدة التى أجراها، وهكذا وجد محمد ناجى نفسه معيناً بوزارة الخارجية، وبعدها بعدة أيام صدر قرار الوزير بإلحاقه بالمفوضية الجديدة التى ستفتح فى البرازيل، وكان عليه الاستعداد للسفر وتجهيز متعلقاته.

سلمته الوزارة خطاباً يتوجه به إلى الترزى الذى تتعامل معه الوزارة، كى يقوم بتفصيل بدلة التشريفة (الإستامبولينا)، ويجهزها له قبل السفر، مع مستلزماتها من طربوش وقفازات بيضاء، وسيف.

جرت العادة أن تحاك بدلة التشريفة لرجال السلك الدبلوماسى فى شكل بالطو من الصوف كحلى اللون

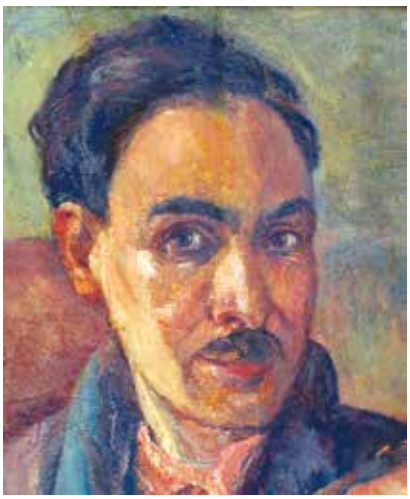

محلى بأزرار نحاسية، صدره مزركش بخيوط الذهب (القصب) والكمّان ينتهى كل منهما ببرواز عريض أحمر محلى هو الآخر بخيوط الذهب، أما البنطلون فيحده من الجانبين شريط أحمر، ويتوسط البالطو حزام عريض مذهب فى مقدمته التاج، ويتدلى منه على اليسار سيف فاخر بقبضة من العاج والمعدن المذهب، وكانت كمية الشغل بخيوط الذهب على الصدر والأكمام والياقة الواقفة تتناسب فى كثافتها مع كل درجة من درجات السلك، فبالنسبة للملحق باعتباره أول درجات السلك الدبلوماسى، فكان يكتفى بشريط واحد ضيق من خيوط الذهب على الصدر، على أن تزداد مع كل ترقية إلى أن يصل لصدر مشغول بالكامل فى أعلى درجات.....».

هكذا كان الزى الرسمى لأعضاء السلك الدبلوماسى قبل إلغائه فى أعقاب ثورة 23 يوليو 1952 ..... للعلم كان مثل ذلك الزى تقليداً متبعاً لدى بعض الدول حتى وقت قريب منها على سبيل المثال (الاتحاد السوفيتى السابق، فرنسا، أسبانيا ..... وعدد آخر من الدول الأخرى).

«بمبمكوم وجمتم» به فتمث لجيم فبم فم ذوم فصبمقة فمطج

رحلت عن عالمنا مؤخراً عن عمر يناهز الثانية والتسعين عاماً واحدة من أهم الشخصيات اليابانية التى تركت آثاراً لا تمحى على ســـاحة العلاقات الدولية بمستوياتها الحكومية وغير الحكومية على حد سواء، كما تركت بصماتها التى ستبقى لعقود، بل لقرون، على الســـاحة الداخلية اليابانية، وهى الدكتورة/ ساداكو أوجاتا، والتى شغلت فى فترة حاسمة من تاريخ عالمنا، وتحديداً فى أعقاب انتهاء الحرب الباردة فى مطلع العقد الأخير من القرن العشرين، منصب المفوض السامى للأمم المتحدة لشئون اللاجئين، كما أنها شغلت لسنوات طويلة تالية، وحتى أعوام قليلة مضت، منصب رئيســـة وكالة التعاون الـــدولى اليابانية (الجايكا)، وبقيت تحظى بمنصب المستشار الخاص للوكالة حتى وفاتها مؤخراً، وأيضاً حظيت حتى وفاتها بمنصب مستشار اللجنة المنظمة لأولمبياد طوكيو 2020. وحظيت الدكتورة/ أوجاتا بتكريم خاص من بلدها اليابان عندما تم منحها وسام الثقافة اليابانية فى عام 2003 تقديراً لعملها ونجاحاتها على الساحة الدولية.

ونتيجـــة عمل والدهـــا كدبلوماسى يابانى، تربت الدكتورة/ ساداكو أوجاتا وترعرعت فى العديد من بلدان العالم. كما أن جدها الكبير «تســـويوشى إينوكاي» (1855– 1932) شـــغل منصب رئيس وزراء اليابان. وبعد حصولها على درجة البكالوريوس من جامعة «القلب المقدس» بالعاصمة اليابانية طوكيو، حصلت على درجة الماجستير من جامعة جورج تاون بالعاصمة الأمريكية واشنطن، ثم حصلت على درجة الدكتوراة فى العلوم السياسية من جامعة كاليفورنيا الأمريكية.

وفى بدايـــة حياتهـــا العملية، عملت الدكتورة/ ســـاداكو أوجاتا كأســـتاذ مساعد فى الجامعة المسيحية فى طوكيو، وفى أعقاب ذلك عملت كأستاذة فى جامعة صوفيا بالعاصمة اليابانية، ثم ترأســـت معهد العلاقات الدوليـــة بتلك الجامعة فى مرحلـــة تاليـــة، ولاحقـــاً، وتحديداً عام 1989، تولت منصـــب عميد كلية الدراسات الخارجية بنفس تلك الجامعة. كمـــا أنها كانت أول مـــن أدخل نموذج المحاكاة الخاص بالأمم المتحدة فى اليابان.

وبنـــاءً على دعـــوة من «فوســـاى إيشـــيكاوا»، والذى كان آنـــذاك عضواً بمجلس المستشـــارين اليابانى (الغرفة الأعلى مـــن غرفتى البرلمـــان الياباني)، انضمت الدكتورة/ أوجاتا للوفد اليابانى إلى الجمعيـــة العامة للأمـــم المتحدة فى دورتها لعـــام 1968. ومنذ تلك اللحظة بدأت رحلة الراحلـــة الطويلة مع الأمم المتحدة وعلاقتها معها. وفى عام 1976 أصبحت الدكتورة/ أوجاتا أول ســـيدة تحمـــل منصب وزير مفـــوض بالبعثة الدائمـــة لليابان لدى الأمـــم المتحدة فى نيويورك، وما بين عامى 1982 و1985 مثلت اليابان فى أعمال لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان (والتى تغير اسمها فيما بعد إلى مجلس حقوق الإنسان).

سفير/ وليد عبدالناصر

walidabdelnasser@yahoo.com

وقد كانـــت لى الفرصـــة الكبيرة فى التعرف على الراحلـــة الكريمة فى خلال فترتى توليها للمنصبين وأداء مسئولياتها عبرهما: المرة الأولى عندما كانت تشـــغل منصب المفوض الســـامى للأمم المتحدة لشئون اللاجئين فى تســـعينيات القرن المنصرم، والمرة الثانية عندما كانت تشغل منصب مدير عام «الجايكا»، وبشـــكل خاص ما بين عامـــى 2007 و2011، وإن كان تواصلى معها استمر حتى فترة قليلة قبل رحيلها عن عالمنا وغيابها عن المشهدين اليابانى والعالمى.

وكانت الدكتـــورة «أوجاتا» من تلك النوعيـــة من الشـــخصيات التى تمتلك القدرة الفائقة على أن تشعر من يعرفها بقدر غامـــر من الود الصـــادق ورفع الكلفة فى التعامل، بالإضافة إلى ما يميز الشرقيين، والشـــعب اليابانى بالتأكيد حضارياً وتاريخياً وثقافياً يتعين تصنيفه ضمن قائمة الشعوب والأمم الشرقية، من حميمية ودفء المشاعر، وهو الأمر الذى كان دائماً ما يترك أثره الإيجابى على كل من عمـــل أو تعامل معها أو حتى مجرد اقترب منها أو التقى بها، ولو لمرة واحدة أو لمرات قليلة.

وفى سياق أنشطتها كمفوضة سامية للأمم المتحدة لشـــئون اللاجئين، سعت الدكتورة/ أوجاتا إلى أن تعلى من شـــأن مفهـــوم «الأمن البشري»، بما يشـــمل حماية البشر من الفقر والحروب، وبما مثل تحدياً للمفاهيم التقليدية للأمن.

ويذكر للراحلـــة الكريمة أنها كانت أول مواطن ياباني يتولى منصب المفوض الســـامى للأمم المتحدة فى عام 1991، وحتى عام 2000، وذلك فى توقيت اتسم بتصاعد الصراعـــات العرقية والطائفية والدينية عبر العالم، كما كانت أول امرأة على الإطلاق تتولى هذا المنصب منذ نشأته، وكذلك كانت أول شـــخصية ذات خلفية أكاديمية تولت ذلك المنصب. وعملت بقوة لمد يد المســـاعدة لأولئك الذين اكتسبوا صفة اللجوء نتيجـــة لكل من الحرب فى البوســـنة فى منطقة البلقان والحرب فى منطقة البحيرات العظمـــى فى إفريقيا، كما زارت خـــلال تلك الحقبة الكثير من مناطق النزاع والصراع فى العالم.

ولكن للراحلة الكريمـــة دوراً مهماً ومكانة لا تنسى فيمـــا يتعلق بالعلاقات بين اليابان ومصر على وجه الخصوص، ولا تتمثل هـــذه العلاقـــة فى صداقتها الحميمة لعدد من الشخصيات المصرية العامة التى لعبت أدواراً مهمة فى تاريخ مصر على مدار العقود الثلاثة الماضية فى مجالات مختلفة وميادين متنوعة، ولكنها فى الأساس تعكس ما قدمته الدكتورة/ أوجاتا شخصياً من دعم لمصر فى مواقف محددة وأثناء مراحل مهمة من التاريخ المعاصر لمصر وللمنطقة العربية.

فخلال توليها مســـئولية المفوضية السامية للأمم المتحدة لشئون اللاجئين، شهد العالم أحداثاً جســـاماً، وكان من أوائل تلك الأحداث مـــا يخص المنطقة العربيـــة، وتحديداً ما عـــرف تاريخياً

ساداكو أوجاتا

بأزمة وحرب الخليج الأولى، بحسب الأدبيات التاريخية العربية، وبأزمة وحرب الخليج الثانية، طبقاً للأدبيات التاريخية الغربية، باعتبار أن حرب الثمانى سنوات بين العراق وإيران كانت هى حرب الخليج الأولى، والمقصود هنا هو غزو العراق للكويت فى 2 أغسطس 1990، وما تلاها من تداعيات استمر بعضها حتى تحرير الكويت فى فبراير 1991 واستمر بعضها الآخر إلى ما بعد ذلك التاريخ.

وكان من أهم معالم تلك الأزمة التاريخية الشهيرة حدوث تدفقات واسعة، وربما غير مسبوقة فى المنطقة منذ حروب الصراع العربى الإسرائيلى، للاجئين من الكويت والعراق، ولكن أيضاً من مواطنى دول كثيرة أقاموا وعملوا لسنوات فى كل من البلدين، وكان فى مقدمة أولئك الفارين من جحيم العمليات العسكرية آنذاك مئات الآلاف من المصريين. ولعبت الدكتورة/ ساداكو أوجاتا، عبر قيادتها للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشئون اللاجئين دوراً محورياً فى قيادة العمل الإنسانى الدولى الضخم فى ذلك الوقت، والذى شاركت فيه منظمات دولية أخرى مثل المنظمة الدولية للهجرة، بغرض التسريع بتعبئة الدعم الدولى لدول الجوار المستقبلة للاجئين الفارين من كل من العراق وإيران، بالإضافة إلى تقديم الدعم المباشر للقدرات الاستيعابية لتلك البلدان. وغنى عن البيان أن المصريين كانوا فى مقدمة الشعوب التى استفادت من جهود ومساعدات المفوضية السامية للأمم المتحدة لشئون اللاجئين، وغيرها من المنظمات الدولية ذات الصلة، فى هذا المجال وفى ذلك التوقيت.

وكذلك فى سياق نفس الأزمة، ظهرت قضية تدفق اللاجئين الأكراد من العراق، وقررت الدكتورة/ أوجاتا تقديم الدعم لهؤلاء، الذين كان تصنيفهم من جهة القانون الدولى باعتبارهم نازحين داخل حدود بلدهم وليسوا لاجئين، بالرغم من أن ذلك الأمر لم يدخل تقليدياً داخل نطاق ولاية واختصاص مفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين.

وخلال فترة ما بين عمل الدكتورة/ أوجاتا كمفوض سام للأمم المتحدة لشئون اللاجئين وعملها كرئيسة لوكالة التعاون الدولى اليابانية (الجايكا)، عملت الدكتورة/ أوجاتا كممثل خاص لرئيس الحكومة اليابانية لشئون المساعدات الخاصة بإعادة إعمار أفغانستان.

وخلال تولى الدكتورة/ ساداكو أوجاتا رئاسة الجايكا ما بين عامى 2003 و2012، وكانت أول شخصية من خارج وزارة الخارجية اليابانية تتولى هذا المنصب، عملت على إعادة هيكلة عملية تقديم المساعدات الخارجية اليابانية وضمان الانتقال السلس من المساعدات الإنسانية إلى مساعدات إعادة الإعمار والتنمية، واستفادت فى ذلك من تجربتها فى تقديم المساعدات الإنسانية فى إطار منصبها الأسبق كمفوض سامٍ للأمم المتحدة لشئون اللاجئين.

وخلال توليها ذلك المنصب فى الجايكا، كان هناك العديد من المشاريع الضخمة التى كان لها دورها فى دعم مصر من خلالها وذلك بهدف تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وأذكر من تلك المشروعات العملاقة، فقط على سبيل المثال وليس بالتأكيد على سبيل الحصر، حيث لا تحضرنى الآن كافة تلك المشروعات، الدعم اليابانى لمشروع إقامة الجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا بمدينة برج العرب، والتى تم افتتاحها بالفعل فى عام 2010، وكذلك الدعم اليابانى لتشييد المتحف المصرى الكبير والجديد بمنطقة أهرامات الجيزة، والذى من المفترض أن تاريخ افتتاحه قد اقترب كثيراً، بالإضافة إلى مشروعات ضخمة فى مجالات الصرف الصحى ومعالجة المخلفات، والتى ركزت على تقديم الخدمات للمقيمين فى المناطق المهمشة والعشوائيات فى المدن الكبرى مثل القاهرة والإسكندرية، أو فى المناطق التى عانت تاريخياً من الإهمال، مثل العديد من محافظات الصعيد، وكذلك شملت مشروعات الجايكا فى مصر دعم البحث العلمى فى ميادين متعلقة بالزراعة والرى، كما كانت هناك أفكار متميزة بشأن مشروعات أخرى كثيرة ولكنها لم تتبلور فى شكلها النهائى خلال فترة وجود الدكتورة/ أوجاتا على رأس الهرم التنفيذى لوكالة الجايكا.

ويتعين أن ندرك أهمية الإنجازات التى حققتها الدكتورة/ أوجاتا على مدار حياتها الطويلة وعمرها المديد فى العديد من المجالات المتنوعة فى ضوء حقيقة أن المجتمع اليابانى هو فى جوهره ومعدنه الأصيل مجتمع شرقى بكل ما تحمله تلك الكلمة من معان، وبالتالى فإن تحقيق المرأة لهذا الحجم من النجاحات المتواصلة والمتصاعدة، والتى بدأت منذ سن مبكر شكل، على مدار العقود، نموذجاً للملايين من اليابانيات، المتطلعات إلى السير على نفس النهج، أو على الأقل إعداد بناتهن لخوض نفس الطريق الذى شقته الدكتورة/ ساداكو أوجاتا. كما يذكر للدكتورة/ أوجاتا أنها نجحت طوال حياتها العملية فى أن تحقق التوازن ما بين متطلبات عملها ومتطلبات عائلتها وأسرتها المكونة من زوجها الذى رحل عن عالمنا قبلها بسنوات قليلة ومن طفليهما، وهو ما كنت شخصياً شاهداً عليه خلال فترة عملى وإقامتى بالعاصمة اليابانية طوكيو ما بين عامى 2007 و2011.

كما أنها جمعت ما بين الذكاء الخارق والتفانى فى الخدمة العامة، يابانياً ودولياً، والروح العملية والبراجماتية، وكذلك القدرات القيادية المتميزة. وحظيت الراحلة ليس فقط باحترام قادة العالم وكبار مسئولى المنظمات الدولية، وفى المقدمة منها الأمم المتحدة، بل حظيت أيضاً بحب اللاجئين، الذين أطلق بعضهم اسمها على بناتهم. ومن أهم مؤلفات الدكتورة/ أوجاتا كتاب «عقد مضطرب: مواجهة أزمات اللاجئين فى التسعينيات»، وكذلك كتاب مبكر لها عن حادث «منشوريا» فى الصين الذى حدث عام 1931 واستخدمته القيادة اليابانية آنذاك لتبرير الغزو اليابانى لشمال شرق الصين.

لبنان .. النهايات لا تأتى سعيدة

تحديات كبيرة تواجه لبنـــان البلد العربى الصغير تتجاوز الخلافات السياســـية القائمة والمعروفة، ســـواء تلك المتعلقة بخريطة القوى الموازنة أو ترتيبات الملف الأمنى وتثبيت معادلة التعايش السلمى بين الطوائف وفق احترام الخصوصيات، والتعاون فى تحصين مؤسســـات الدولة، بعيداً عن محاولات البعض جرها إلى الطريق الشائك الذى عانى منه لبنان طويلاً وكانت نتائجه كارثية.

ماهر مقلد

دخل لبنان مع بداية العام الجديد فى العاصفة الاقتصادية التى قد تكون ســـبباً ضاغطاً على أولويات الشارع اللبنانى المنهك، بعد أن تراجعت موارد الدولة وتقلصت الإيرادات بشـــكل غير مســـبوق، وفقد المواطن حرية العلاقة المباشرة مع المصارف وأصبح يخضع لقرارات لم يكن يتوقعها.

فى لبنان العنوان البارز هو تشكيل الحكومـــة أو تأليفها، وهذا أمر متوقع فى أية لحظة، وهناك شبه اتفاق ضمنى على إتمام مهمة رئيس الحكومة المكلف الدكتور حسّان دياب مع إرضاء القوى الكبرى فى توزيـــع الحقائب الوزارية على أرضية شـــعار حكومة تكنوقراط أو اختصاصيين، وهـــو المطلب الذى ينادى به الحراك الشـــعبى. ومنحت القوى الداعمة الضوء الأخضر للرئيس المكلف فى الحديث عن تشكيلة حكومته وطبيعتها وأنها تضم وزراء تكنوقراط مع تطبيق قاعدة فصل عضوية المجلس النيابى عن الـــوزارة بحيث لا يجمع الوزير بين المنصبين كما كان متبعاً فى الحكومات السابقة.

القوى الداعمـــة لرئيس الحكومة المكلف فى مقدمتهـــا حزب الله والتيار الوطنـــى الحـــر، بينما تعـــذر عليه الحصول عـــلى الداعـــم الواجب لهذا المنصب من الطائفة السنية التى يتحتم عـــلى رئيس الحكومـــة أن يكون أحد أبنائها وفق النظام الســـياسى المعتمد، ويوزع المناصب الرئاسية الثلاثة على الطوائف الثـــلاث. ولا يخفى البعض الشعور بأن هناك ترقباً فى عدم قدرة الحكومة الوليدة على التعامل مع الأزمة الاقتصاديـــة الطاحنة واضطرارها إلى الاستقالة بعد شهور قليلة من عملها، وفتح الباب من جديد أمام عودة سعد الحريرى لرئاســـة الحكومة لاستثمار علاقاته العربية والدولية فى الحصول على دعم ينقذ البلاد.

هذا الترقـــب الذى يبنى عليه فريق ســـياسى وازن فى لبنان ينتمى إلى تيار المستقبل الذى يترأســـه الحريرى قد يصطدم بالتعنت المشـــهود فى الحالة اللبنانية وتدخل القوى الإقليمية التى من مصلحتها بقاء حسّان لأطول فترة ممكنـــة، ولا ترغب فى عودة الحريرى، وعندهـــا يتقـــدم رئيـــس الحكومة بالاستقالة، ويستمر الوضع على ما هو عليه وتفشل الاستشـــارات النيابية فى تعزيز فرص الحريرى أو غيره.

تعقيدات الوضع الاقتصادى أصبحت الهم الأكبر الذى يشغل عقل كل لبنانى بعد أن تسببت الاحتجاجات الشعبية التى يشـــهدها لبنان منذ 17 أكتوبر الماضى وللمرة الأولى منذ 30 عاماً فى تخلى الليرة – العملة الوطنية للبنان – عن ثباتها فى مقابل الـــدولار الأمريكى. كما عصفت الاحتجاجات بحالـــة الحياد التى كانت تتمتع بها المصارف هناك وإبعادها عن أى توترات قد تحدث.

فى هذه المرة لـــم تنجح الجهود فى تحييد المصارف وتعرضت لاهتزازات كبيرة بعد أن هـــرع المواطنون إليها لسحب الأرصدة خشية تدهور الأوضاع الأمنية، كما تعامـــل البعض بالعنف غير المعهود مع المصـــارف وقد كان، مما أسفر عن اهتزاز الاقتصاد وتدخل رياض ســـلامة حاكم مصرف لبنان وإقراره حزمة مـــن الضوابط تضمن عدم ســـحب الأرصـــدة، لكنها كانت قاسية على المواطن، وســـحبت كثيراً من الثقة الكبيرة التى كانت تتميز بها المصارف اللبنانية.

مسئولية الرئيس اللبنانى ميشال عـــون فى تجنيـــب لبنـــان المخاطر تصطدم باهتزاز الثقة التى تزعزعت لدى المواطـــن فى العهد الذى يمثله من فرط الوعـــود بإيجاد الحلول للأزمات الخانقة وتغليـــب المصلحة العليا على النزاعات الضيقـــة، كما أنه ينتمى إلى التيار الوطنى الحـــر الذى يتحمل فى نظر البعض المسئولية فى توتر المشهد وهو يرتبط بعلاقة إســـتراتيجية مع حزب الله كما تحوم من حوله الشكوك فى الداخل بسبب بعض القرارات التى يتبناها.

جاء الحـــراك الشـــعبى فى لبنان يحمل المفاجأة غير الســـارة للزعامات اللبنانية حيـــث انتقد المتظاهرون من أبنـــاء الطوائف للمرة الأولى بشـــكل واضح وعلنى الزعمـــاء ووجهوا لهم التهم بالفســـاد وغيرها من الاتهامات التى لم تكن تسمع من قبل، صحيح أن تحركات عاجلـــة جرت داخل صفوف تنظيمات القـــوى والطوائف ودفعت عناصر مؤيـــدة للتعبير عـــن التأييد

ومهاجمة من ينتقد فى محاولة لتغيير الصورة والتلويح بالمخاطر التى تنتظر من ينتقد الزعمـــاء، وهو تصرف أعاد التـــوازن بعض الشىء ممـــا يعنى أن النهايات لا تأتى سعيدة فى لبنان.

كان يتوقع المراقبـــون أن الحراك الشعبى بداية التخلص من الطائفية فى هذا البلد الصغير الذى يبلغ عدد سكانه 5 ملايين نســـمة ويضـــم 18 طائفة تعيش عـــلى مســـاحة 10452 متراً، وهى أرقـــام تدلل على التعدد الكبير فى التركيبة السكانية والمساحة الصغيرة التى تتيح لمن يريد فى التجول شـــمالاً وجنوباً فى زمن أقـــل من عدد أصابع اليد الواحدة، ومع هذا مرتبط بمراقبة وتدخـــلات إقليميـــة لا تحصى. هذه التدخلات لا تترك مناســـبة فى لبنان إلا ووضعت بصمتها عليها، وفى كل مرة لا تكون فى مصلحة الشعب أو الاستقرار.

القوى الإقليمية حساباتها تتقاطع مع الملـــف اللبنانى، وما يطمئن أن كل لبنانـــى يدرك هـــذه الحقيقة ويمنى النفس دائماً بأن هناك يوماً قادماً لن يكون فيه لبنان رهينة لهذه التدخلات.

المعادلة السياســـية فى لبنان قائمة على المحاصصة فى كل شىء، ومع هذا لا تشفع فى تهدئة الأوضاع بسبب تعارض المصالح والانتماءات. فبســـبب مواقف حزب الله وتدخله فى الأزمة الســـورية ودعمه للحوثيـــين فى اليمن تتباعد بينه وبين قوى مهمة فى لبنان المسافات، وهذا ينعكس جلياً عـــلى أداء الحكومة وعلى علاقات لبنـــان بغيرها من الدول المهمة مثل المملكة العربية السعودية التى ترتبط بعلاقة تاريخية مع لبنان وتدعمه.

للتقريب أكثر بعد اغتيال قاســـم سليمانى ورفاقه فى طريق مطار بغداد ظهر الســـيد حســـن نصر الله الأمين العام لحزب الله يتوعد بالرد للانتقام لمقتلـــه، مما أثـــار ردود فعل متباينة داخل لبنان وطرحت علامات استفهام وهى تتعجب من ربـــط مصير لبنان بعملية اغتيال لقائد عســـكرى إيرانى فى الأراضى العراقية بواسطة صاروخ أمريكى. بمعنى أن لبنان لم تكن له أية علاقة من قريب أو بعيد بهذه العملية، ومع هذا تخرج التصريحات لقيادات لبنانية وأحزاب تشـــارك فى الحكومة وتربط مصير لبنان بمثل هذه العمليات فى الوقت الـــذى يعانى فيه من أزمات داخلية كبيرة ويحتاج إلى الخروج منها فى أسرع وقت.

هـــذا قدر لبنان الصغـــير المهموم بالعالم ويشـــتبك دون رغبة فى ملف اليمـــن والحرب الســـورية والخلاف النـــووى الإيرانى الأمريكى، فضلاً عن وجود إحســـاس عام داخل لبنان بأن الولايات المتحدة تصفى حساباتها مع الغير عبر لبنان، كما تســـتثمر إيران نفوذها المتمثل فى حزب الله فى تعقيدات حل الأزمة اللبنانية.

الأحداث الأخـــيرة التى جرت على السطح أظهرت نقاط الضعف الكبيرة فى الجســـد اللبنانى، وأن هناك ثغرات نافذة قـــد تطيح بالاســـتقرار الذى يضمن الحيـــاة الطبيعية للمواطن ما لم يتراجع الزعماء عن ممارسة سياسة الاحتقان، والإيمـــان بتقديم مصلحة الوطن عن المصالح الفئوية، ومعالجة الملفات المؤلمة مثـــل الطاقة والنفايات، وخلق فرص عمل، ومساعدة أصحاب المشروعات السياحية باستعادة الهدوء وعودة الحركـــة الســـياحية. ومنح رئيس الحكومة الجديد أيا كان اسمه الفرصة فى الإنجاز تحت سقف البيان الوزارى الـــذى يتم التوافق عليه تحت غطاء المجلـــس النيابى، وتخلى بعض الأسماء التى تثير حفيظة رجل الشارع عن أدوارهم واســـتمرارها فى المناصب الوزارية حتى يشعر المواطن بأن هناك استجابة فى مكان ما لصوته.

الأمل قائم فى تجـــاوز لبنان لهذه الصعوبـــات بوعى المواطـــن وقدرة الحكومة العتيدة على تلبية الاحتياجات العاجلـــة وتوقـــف السياســـيين عن التراشـــق، ومنح أهـــل الاختصاص الفرصة للمرة الأولى كتجربة ينتظرها الشـــعب منذ عقود. والفرصة سانحة، لكن حيثيات الاختيار وتصعيد اســـم رئيس الحكومة بشـــكل مفاجئ يضع النهايات برســـم القاعدة المستقرة فى هذا البلد، فالجميـــع يتمنى أن تكون فى لبنان حكومة غير طائفية تســـتعين بأهـــل الكفاءة بعيداً عـــن أهل الثقة، وأن يستفيد الوطن من خدمات أبنائه أصحـــاب الكفاءات حتـــى لا تتكرر الشكوى الدائمة وهى أنه وطن يحرم من أبنائه الموهوبـــين فى كل المجالات بسبب الطائفية والمحاصصة. وعندما حانت اللحظة يأتى الترشيح والاختيار فى ظروف غير معلومة مما يربك المشهد المرتبك فى الأصل.

نهاية الوجود الأمريكى فى الشرق الأوسط

سؤال عريض يتعلق بالوجود الأمريكى فى الشرق الأوسط، فقد تعالت الدعوات المطالبة بانسحاب القوات الأمريكية من العراق فوراً, وبرفض الحرب على إيران والعقوبات المفروضة عليها، ورفع المتظاهرون أمام البيت الأبيض لافتات تقول «لن نسمح بجر بلادنا إلى حرب عبثية جديدة»، ودعت المنظمات اليسارية لتظاهرات فى نحو 70 مدينة أمريكية.

محمد صابرين

mohsabreen@yahoo.com

ومن المدهش أن الرئيس الأمريكى دونالد ترامب هو الذى خاض معركته الانتخابية ساخراً من الحروب العبثية فى الشرق الأوسط، وتعهد مراراً بنهاية التواجد الأمريكى فى أفغانستان وسوريا والعراق، ولكن تبدو النهاية الموعودة بعيدة على الأقل فى المدى القريب، وفى ضوء التصعيد الأخير بعد الضربة الأمريكية، التى أدت لمقتل قائد فيلق القدس فى الحرس الثورى الإيرانى الفريق قاسم سليمانى فى بغداد. ويخشى الكثيرون أن يتسبب ترامب من دون قصد بانفجار حقيقى فى الشرق الأوسط. ولايزال الكثير من الخبراء يجادلون بأن ترامب يرغب فى الرحيل ولا يريد الحرب، إلا أن السؤال الأهم هو «هل يملك القدرة على ذلك»؟ وأحسب أن السؤال الآخر المرتبط بالسؤال الأول هو «هل ترغب واشنطن بإنهاء وجودها فى المنطقة»؟

وفى تقديرنا أن ترامب لا يملك القدرة على الرحيل، والتواجد الأمريكى فى المنطقة لن ينتهى، ولكن أقصى ما يمكن تخيله هو توزيع الأعباء ما بين واشنطن والحلفاء مثلما نشهد فى تأمين الملاحة فى مضيق هرمز. وبعيداً عن ذلك فنحن نشهد معركة «عض الأصابع» ما بين واشنطن وحلفائها من جهة، وطهران ومحورها من جهة أخرى.

*وبعد ساعات من اغتيال قاسمى والمهندس نائب الحشد الشعبى فى العراق تصاعدت وتيرة التهديدات المتبادلة ما بين واشنطن وطهران، فقد هدد الرئيس ترامب بأن تضرب الولايات المتحدة إيران بشكل أقوى من أية ضربة واجهتها من قبل، إذا ردت طهران على اغتيال سليمانى. وكتب ترامب فى تغريدة «إذا قاموا بهجوم آخر وأنصحهم بشدة بألا يفعلوا ذلك، فسنضربهم بشكل أقوى مما ضربوا يوماً من قبل». وهدد أن بلاده ستستخدم معداتها العسكرية «الجديدة الجميلة بلا تردد»، إذا رد الإيرانيون. وكان قد حذر فى وقت سابق من أنّ الولايات المتّحدة حدّدت 52 موقعاً فى إيران ستضربها «بسرعة كبيرة وبقوّة كبيرة» إذا هاجمت الجمهوريّة الإسلاميّة أهدافاً أو أفراداً أمريكيّين.

* وفى المقابل حددت طهران 35 هدفاً أمريكياً للانتقام لمقتل قاسمى، وأكد وزير الخارجية الإيرانى، محمد جواد ظريف، الأحد 5 يناير من أن نهاية الوجود الخبيث للولايات المتحدة فى غرب آسيا بدأت، وقال ظريف فى تغريدة على «تويتر» «شاءت أمريكا أم أبت، فقد بدأت نهاية الوجود الخبيث للولايات المتحدة فى غرب آسيا، فقد ارتكبت أمريكا انتهاكات خطيرة للقانون الدولى فى الاغتيالات الجبانة التى نفذتها يوم الجمعة».

وسخر ظريف من تهديدات ترامب بقوله «استهداف المواقع الثقافية يعد جريمة حرب، ومن يتنكرون فى هيئة دبلوماسيين ومن حددوا بلا خجل الأهداف الثقافية والمدنية الإيرانية، ألم يتعبوا أنفسهم وينظروا فى القوانين الجنائية الدولية»، لافتاً: «قواعد وأساسيات القانون الدولى تشير إلى أن هذه خطوط حمراء دولية. وممنوعة قطعاً».

وفى الوقت نفسه انطلقت من طهران تهديدات الرد بقوة ومن أعلى سلطة فى إيران المرشد خامنئى، وكذلك من مجلس الأمن القومى الإيرانى وقادة الحرس الثورى، وهو ما استدعى تحركاً أمريكياً لفتح قنوات اتصال غير مباشرة مع الإيرانيين وإرسال الرسائل التى حسب بعض المصادر كانت متعددة الاتجاهات بعضها كان تحذيرياً وأخرى مليئة بالحوافز، وقد بعثت واشنطن برسالة عبر السفارة السويسرية فى طهران، التى ترعى المصالح الأمريكية، وحسب المصادر كانت الرسالة تحتوى على عروض وحوافز لإيران ودعوة للتفاوض، لكن جواب إيران عليها كان الرفض.

وسبق التصعيد أزمة حصار السفارة الأمريكية فى بغداد، وقالت كتائب «حزب الله» العراقى، إن مقاتليها «انسحبوا من محيط السفارة الأمريكية ببغداد مقابل

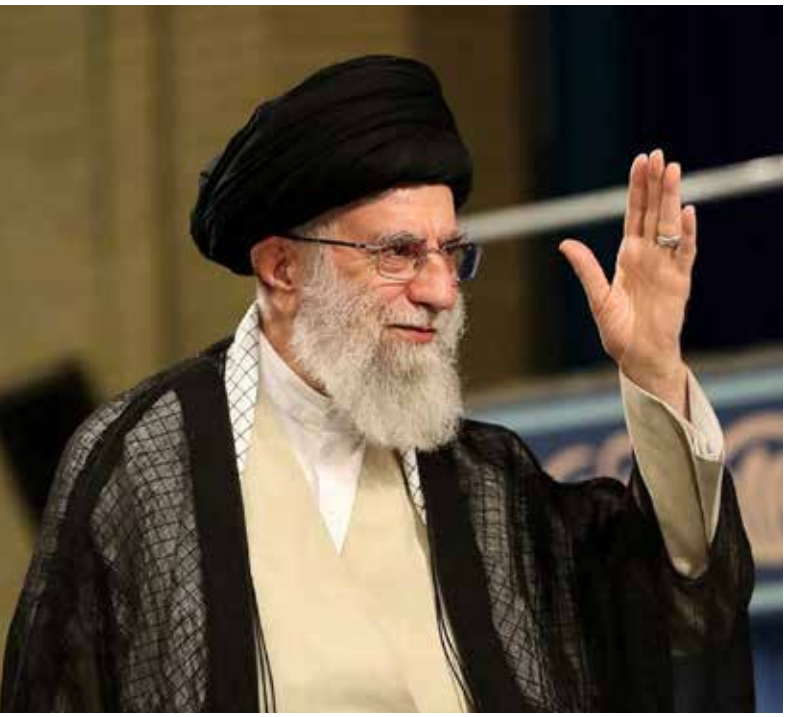

تعهد رئيس حكومة تصريف الأعمال عادل عبد المهدى بالعمل الجاد على تشريع قانون لإخراج القوات الأمريكية والأجنبية الأخرى من البلاد»، وأوضحت الكتائب، فى بيان لها، مساء الأربعاء قبل 48 ساعة من اغتيال قاسمى والمهندس، «لبينا دعوة عبد المهدى بتغيير مكان الاعتصام، مقابل العمل الجاد لإقرار قانون إخراج القوات الأجنبية»، وذلك حسب «روداو» الكردية العراقية. وأضافت «سنراقب عمل البرلمان الأسبوع القادم، للمباشرة بتشريع قانون إخراج القوات الأجنبية وفاء لدماء الشهداء».

مروحة من الخيارات

وبعيداً عن التهديدات واللغة المتشنجة فيبدو أن طهران تملك مروحة من الخيارات التى تمكنها من الانتقام وهى كالتالي: اغتيال شخصيّة أمريكيّة سياسيّة، أو عسكريّة كبيرة أو أكثر، سواءً داخِل الولايات المتحدة أو خارجها. وفى الوقت ذاته يمكنها شن هجمات صاروخيّة على القواعد العسكريّة الأمريكيّة فى العِراق، وعددها 15 قاعدة ويتواجد فيها 5300 جندى إلى جانب أكثر من ألف مُتعاقِد مدنى، بما فى ذلك قاعدة التّنف على الحُدود السوريّة العِراقيّة التى تقطع التّواصل الجُغرافى العِراقى السورى. ومن ناحية أخرى تستطيع طهران استهداف القواعد العسكريّة الأمريكيّة فى مِنطَقة الخليج مِثل قاعدة العيديد الجويّة فى قطر، أو قاعدة الأسطول الأمريكى الخامس البحريّة فى المنامة، أو «الدوحة» البريّة فى الكويت، ورابعة فى أبى ظبى. وإذا لم يكن ذلك ملائماً يمكن لطهران قصف أهداف عسكريّة لإسرائيل، خاصّةً وسط أنباء عن مشاركة إسرائيل فى عمليّة اغتيال اللواء سليمانى.

* ويبقى أن طهران تعودت على التفكير بعقل بارد، واختارت فى غالبية الأحوال أن ترد بعيداً عن أراضيها، وبأيدى الحلفاء الموالين لها. وبالنظر للسوابق الإيرانية فعلى الأرجح أن لا يختلف ردها كثيراً وإن كان الضغط الداخلى وضغط الرأى العام فى المنطقة يطالبها برد صاخب. وأحسب أن الرد الإيرانى لن يأتى مثيراً وكبيراً بمستوى عملية اغتيال الجنرال سليمانى والمهندس ورفاقهما، ولكن سيكون على شكل ضربات صغيرة هنا وهناك على مساحة واسعة من مسارح العمليات، وهذه العمليات أشبه ما تكون «بوخزات الإبر» بحيث تبقى القوات الأمريكية بحالة استنفار وخوف دائمة. وفى الوقت نفسه الضغط على الحكومة العراقية لإنهاء الاتفاقيات الأمنية مع واشنطن، وإنهاء أى وجود أمريكى فى العراق. ومما لا شك فيه أن إجلاء القوات الأمريكية من العراق سيكون الرد الذى سيرضى إيران. وأغلب الظن أن موجة جديدة من العنف والعنف المضاد سوف تهز العراق، وربما سوريا ولبنان، ولا نستبعد تحريك الحوثيين فى اليمن، ولا يمكن استبعاد أن ينزلق التوتر ليمتد إلى الأراضى الفلسطينية المحتلة، ولحظتها بقية المنطقة سوف تتأثر بما يحدث. وفى ضوء كل ما سبق من الصعب تخيل أى تغير درامى فى التواجد الأمريكى بالمنطقة ناهيك عن نهايته، نظراً لأن ما نراه هو مزيد من القوات الأمريكية تتدفق على المنطقة، ومزيد من العنف والمواجهات ما لم تتدخل قوى دولية وإقليمية لنزع فتيل الأزمة، والتوصل لحل تفاوضى ما بين واشنطن وطهران.

فنون وشعوب متميزة بأفريقيا التى لا نعرفها

(من كتاب حكايات افريقى الصادر عن دار طباعة جزيرة الورد، بمعرض الكتاب لعام 2020)

إفريقيا قارتنا الجميلة قصتها عجيبة، ألوانها صريحة، حكاياتها كثيرة، أشـــخاصها متفردون. لكل هذا القصص الإفريقية فى معظمها هى قصص فنية. قصص تمازج حكاية الإنسان مع مثيله الإنسان، أو مع مفردات بيئته من مدينة أو غابة بحيواناتها البشرية أو الحيوانية.

إفريقيا قـــارة واحدة تربطها صحاريها ولا تفرقهـــا. حضاراتها مقترنـــة بفنونها. وفنونها متعددة. ومعروف عالمياً حضارات الشمال منها لما كان لها من فضل على القارة الأوروبية والآسيوية وعلى كل العالم القديم. قارتنا صاحبة حضارات عـــدة (الحضارة الفرعونية والقبطية والإســـلامية والإفريقية من قرطاج الفينيقيـــة فى تونس والبربرية والمرابطين فى المغرب العربى وحضارات شرق إفريقيا من بـــلاد البونت - أرض الأجداد/ أرض الآلهـــة، وحضارة مملكة أكســـيوم إثيوبيـــا والدور المميز للمـــرأة وملكاتها فى المجتمع الكوشى - الســـودانى، وحضارات غرب إفريقيا الغنية مـــن حضارة النوك فى نيجيريا وحضارة غانا ومالى – ملكها الأسد - وسونغاي) وخلفت فنوناً كبرى.

والفن هـــو عمل إبداعـــى يهدف إلى تحقيق صيغة جمالية فى عصره، وإن ارتبط فى عصور لاحقة بعمـــل لا علاقة له بالمنفعة المادية، ويرمى إلى تحقيق السعادة والمتعة. وكان الغالب فى إفريقيـــا عدم وجود حدود ثابتة بـــين المجتمعات الإفريقيـــة، وكانت أســـماء المناطق، وكذلك ما نشـــأ معها من دول، متعددة ومتداخلة فى حالات كثيرة، فإن من المناســـب عند الحديث عن فنون إفريقيا الانطلاق من التقســـيمات السياسية القائمة حالياً لنربط الفن بالمـــكان الذى ظهر فيه الفن المُختار لإعطاء فكرة عما يتميز به الفن الإفريقى البدائى. وقد خلفت بعض القبائل الإفريقية المتفرقة فى أنحاء القارة آثاراً فنية تتبدى فى عدد كبير من المنحوتات والتماثيل والرسوم المصورة على الجدران أو الصخور المســـتوية، ويعود أقدم ما عثر عليه منها – بخلاف مـــا نجده فى الحضـــارة الفرعونية والفينيقية فى تونـــس - فى إفريقية المدارية وما تحتها إلى القرن الثالث للميلاد، حيث عثر فى بعض مكامن القصدير الحالية فى نيجيريا على بعض الأدوات الفنية، وعلى أجزاء متنوعة من التيجان والتماثيـــل والمقاعد الحجرية التى تعود إلى حضـــارة نوك Nok، كما عثر فى الجنوب الغربى مـــن نيجيريا على بعض المقاعد المصنوعة من الكوارتزيت، والتماثيل الحجرية، وبعـــض الأدوات البرونزية التى تعـــود إلى ما بين القرنـــين الثامن والعاشر للميلاد. واكتشـــفت على الضفة اليسرى من نهر النيجر وفى شمالى إفريقية آثار ومخلفات حضاريـــة كثيرة كالتماثيـــل المصنوعة من الطين المشوى التى تشبه التماثيل المكتشفة فى مناطق غربى إفريقيـــا. وعثر فى المنطقة الممتدة بين بحيرة تشاد ونيجيريا والكاميرون على مواقع أثرية فيها قطع من الطين المشوى والبرونز تعـــود إلى المدة الواقعة بين القرنين العاشر والسادس عشر للميلاد.

إن الفـــن الإفريقى البدائـــى هو ثمرة المواهـــب الإنســـانية الإفريقيـــة منذ أقدم العصـــور، وقد كان هدفـــه تلبية متطلبات المجتمع الإفريقى، وتوارثته الأجيال المتعاقبة

السفيرة د.عبير بسيونى

abassiouny@hotmail.com

فأسهمت فى إغنائه فكرياً وتشكيلياً بعفوية وصدق وذكاء الأمـــر الذى منحه خصائص متميـــزة جعلته أحد الفنـــون العالمية، وله تأثـــيره الجمالى الخاص، ويقـــدّره كل من يتمتع بحس حضارى.

أما أهم خصائصه المشـــتركة فهى وفقاً للدارســـين: قدم هذا الفن واستمرار إبداعه عبر العصور - تمســـك الفنـــان الإفريقى بالتقاليـــد الفنية والتزامـــه تلبية متطلبات مجتمعه المختلفة - حســـن إفـــادة الفنان الإفريقى مـــن المواد الأولية المتوافرة فى بيئته كالغضار والخشـــب والمعـــادن والأحجار والعـــاج وغيرها - حســـن تقدير المجتمع الإفريقى للفنان ومواهبه وإبداعه - الاهتمام بالأقنعة مع تنوعها وبالتماثيل وموضوعاتها المنسجمة مع الفكر الإفريقى وشروط البيئة - تفوق الفنـــان الإفريقـــى فى ميادين فن النحت الخشبى والرقص والغناء والزخارف المتميزة بالمفردات الرمزية والإيحاءات الذكية - صدق الفن الإفريقى وعفويته وبســـاطته وأصالته وبراءتـــه ولغته الجمالية وتأثيراته الروحية - عدم تفريق الفن الإفريقى البدائى بين الفنـــون الجميلة والفنـــون التطبيقية، وعدم اهتمامه بالمنظور والنسب التشريحية والتفاصيل - زهد الفنان الإفريقى فى تخليد اسمه الشخصى - نجاح الفنان الإفريقى فى إبداع روائع فنية بأدوات بسيطة من صنعه - إســـهام المرأة الإفريقية فى الإبداع وخاصة فى ميادين الفخار والنســـيج وغيرها - الفن الإفريقى هـــو مرآة المجتمـــع الإفريقى فى مزاياه الخلقية ونظرته الفلسفية ومعاناته اليوميـــة - يبدو الفـــن الإفريقى رحلة فى آفاق الفكر والبحث عـــن الحقيقة الإيقاعية فى هذا الكون الغامض والصاخب - فى الفن الإفريقى تعبير عـــن وحدة الكون والصلات بين الكائنات، وتقدير ذكريات الأجداد ينابيع حكمـــة وقوة معنويـــة - فى الفن الإفريقى تقدير للأرض والشجرة، وتعبير عن مخاوف الإنسان وتطلعاته - يعبر الفن الإفريقى عن الرغبة فى إرضـــاء العالم العلوى بالفن الذى يعدّ من وحى الخالق - يعبر الفن الإفريقى عن فضيلة العمل والاعتزاز الوطنى والرغبة فى الاستمرار الحضارى.

لكل ما سبق فإن الفن الإفريقى البدائى هو بصدق أحـــد الفنون العالميـــة الرائدة، وله خصائصـــه وجمالياته وارتباطه الوثيق بالمجتمـــع الإفريقى، وقد مثـــل محاولات الإنسان فى ســـعيه وراء المعرفة والبحث عن الحقيقة الكونية. وقـــد تسربت روائعه إلى الكثير من قصور الأغنيـــاء ومتاحف العالم فأثرت فى ذوق الفنانين الباحثين عن الجمال، مما أســـهم فى ظهور مـــدارس فنية عالمية متأثـــرة بالفن الإفريقى. يضـــاف إلى ذلك أن الفـــن الإفريقى أســـهم فى تأكيد الهوية الحضارية لشعوب إفريقية.

وتاريخ الفن التشكيلى الإفريقى يوضح ارتباطه بنواحى الحياة الحيوانية والطبيعة. أمـــا علاقة هذا الفن بالإنســـان هى علاقته بالصانع، بالمبدع، برؤيتـــه، وبرغبته فى أن يحمل هذا الفن معه فى انتقالاته بشكل حلى تنوعت طرق تشـــكيلها وزخرفتها، وأدوات للزينة، بالإضافة إلى اللوحات الفنية المتنوعة والتماثيل المصنوعة من مواد متنوعة كالطين والحجر والمعادن النفيســـة والعاج لأغراض مختلفة؛ بعضها خـــاص بالطقوس الدينية والعقائد عند الإنســـان الإفريقى وبعضها اتخذ للزينة والترف.

وتبرز أنواع عديدة من الفن التشـــكيلى المتميزة المرتبطة بـــأدوات وفنون تقليدية إفريقية متوارثة (فلكلور) تميز بعض الدول الإفريقيـــة دون غيرها وخاصـــة تلك التى اســـتمرت كفنون فريدة لا تتكرر حتى الآن. ولعل أهم الأعمـــال الفنية التى تندرج تحت ألوان فنون مميزة وتحتل مكانة مهمة لدى الفنان الإفريقى، هـــى أعمال التينجا تينجا وفن البوجـــولان ورســـومات ايميجونجو وأعمال التراكوتا (التماثيل الطينية المحروقة Terracotta) التـــى تمثل أقـــدم التماثيل الإفريقية الصغيرة الحجم، ويرجع تاريخها فيما بين عامى 500 قبل الميلاد و500 بعد الميلاد، بالإضافـــة إلى العديد من المصنوعات البرونزيـــة والحديدية التـــى توضح جمال وتنوع الفن الإفريقى مثل المشـــغولات التى تنسب إلى ملوك مملكة بنين، وفن الخرز عند قبائل الماســـاى فى شرق إفريقيا، والأعمال الخشبية والأقنعة الإفريقية.

ومن خلال إطلالـــة خاطفة على القارة الإفريقية، سنكتشف أن العطاء الكبير للقارة الســـمراء فى مجال الفن يرجع إلى عصور ما قبل التاريخ؛ وقد تمثل هذا العطاء فى مختلف جوانب الفنون، فنجد فى فن الموسيقى تأثير الموســـيقى الإفريقية فى الإيقـــاع المنتشر فى الأمريكتين، وفى جزر الكاريبى، وفى موسيقى الجاز التى بدورها أثرت فى موسيقى القرن العشرين، وفى تطـــور صناعة والضرب على الطبول.

وغالباً مـــا يعمد الفنانـــون الأفارقة إلى تنحيـــة الواقعية جانباً لكى يســـتمتعوا بخداع الصور التجريدية التى تعكس عوالم أسطورية وغير معروفة من لدنهم، كما أنهم يستخدمون تقاليد وأعرافاً معينة، يتجنبون عبرها مـــا يعتقـــدون أنه غـــير جوهرى،

ويؤكـــدون على ما يعتقـــدون أنه جوهرى، فالإفريقى تعامل بحرية فى تفســـير الجسد البشرى أو الأجســـاد الأخرى حسبما يرغب، وهى حريـــة تنقص أقرانهـــم الأوروبيين. فهناك نظم إفريقيـــة فى المعتقدات أو ربما يكـــون الفن موجهاً إلى المجـــال الروحى فى خدمة الآلهة والأســـلاف. وربما يســـتخدم على المستوى الإنســـانى لكى يؤثر فى القوة السياسية والشـــخصية، حيث يمكن إضفاء المعايير والمثل العليا المجتمعية على أفراد من الجماعة من خلال التعبير الفنى.

البيئـــة أثرت على نوعية وشـــكل الفن الإفريقى، فالأفارقة يعيشـــون فى تجمعات صغيرة متميزة وأثرت فيهم جغرافيا المكان مثل درجة الحـــرارة والغابات الكثيفة التى تمد الفنان بالأخشاب التى ساعدته على إنتاج مشـــغولات خشـــبية رائعة، حيث استخدم الإنسان الإفريقى معظم الخامات الطبيعية البيئية فى أعماله وكان أهمها الأخشاب، والموز بالإضافة إلى خامات أخرى مساعدة لإظهار الزخارف مثل المعادن والعظم والقرون.

أما المشـــغولات الإفريقية فتصنف وفقاً للأغراض الوظيفية مثل الأقنعة الخشـــبية الإفريقية ســـواء كانت محمولة أو ملبوسة فـــوق الرأس أو على الوجـــه، أو مثل أدوات الزينة الخشبية كأمشاط الشعر أو الأدوات التى تســـتخدم فى الأغـــراض المنزلية مثل الملاعق والأوانى والأوعية والأكواب والكئوس، فضلًا عن المشـــغولات الخشبية الأخرى مثل الطبول والصولجان والعصا ومساند الرأس.

إن إفريقيا، تعرضـــت لأكثر من عملية ســـطو، وإلى سياســـة ممنهجة تهدف إلى إفراغها من جاذبيتها وســـبقها الفنّى، وإلى نهب شامل دمّر آثارها وإبداعاتها كما سرق خصوصيتها وأسرارها الفنية، فقد مثل القرن التاسع عشر، وهو زمن الحقبة الاستعمارية، خطراً عظيماً وطوفاناً أباد المخزون الروحى لقارتنا، ذلك أن عمليات المصادرة والاستيلاء على المـــواد الثقافية قد تعاظمـــت، كما أن الأوروبيين قـــد تحصلوا آنـــذاك على قطع إفريقية جعلت منهم يتكالبون ويتسابقون فى ســـبيل نهب المزيد منها، ولعلّ التماثيل التى اشتراها «تشارلز» من «الجاردى فير»

فنون وشعوب متميزة بأفريقيا التى لا نعرفها

فى إبريل 1470 أفضل دليل على ذلك، ولكنها ضاعت بعد أن ضرب زلـــزال عنيف مدينة لشبونة سنة 1700.

هـــذا وقد نهبـــت العديد مـــن الآثار الإفريقية، بطرق قانونية ولا شرعية، فشهدت رحيلاً إلى المتحف البريطانى الذى تم إنشاؤه ســـنة 1753، وإلى المتحف الألمانى فى برلين الذى احتوى سنة 1886 على حوالى 10 آلاف قطعة أثرية. وكان أمين عام متحف الكونغو - البلجيكى، قـــد صرّح بوجود عشرين ألف قطعة أثرية من الكونغو وحدها، فى المتاحف الأوروبية. وليس هذا فحســـب، فقد تمادت الخارجية البريطانيـــة لتبيع حوالى 1000 صحيفة من البرونز المنحوتة، كانت قد أخذت من قـــصر «الأوبا» فى البينين. كما أن الألمانى «فروبنيوس» كان هو الآخر قد تحصّل على عقد يبيح له جمع 9000 قطعة لحســـاب متحف «هامبورج»، وهو ما جعل منه يجرّد «الكوبا» من مصنوعاتها ولوحاتها الفنية فى الكونغو.

إن هذه الممارســـات اللصوصية، التى ذهبت محاولة تجريد الثقافة الإفريقية من عمقها الفنّى، إن كانت تعكس شـــيئاً فهى لا يمكن إلا أن تثبت أن الغازى والمســـتعمر أو العنـــصر الأبيض القادم من وراء البحار، لا يمت للفـــن بأية صلة، لأنـــه لا يرى فيه إلا تجارة وربحـــاً، تماماً مثل ســـلوكياته الاســـتعمارية الملفعة بغير قليل من الجشع والاستحواذ والسيطرة.

واليوم، الفـــن الإفريقى المعاصر أصبح منتشراً عالمياً كتراث إنسانى مثله مثل باقى المشغولات التراثية الأخرى، ويُعرض حالياً فى المعارض المختلفة والمحال المخصصة للتراث فى أوروبا وأمريكا وغيرهـــا، وتتميز الفنون الإفريقية بالثـــراء الفنى الكبير، وأصبح هذا التراث مصدراً لكسب الرزق لدى الكثيرين، حيث تبـــاع بعض الأقنعة التـــى تعلق على الحوائط كتذكارات ســـياحية فى العديد من البلدان. كما أن الفنان الإفريقى يتميز بشكل عـــام بحريته فى الابتكار الفنـــى التجميلى، وثقته من قدراتـــه ومهاراته؛ ومن ثم ينجز أعماله ببســـاطة الســـهل الممتنـــع، وتنبع قيمـــة الفن الإفريقى وخاصـــة فيما يتعلق بالمنحوتات؛ من أنه يعالج مادة متمردة؛ أى أقسى من الخشب العادى (الجرانيت والعاج والمعدن والديوريت والأبنوس) باســـتخدام أدوات بسيطة جداً.

فالفن الإفريقى فـــن متميز بذاته وله طابعه الخاص والمنحوتات الإفريقية عبارة عـــن إعادة تشـــكيل وبناء ورســـم لأعمال فنية قام بهـــا مجموعة من مختلف المناطق والقبائل الإفريقية، إضافـــة إلى المنحوتات التى عملت بالخزف والتى أخذت فى صنعها عدة مراحل، فقد تم التركيز على هذا الجانب لإبراز الأسلوب البســـيط الذى كان يتعامل به الفنانـــون الأفارقة مع هـــذه المنحوتات البســـيطة لأنهم يحاولون دائماً صنع هذه الأشياء ببساطة وتجرد كاملين، ومصدرهم فى ذلك الطبيعة الأم .

الفن الإفريقى هـــو فن رمزى ويعطى معنى عميقاً وكبيراً . كما أن الفنان الإفريقى لا يولى اهتماماً بقضية الضوء والظل والنسب، لأن فنه لا يحاور الشكل بقدر ما هو يحاول أن يبدع ويبنى شـــيئاً له علاقـــة بالرمزية والتعبير البسيط عند الإنسان الفطرى .فهو فن يتميز بالبســـاطة وبتجريداته، ولا ننسى أن الفن الإفريقى كان له تأثير كبير على فنون العصر الحديث والمعاصر، فكثير من الفنانين مثل بيكاسو، وجوجان، وبراك، وفان جوخ، كل هذه الأســـماء الكبيرة أخذت من الفنون الإفريقية الأصول فى أعمالهم الفنية، وخاصة المدرســـة السريالية والتكعيبية .فمنذ آلاف الســـنين قبل الميلاد كانت البدايات مع فنون الكهوف فى تاســـيلى وأكاكـــوس والمناطق الجبليـــة، لأن تلك المناطـــق كانت تقطنها التجمعات البشريـــة، وتلك الجماعات كانت معروفة بوجودها وحرفهـــا التى خلفوا لنا منها الكثـــير من الآثار .كما تعددت المدارس والتيارات الفنية فى إفريقيا ومن أبرزها التيار الواقعـــى والتيار التعبيرى، وتعد مدرســـة «إيفي» المدرســـة الواقعية الأكثر نموذجية فى إفريقيا، واشتهرت بمنحوتات من الطين والبرونز، ومن الأســـاليب الفنيـــة أيضاً فى إفريقيا ما يعرف بأسلوب «الدوجون»؛ وأبرز نتاج هذه الحضارة تقاليد فنية راسخة تتجلى فى فن النحت على المعادن، والبرونز، والفخار المحروق، والخشب الأبنوس والماهوجنى، وما يعرف بفن الأقنعة Mask Art، كما يعد فن النحت التقليدى من الفنون ذات الشـــهرة العالمية.

وفى الوقـــت الحـــاضر لم يعـــد الفن الإفريقى يعنى المنحوتات الخشبية والأقنعة واللوحات ذات الطابع العرقى فقط، بل صار هناك جيل جديد مـــن الفنانين المعاصرين من القارة الســـمراء، الذين أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من المشـــهد الفنى العالمى، وفى كثير من أنحاء إفريقيا، تســـتقطب مشاهد فنية نابضة المزيـــد من المعجبين، خاصة فى مصر وداكار بالسنغال، ولاجوس بنيجيريا وكمبالا بأوغندا، حيث السائحين القادمين إلى إفريقيا أصبحوا يزورون حالياً المعارض والمتاحف، ولا يكتفون بمشاهدة الحياة البرية فقط، كما تقتنى العديد مـــن المتاحف الأوروبية أعمالاً لفنانين من القارة السمراء.

والفن التشـــكيلى المعاصر فى إفريقيا، قد بـــدأ يجد مكانه بين الفنون التشـــكيلية المعاصرة والمميزة، وهـــو فن أصيل ويلفت أنظار المهتمين من المدارس الفنية المختلفة. وذلـــك بتعدد وثراء مصـــادره ومرجعياته القديمـــة والأصيلـــة والمتعـــددة، وله عدة خصائص تميزه عن المدارس الفنية الغربية والأمريكية قديمها وحديثها. فالفن الإفريقى، يمتاز بصفاته المتعددة. وهو نتاج وخلاصة لثقافات مختلفة ومتعددة وضاربة فى القدم، فهو فن يميـــل إلى الروحانية، وصوره دائماً ما تكون مرتبطة بأبطال الأساطير الإفريقية القديمة والكلاسيكية.

وأكثر الآثار والمخلفات القديمة المعروفة حتى اليوم فى إفريقيـــا هى التماثيل والآثار المحفورة على الخشب، أو المنحوتة فى الحجر، أو الفخاريـــات المعروفـــة فى غربى القارة خاصة. وأما صناعـــة الخزف والفخار فقد اختصت بها النساء، وظهرت بعض التماثيل الفخارية المطلية بطبقة رقيقة من الشـــمع، وكانت معـــدودة فى الصناعات الراقية التى يتوارثها الأبناء عن الآباء.

أما بالنســـبة لفن العمـــارة الإفريقية، فبعيداً عن التطور البنائى الكبير الذى شهده الفراعنة فى بناء الأهرامات والمسلات والمعابد والقصور، لم تُكْشف الأبنية الحجرية القديمة فى إفريقيـــا المدارية إلا فى جنوبـــى القارة (زيمبابوي). أما بقيـــة أنحاء القارة فكانت منازلها تبنى من الأخشـــاب وبعض المواد الفخارية أو الطينية أو الجلدية. ويعدّ الفخار مادة أساسية فى بناء بيوت المناطق المدارية، والخيزران فى المناطق الاســـتوائية. وتمتاز هذه المنازل ببساطتها، مع شىء من التنوع فى أشـــكالها الخارجيـــة ومظاهرها، فضلاً عن وجود كثير من القـــرى والمدن المحاطة بأسوار للحراســـة والدفاع ولمنع الغرباء من الدخـــول إليها، وقد انتشر هـــذا الطراز فى مناطق الجابون خاصة. أما القصور الملكية فقد امتازت باتساعها وزخرفتها ورسومها الجداريـــة الملونة، وأهمها قصـــور زعماء الباميكلة فى الكاميرون.

وللموســـيقى الإفريقيـــة خصائـــص متميزة، وأدوات خاصة، وتقاليد عريقة. وقد درج الباحثون على إطلاق اســـم الموسيقى الإفريقية على الموسيقى التى يؤلفها الأفارقة الأصليون جنوب الصحراء الكبرى ويؤدونها، ويستثنى من هذا التعريف الموسيقى المتأثرة بأصول أجنبية واضحة، وكذلك المقتبسة عن موســـيقى الأمريكتين وأوروبا، والموسيقى الشرقية الســـائدة فى بعض مناطق إفريقيا. وهى تنتقل ســـماعاً بلا انقطـــاع، وتتطور باستمرار كلما أضاف العازفون إليها عناصر جديدة أو أســـقطوا منها عناصر سابقة من دون أن يخرجـــوا بها عن الأطر المحددة لها والمقبولـــة محلياً، والـــتراث الإفريقى غنى بالعناصر الموسيقية فلا يوجد مجتمع واحد فى إفريقيا كلها ليس له موسيقى خاصة به، وهى موســـيقى متعددة الإيقاع والأصوات والأنغام.

هكذا يظـــل الفنّ الإفريقـــى من أهم أنماط التعبير الإنســـانى وأعرقها، ويتميز بتاريخه الطويل ومعانيه السرية الغامضة حيث يمتـــزج الروحانى بالمادى، وقد تمكن على مدار القرن العشرين من التوغل عميقاً فى الحداثـــة العالمية، مما يدل على مدى وعى فنان القارة السمراء بقيمة تراثه وحضارته التى تمنحه إشباعاً ذاتياً، يُمَكِّنُه من الانفتاح على الآخر.

قراءات ليلية

الحضارة الفينيقية

الفينيقيون هم فرع من الكنعانيين، سكنوا سواحل البحر الأبيض المتوسط منذ أكثر من 4000 سنة قبل الميلاد. وفى فترات محددة، سيطروا على جزر البحر المتوسط حتى امتدت مستعمراتهم من قرطاج فى شمال إفريقيا إلى كورسيكا وجنوب أسبانيا، وقد كانت التجارة الطابع الرئيسى لتجارتهم.

لم يمل الفينيقيون إلى إقامة دولة قوية على غرار البابليين والآشوريين والمصريين، إنما كانوا مقسمين إلى عدة دويلات - مدن، وكان التنافس سائداً بينها، وتعود أسباب عدم وجود الوحدة السياسية بينها إلى ما يلى:

-عدم وجود الإرادة السياسية لدى أى منها.

-التنافس التجارى فيما بين هذه الدويلات بعضها البعض.

- صعوبة المواصلات فيما بينها (جبال - غابات - أودية - مسالك وعرة).

وبالرغم من عدم توصل المدن الفينيقية إلى الوحدة السياسية، فقد كان التحالف أحياناً يتم بين إحداها وبين البعض الآخر تحت زعامة إحدى المدن الكبرى بدافع الخوف من أخطار خارجية كانت تهددها.

كان نظام الحكم عند الفينيقيين ديمقراطياً، فكان لكل مدينة حكومة خاصة بها يترأسها حاكم أو ملك يحكمها بالوراثة، سلطته مقيدة، يساعده فى إدارة الحكم مجلسان هما: مجلس تمثيلى «هيئة من المشرعين»، ومجلس الأشراف «الأغنياء»، وبالإضافة إلى ذلك يوجد الكهنة الذين كان لهم دور كبير فى إدارة دفة الحكم.

سفير أشرف عقل

وقد شكلت مدن مثل صور وجبيل وأرواد اتحاداً اقتصادياً مركزه طرابلس التى كانت تعقد فيها المؤتمرات العامة للتداول فى الشئون الاقتصادية والمشاكل المشتركة، والعمل على ضبط الاستقرار الداخلى حتى تؤمن مصالح كل منها.

قامت الديانة الفينيقية على عبادة قوى الطبيعة مثل الشمس والقمر والأرض والسماء والبحر والمطر والرعد والبرق والعواصف، وجعل الفينيقيون لكل من الحرب والزراعة والملاحة والصيد إلهاً، فضلاً عن أنهم جعلوا ملوكهم وأبطالهم آلهة، كما اعتقدوا بالتثليث الإلهى «أب وأم وابن».

وتعد الأبجدية الفينيقية أهم المنجزات الحضارية، وأعظم ما قدمه الفينيقيون من خدمات إلى العالم، وقد وضعوا لها القواعد إلى أن أخرجوها كتابة أبجدية، مؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً فاستعملوها ونشروها فى العالم.

كان للأبجدية والاكتشافات الفينيقية، والرحلات الجغرافية، والصناعات والمستعمرات التى أنشأها الفينيقيون فى أنحاء البحر الأبيض المتوسط الأثر المهم فى تاريخ الشعوب القديمة عامة، فقد اشتهر الفينيقيون خاصة فى العلوم، لاسيما علم الفلك والحساب الضروريين فى الملاحة والتجارة.

وكان القرطاجيون أول من أصدر أوراق النقد على جلود الحيوانات، واستنبطوا خطوط الطول ودوائر العرض ووضعوها على خرائطهم لتحديد مواقع مستعمراتهم ومحطاتهم التجارية، واكتشفوا النجم القطبى الشمالى لتحديد الجهات.

كما ساهم الفينيقيون فى تطور علم الجغرافيا نتيجة رحلاتهم الاستكشافية حول قارة إفريقيا وعبورهم مضيق جبل طارق، وكذلك البحار والمحيطات التى أكسبتهم معرفة بأحوال القارة من حيث المناخ والنبات والسكان وأنماط معيشة هؤلاء وعاداتهم وتقاليدهم. ويرى العديد من المؤرخين أن الفينيقيين وصلوا بسفنهم إلى السواحل البريطانية، وربما إلى القارة الأمريكية ذاتها قبل أن يكتشفها كريستوفر كولومبوس.

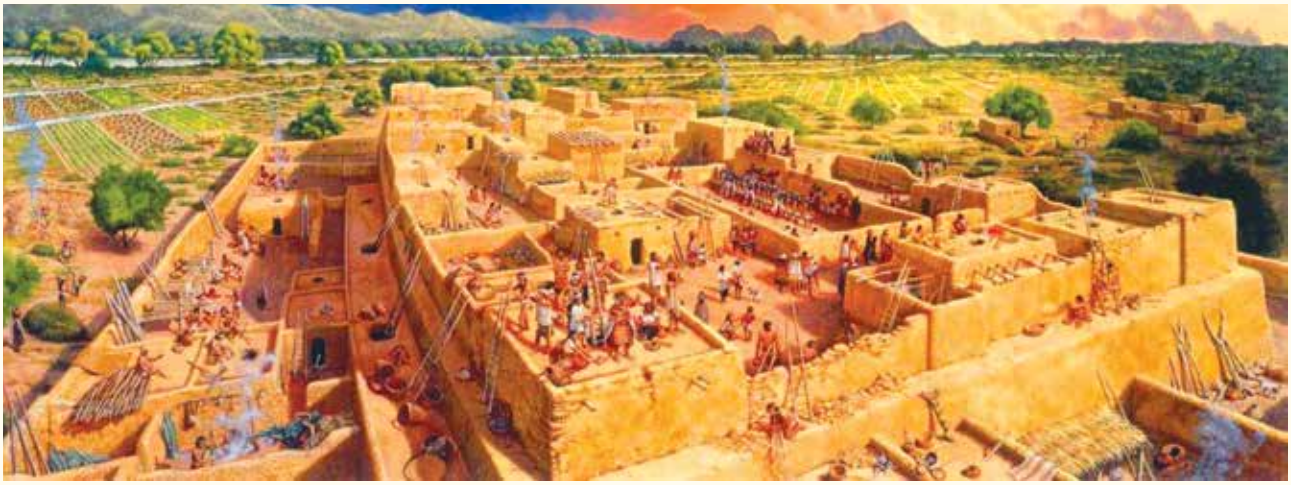

تقدمها ناديه الريس

رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين

لقاء متجدد من لقاءات الرابطة المتميزة.. كان لقاء الإسلام دين السلام, الإسلام أصل ومبدأ سلام مع النفس والغير والسلام فى كل مناحى الحياة. كان لقاء شهر ديسمبر مع فضيلة الأستاذ الدكتور/ على جمعة مفتى الديار المصرية السابق فى محاضرة بعنوان: (الإنسان الربانى والإنسان الكامل) والفرق بينهما: الربانى متعال على صغائر الدنيا ويرتقى بنفسه, ويسلم أمره لله. أما النوع الثانى, فيحاول أخذ حقه بيده لا يصبر ولا يرضى فيشقى ويتوه.

كما ناقش فضيلته كيف ترقى نفس البشر وتترفع عن كل ما هو مسئ وصفات النفس ودرجاتها السبع:

1 - النفس الراضية 2 - النفس الأمارة بالسوء 3 - النفس المرضية 4 - النفس اللوامة 5 - النفس الملهمة 6 -النفس المطمئنة 7 - النفس الكاملة

الفرق بين النفس والروح وأن الإنسان مكون من مثلث الروح والنفس والجسد.

كما أجاب فضيلته عن الكثير من الأسئلة والاستفسارات والفتاوى, من عضواتنا الحاضرات للقاء.

لا يفوتنى أبداً تقديم الشكر الجزيل لسعادة السفير/ أسامة بك العشيرى على تعاونه الكامل معنا - ولكل العاملين بالنادى الدبلوماسى النهرى.

- لقاء آخر كان مثالاً للتعاون بين المجلس القومى للمرأة ورابطة زوجات الدبلوماسيين فى دعوة كريمة للمجلس بمناسبة (اليوم العالمى لمناهضة العنف ضد المرأة) وبحضور حرم معالى وزير الخارجية/ سوزى هانم شكرى ولفيف من زوجات السفراء الأجانب وعضوات الرابطة.

استهلت سعادة السفيرة/ منى عمر رئيسة لجنة العلاقات الخارجية الاحتفال بكلمة ثم تلتها الدكتورة مايا مرسى رئيسة المجلس، ثم مديرة إدارة التعاون الدولى بالمجلس التى شرحت باستفاضة دور الإدارة فى حماية المرأة المعنفة, ثم مديرة مركز تنمية المهارات, وتلا ذلك حفل موسيقى من د. رانيا يحيى عضو المجلس وفرقتها.

ثم كان الختـــام بكلمة حرم وزير الخارجيـــة ســـوزى هانم شـــكرى التـــى شـــكرت فيهـــا المجلس على مجهوداته وبعدها قامـــت بافتتاح معرض للمنتجات المصرية للسيدات والجمعيـــات النســـائية (التى تقوم ســـيادتها بالإشراف عـــلى إحداها) لتمكين المـــرأة الفقيرة وتحقيق دخل مستمر للعائلات الأشد فقراً.

شـــاركت ســـيدات الرابطة أيضاً بمنتجاتهن من الهوايات اللائى يقمن بصنعها أو رسمها بأنفسهن.

ألف شكر ســـعادة السفيرة منى عمر والمجلس القومى للمرأة برئاسة د. مايا مرسى على الدعوة الكريمة.

أجمل التهانى

بالعام الجديد لجميع عضواتنا

مارتن لوثر

كان مثيرا للجدل، لكنه كان مستعدًا للتضحية من أجل قضيته حتي النهاية. كان غير راض عن نفسه، لكنـــه غير التاريخ، وأرضي مئات الملايين عبر قرون. كان يريـــد ان تتوافق معتقداته مع عقله،ففجر ثورة دينية اصلاحية أشـــعلت حروبا في اوروبا لأكثر من قـــرن، أراد ان يصلح دينه، فأعاد اوروبا الي طريق الحضارة و التقدم بعد الف عام من انهيار الإمبراطورية الرومانية.

ولد مارتن لوثر لأب موثر فى القرن الســـادس عشر، اراده محاميا فدرس القانون، لكن حادثا قدريًا غير حياته، فحينما نجا من صاعقة فى جو عاصف ورعـــد،كان عليه ان يـــوفى بنذره ان يكون قسيســـا ،فالتحق بدير ودرس اللغات القديمة، و احب الرب والتأمل والفلســـفة، لكن حيـــاة الدير أورثته الشعور بالافتقار للرضا عن النفس ، إذ إعتاد حين درس المحاماة أن يعيش حياة الطلبة بما فيها من اختلاط وشراب وموسيقى. كانت الكنيسة الكاثوليكية (بمعنى العالمية) قد اســـتطاعت لألف عام منذ انهيار الإمبراطورية الرومانية ان تبقـــى على وحدة شـــعبها، تمنح البركات والصبر على حياة عســـيرة فى انتظار جنة السماوات، تبشر و تعاقب، وتجمـــع التبرعات،وتصفح بصكوك الغفران، وتقصر العلم على رجال الدين فى مكتباتها، يتلون إنجيلا بلغة لاتينية، لا يفهمها الشـــعب، كنيســـة تنافس بنفوذها نبلاء يحكمـــون ويحمون و يمتلكون الأراضى، بينما تغرق الغالبية العظمى من الناس فى الجهل والبؤس وحياة اشبه بالعبودية المؤسسية لنظام إقطاعى يســـتخدم أجراء يلتصقون بالأرض ، يهلـــك أطفالهم احيانا قبل البلوغ، ويهاجمهم وباء الطاعون الذى قتل ثلث ســـكان اوروبا،كنيسة حتى فى روما تزداد غنى من أموال الفقراء، وينتشر فيها الفساد. نظام أبدل سادة الإمبراطوريـــة الرومانية فى بلده ألمانيا برجال الدين، وتصميم قاعات المحاكم و الحكـــم بالكنائس الضخمة المزدانة بالتماثيل والنقوش المذهبة و الزجاج الملون المعشق.

سفير د. هادى التونسي

arabemaluco@hotmail.com

لكـــن مارتـــن لوثـــر واكب عهد الاكتشـــافات الجغرافيـــة واضطهاد الكنيسة لعلماء، ناقضوا ما تدعيه من ان الأرض مركـــز الكون، عهد شـــهد البحث فى جذور الحضارتين الإغريقية و الرومانية ونهضة فكرية، وســـاهم بروحه وفكـــره فى إذكاء التناقض فى نفس مارتن لوثر بين حياة قســـيس كاثوليكى يلتزم بحيـــاة صارمة، وما اعتاده من حياة منفتحة وفكر منطقى.

قطع مارتن لوثر على القدمين رحلة من مسقط رأسه قرب برلين عبر جبال الآلب إلى روما ، بحثـــا عن حل يريح نفســـه وعقله ،و يزيح عنه شعورًا انه يغضب الرب، فلـــم يجد الا المزيد مما عرفه عن الكنائـــس، بما رآه من ثروة وفساد فى روما المحج المعنية بصكوك غفران وتكبير كنائس من أموال الفقراء و قتـــل المعارضين بدعوى التمســـك بوحدة شـــعبها. فواجه بشجاعة جمع التبرعات لتكبير الكنائس .

إعتقـــد أن الأعمـــال الصالحـــة والتبرعات ليست هى مدخل الجنة، بل الخلاص بالإيمان هو المفتاح، شعر بأن العلاقة المبـــاشرة مع الله هى المدخل ، وبدأ مذهبه ينتشر فى بلده، التى أرادها مركز فكر وثقافـــة من خلال كتاباته الأدبية الماهرة ورســـوماته الساخرة وعلاقاته العامة، وحيث ســـاعده على ذلك ظهـــور الطباعة.رأى أنه لا يمكن شراء رضا الرب بالتبرعات، ولا يمكن التقرب إلى الســـيد المسيح بتأمل بقايا عظام البابوات، بل بأن يحب الانسان اخـــاه متبعًـــا كلمات اللـــه، فاتهمه البابـــا بالهرطقة، وهـــدد بطرده من الكنيسة ان لم يتب، وأمر بحرق كتبه، فزادت شـــعبيته، وأصبح عدوا للبابا والإمبراطور، لكن الأخير عامله بحذر، رغبة فى اســـتمالة المقاطعات الألمانية ضد غـــزو العثمانيـــين لإوروبا حتى ڤيينا، فعقد له مناظـــرة علنية، لكن مارتن لوثر تمســـك بمنطقه، فإعتبره البابا مهرطقا، وهرب مختبئا فى قصر بألمانيا ، ورغم شـــعوره بالكآبة عكف على الدراسة و ترجمة الإنجيل إلى لغة ألمانية يفهمها العامة.

انتشرت كتابات و ترجمات مارتن لوثر، وذاع صيته بين الناس ، واصبح بطلا، وهجـــر قساوســـة الكنائس، وتزوجوا ، وتحولـــت حركته إلى ثورة اجتماعية وسياسية ضد الإقطاع ايضا، وبنتائج ابعد مما توقع، وإنتشر مذهبه خارج ألمانيا، فعاد إلى مســـقط رأسه، ليوجه ويؤسس الكنيسة اللوثرية التى أدت عبر الزمـــن إلى نشر حرية الفكر والديمقراطية، حيـــث امتد التأثير إلى سويسرا لتوحيدها من خلال تفرعاتها بآراء ومذاهـــب كالڤين والكنيســـة المشيخية ثم فرنسا وهولندا و الدنمارك والسويد وإنجلترا و إسكتلندا لأسباب فكرية وسياســـية وشـــخصية ،بل امتد تأثير حركـــة الإصلاح إلى مذاهب

كاثوليكية، مثل توجه لاصلاح النفس بدعوة ظهرت فى روتردام ،ومثل تكوين مذهب الچيزويت اليسوعيين فى اسبانيا محاربة لفساد الكنيسة و الهرطقة معا. وهاجم الثوار البروتستانت الكنائس الكاثوليكية لتغيير بنائها إلى البساطة وبارغن موسيقى بدلًا من التماثيل والزخارف المذهبة ولزجاج المعشق ولتحويلها للبروتستانتية، فتغير فن الباروك ومشاهد الدراما الإلهية، ومارس الكاثوليك محاكم التفتيش ضد البروتستانت واليهود، فكل طرف يرى انه يملك الحقيقة، كما كان لوثر يكره عدم تحول اليهود إلى المسيحية.

أصبحت اوروبا لقرن مسرحا لحروب، وخرج أمراء الولايات عن كنيسة روما من اجل المال والسلطة والأرض ،وتخلصا من نفوذ ومنافسة الكنيسة المحلية وبوقف التبرعات ومصادرة ارض الكنيسة، كانت الأرض الألمانية مسرح الحروب المذهبية فقتلت ثلث الشعب، واشتعلت حرب الثلاثين عاما منذ عام 1618 إلى 1648، حيث ساند الامبراطور البابا.و ساد الدمار اوروبا، حتى اصبح لدى الحكام صلاحية اختيار المذهب لشعوبهم ،واصبح الشمال بروتستانتيا والجنوب كاثوليكيا

ظل الكاثوليك يهتمون بالطقوس، ويعتبرون القديسين و القساوسة وسطاء لدى الرب،ويمارسون الاعتراف فى الكنائس والروحانيات، و يتبعون البابا فى روما ، أما البروتستانت فيستغنون عن بعض الطقوس ، ويتواصلون مع الرب مباشرة بلا كهنوت، بالصلوات ودراسة الإنجيل كمصدر وحيد للسلطة الدينية ضمن اختلافات اخرى.واصبح مارتن لوثر استاذا للدين، وتزوج راهبة وانجب منها، وجمع المفكرين حوله فى حياة عادية متمتعا بملذات الحياة من جنس وشراب وموسيقى بشكل مشروع ، واعتبر ان الناس سواسية بالإيمان دون

وساطة، ولحن الموسيقى وطبق التعليم المختلط وكورال الغناء الكنسى حتى وفاته عام 1652.

تزايد الإصلاح خلال قرون، وتراجعت سلطة الكنيسة لصالح العلمانية ومحو الأمية والرأسمالية والفن الإنسانى و روح الديمقراطية، و تعلمت اوروبا التسامح بعد الحروب المذهبية، و انه يجمعهم دين و حرية دينية و تقدم. و نمت الحرية السياسية بتأثير الثورة الفرنسية، و الحرية الفردية من خلال الحريات المدنية.

ناضل مارتن من أجل معتقداته و لفهم افضل للرب و التسامح و التعددية، إنتصر لسيادة العقل و المساواة و لإعادة الدين إلى جذوره و بساطته بالتخلص من كهنوتية رآها فاسدة محتكرة ، تثرى على حساب الفقراء، و تسرق دنياهم البائسة بأحلام الجنة الموعودة. حرر العقول، و زاوج بين الدنيا و الدين، كانت ثورته التنويرية عسيرة المخاض بملايين القتلى فى أكثر من قرن، لكنها كانت من أسس نهضة أوروبا التى نراها الآن، فهل نجد لدينا من يجددون علينا ديننا لنستعيد حضارة كانت مزدهرة، هل يستطيعون تنقية التراث من ممارسات تخالف الدين، هل يقدرون على تعزيز التوافق بين العقل والتدين، وبين الضمير والأحكام ، وبين العلم والدين، وبين الشكل والجوهر، وبين أسلوب الحياة والتمدين، وبين الكلمة والفعل، وبين الأصالة و المعاصرة، وبين حب الدنيا والأخرة ، وبين الفتوى والمبادئ الإنسانية، وبين التدين و التسامح؟ هل يستطيعون ذلك سلمًا، تنويرا وعملًا، نضالا وتفانيًا ؟

النفط فى منابع النيل بين التنمية وسيطرة الشركات متعددة الجنسيات (2/2)

آثار ونتائج نشـــاط شركتى هيرتيج وتولو للنفط فى حوض بحيرة ألبرت لقد أدى تواجد الشركات فى حوض بحيرة ألبرت إلى تغييرات فى نمط المعيشة لسكان المنطقة من الرعاة والصيادين.

الصيد فى بحيرة ألبرت

وفقـــاً لتقرير عـــام 2012م لموارد الصيـــد فى أوغندا، فإن هنـــاك برنامجاً لحماية البيئة فى البحيرة من الآثار المترتبة على أعمال التنقيب التى تجرى فيها، وقد ذكر التقرير وجود تحديات أمام مصايد الأسماك فى المنطقة بعد التنقيب عن النفط تمثلـــت فى تلوث مياه البحـــيرة، وبالتالى الحد من التنـــوع البيولوجـــى فى أنواع الأسماك، وانخفاض فى إنتاجها، وفقدان ســـبل العيش من قبل المجتمعات المحلية التى تعتمد على الصيـــد، وفقدان الفوائد الاقتصادية الوطنية التى تأتى من الموارد السمكية لبحيرة ألبرت.

أما على صعيد الجانب الكونغولى فإن الوضع أســـوأ، ويمكن أن يرجع ذلك إلى ضعف السيطرة على حوض بحيرة ألبرت بالكامل لانتشار حركات التمرد، ونتيجة ذلـــك هو المزيد من الضغط على ســـكان المنطقة المتأثرين بالفعل بأنشطة شركات التعدين الأخرى عـــلى الجانب الكونغولى وعلى رأسها شركات الكولتان.

وعلى الرغم من ذلـــك ذكرت بعض التقارير الإعلامية أنه قد تم تطوير طرق الصيد إلى الأســـواق فى المـــدن المجاورة لـ(هيما وبوســـيلى) نظراً لتمهيد الطرق من أجل ســـيارات النفط، كما أكد بعض الصيادين على أنهم حصلوا على شاحنات مجهزة بالتبريد، وتقـــوم وزارة الزراعة والثروة الحيوانية والثروة السمكية حالياً ببناء مصنـــع لتجهيز الأســـماك المبردة فى المنطقة، وســـوف يتـــم الانتهاء منه مع الانتهاء من الطـــرق المهدة للقرية، وبالفعل بـــدأ الصيادون مـــن الجانب الكونغولى الهجرة إلى أوغندا.

الأثر الأمنى

صاحب التنقيب عن النفط فى حوض البحـــيرة تنافس فى محاولة للســـيطرة عـــلى الأراضي؛ ففى الجانـــب الأوغندى طالبت مملكة بونيورو بأحقيتها فى تملك أراضيها، وارتبطـــت بذلك المضاربة على الأراضى فى محاولـــة لأخـــذ تعويض من

سحر عبد الرؤوف محمود
باحثة فى الشئون الأفريقية

الـــشركات فى حالة الأفراد، أو مشـــاركة الأرباح فى حالـــة الممالك، وظهرت حالات منها ستيفن موقتل Stephen Mukitale عضو إدارة الموارد الطبيعية فى البرلمان عن مقاطعة بوليسا Buliisa، والذى بدأ يشن حرباً على المضاربة على الأراضى فى مملكة بونيورو، حيث صرح بأن حوالى 30 أسرة من كمبالا قاموا باستخدام وكلاء محليين لشراء ما يســـتطيعون الوصول إليه من الأراضى على طول بحيرة ألبرت، كما صرح النائب بـــأن تحقيقاته دفعـــت أن تعلن أوغندا حظراً عـــلى التعامل فى الأراضى فى مملكة بونيورو، فى محاولة لتهدئة الوضع خصوصًا أن المضاربات منعت الســـكان المحليين من حقهم فى حيازة الأراضى.

أمـــا عـــلى الجانـــب الكونغـــولى الديمقراطى، فقد تدافعت حركات التمرد فى محاولة للســـيطرة على الأراضى، كما حاولت الحكومة المركزية فى كينشاســـا فرض ســـيطرتها على أماكـــن التنقيب لضمان تدفق الاســـتثمارات، وتســـبب عدم الاســـتقرار فى الجانـــب الكونغولى الديمقراطى آنـــذاك فى التدخل الأمريكى المباشر للســـيطرة على حركات التمرد فى حملة للقبض على كونى، وتقويض أعمال العنف لحركة M23، هـــذا التدخل ليس الأول من نوعـــه فى المنطقة، ولكن لم يكن هناك تدخل مباشر تحت رعاية أمريكا من قبل.

الآثار الاقتصادية

لشركة النفـــط الوطنيـــة الحق فى الحصـــول على حصـــة 15 ٪ فى تطوير أى حقل على أراضيهـــا، مما يدل على أن الحكومة الأوغنديـــة حريصة على تحقيق أقصى قدر من المنافـــع التجارية لأوغندا، وذلك من خـــلال وجود شركة خاصة بها تعمل فى مجال الاستكشاف والإنتاج بدلاً من مجرد تلقـــى الضرائب من الشركات، ولكن منظمـــات المجتمع المدنى الأوغندى تخشى من عدم الشفافية فى شركة النفط الوطنية، كما تكمـــن مصلحة الشركات متعددة الجنسيات التجارية فى الحصول على النفط من باطن الأرض إلى الســـوق سريعاً؛ خصوصاً مع وجود مصفاة تكرير فى كينيا، بينمـــا ترغب أوغندا فى أكبر قدر ممكن من النفط المكرر فى البلاد.

وعلى المدى البعيد فإن معدلات النمو السكانى ستجعل ســـكان أوغندا بحلول عام 2050م ما يقـــارب الـ(80 مليون نسمة)، ووفقاً للأرقام المتوقعة من النفط، وزيادة الطلب العالمى، والمنافسة الآسيوية وبخاصة الصينية، فإن تجريد الســـكان المحليـــين الذين يعتمدون عـــلى الزراعة مقابل تحويـــل أوغنـــدا إلى دولة يعتمد اقتصادها على النفط لـــن يُبقى للأجيال القادمة أراضى لزراعتها، كما أن الحاجة إلى فنيين وعمال لحام سيكون فى المراحل الأولى فقط لإنشاء البنية التحتية اللازمة، ولن يبقـــى هناك نفط، مما يخلق أزمة فى المستقبل خصوصاً مع ســـيطرة النخب على الأراضى، وحرمان الســـكان المحليين منها، كما أن التعويضات غير كافية لعدم وجود نوع آخر من النشـــاط الاقتصادى بخلاف زراعة الكفاف التى تعتمد عليها الأسر. وعلى الرغم مـــن المزايا التى تتمثل فى دعم الشلن الأوغندى فى السوق العالمية مما يجعل المنتجـــات الزراعية قادرة على منافســـة الأســـعار العالمية فيما يعرف بـ«المرض الهولندى Dutch disease»، إلا أن أوغنـــدا غير قادرة على اســـتيعاب المزارعين الذين ســـوف يفقدون مهنتهم لصالح مهن أخرى.

كما أن ســـكان المنطقة تأثروا حتى

بحيرة ألبرت

الآن بتجريف الأراضى الزراعية لمد الطرق، وتهجيرهم من الأراضى التى تم تخصيصها لإنشاء مصفاة النفط، وعلى الرغم من تخصيص تعويضات لهم إلا أن مبالغ التعويض غير كافية وفقاً للسكان المحليين، بينما جاءت تصريحات غرفة المناجم -وفقا لتقارير وسائل الإعلام- بأن الحكومة الأوغندية استأجرت شركة تايلور ديجونغ الأمريكية للمساعدة فى العثور على مستثمرين على استعداد لتمويل مصفاة النفط إلا أنه من السابق لأوانه تحديد موعد البناء، والذى سوف يصاحبه إخلاء للسكان، كما أن هناك تضارباً فى تصريحات الحكومة حول المثمنين لقيمة الأراضى، والنظام الذى سوف يتبعونه خصوصاً مع اختلاف قيمة الأرض وفقاً لأنواع الزراعة سواء كانت محاصيل الكفاف مثل الكسافا، أو محاصيل نقدية مثل القطن، كما صرح المسئولون بأن تأخر التعويضات سببه عدم معرفة السكان بالإجراءات، بينما يرى السكان أن إثبات الملكية والإجراءات وُضعت لعرقلة التعويضات.

ويجب أن نأخذ فى الاعتبار أن إعادة التوطين مع نظام حيازة الأراضى المتبع فى أوغندا سوف يترك المزارعين بدون أراض، وهو الأمر الذى قد ينشأ عنه صراع فى المناطق التى سوف يتم نقلهم إليها.

الأثر البيئى

وفقاً لتصريحات عضو البرلمان الأوغندى ستيفن موقتل فإن القوانين الحالية فى أوغندا لا تسمح بحماية التنوع البيئى فى حوض بحيرة ألبرت، وأنه يجب الإسراع بوضع إطار قانونى لحماية البيئة خصوصاً أن العقود لا تغطى بند النفايات النفطية، وعدم الاعتماد على تعهد الشركات فقط.

ونظراً لطبيعة النفط الشمعية فى أوغندا فإنه يحتاج إلى خطوط أنابيب خاصة تقوم بتسخين النفط أثناء عبوره فى خط الأنابيب سواء إلى ميناء مومباسا الكينى، أو إلى مصفاة النفط الأمر الذى يحمل خطورة بيئية عالية خصوصًا مع تعامل السكان المحليين والأطفال مع هذه الخطوط، وعدم وجود توعية كافية للمواطنين بكيفية التعايش معها، أو حتى وضع بديل للسكان فى المناطق التى من الممكن أن تكون مركز خط الأنابيب؛ وذلك لتفادى الحوادث التى من الممكن أن تقع وتسبب الوفيات، والتلوث البيئى، الأمر الذى يصعب تحقيقه فى الدول الإفريقية خصوصاً مع وجود العديد من الحالات السابقة التى لم يكن العامل البيئى فيها فى جدول اهتمامات الحكومة.

الأثر الاجتماعي

أعلنت شركتا توللو وهيرتيج عن برنامج لتنمية المجتمع فى منطقة التنقيب، وذلك فى إطار المسئولية الاجتماعية للشركات متعددة الجنسيات، إذ أعلنت شركة تولو على صفحتها الرسمية عن بدء العمل فى تطوير المنطقة المحيطة بأعمال الحفر والتنقيب، وقد كان رأى السكان مخالفاً لذلك، حيث يرون أن الضجيج بسبب أعمال التنقيب جعل المعيشة فى المنطقة أمراً صعباً، كما أكدت شركة توتال الفرنسية على توظيفها لأكثر من 800 عامل بواقع 17.000 شلن لليوم، وأكدت على محاولاتها تقليل التوقعات التى ينتظرها السكان من وجود النفط فى المنطقة خصوصًا على المدى القريب.

كما أكدت الجمعيات المدنية فى المنطقة عزوف المواطنين عن حيازة الأراضى العرفية، ورغبتهم فى تملكها، وصعوبة إجراءات وتكاليف الأخير يساعد على تشريدهم من الأراضى، وكذلك أكدت منظمات المجتمع المدنى أنه على الحكومة حماية السكان المحليين، وليس تفضيل المستثمرين عليهم، وأن الحكومة ليست لديها الإرادة لذلك.

ومما سبق يتضح لنا أن تواجد شركات النفط صاحبه تصاعد تساؤلات البرلمان الأوغندى حول الفساد السياسى لموظفى الحكومة.

أيضاً تأثر الصيد فى بعض الأجزاء التى تم إخلاؤها من البحيرة تأثراً سلبياً، بينما هناك جانب إيجابى تمثل فى مساعدة البنية التحتية التى تقوم بها الشركات على تحسين تسويق إنتاج الصيد لتحسن الطرق، كما ساهمت وزارة الموارد الأوغندية بتوفير سيارات تبريد للصيادين تساعدهم على نقل إنتاجهم من الصيد، وذلك بمساهمة مسئول الشركة عن البرامج الاجتماعية.

وقد تدفق على بعض المناطق من حوض البحيرة العديد من الاستثمارات فى الأراضى مما يرفع من قيمة الأرض فى المنطقة، إلا أن أعضاء البرلمان الأوغندى من ممثلى مصالح الممالك فى المنطقة أكدوا على ضرر هذه المضاربات بأصحاب الحق الأصليين فى التعويضات.

وعلى الجانب الكونغولى تدهورت الأوضاع الأمنية بمحاولة عدد من الجماعات المسلحة السيطرة على الأراضى، وهو ما أدى إلى توقيع أكثر من اتفاق لأكثر من شركة تنقيب لنفس الحقل، وبناء على ذلك تأخرت عمليات التنقيب على عكس أوغندا التى بدأت بها عمليات نقل للنفط فعلياً.

وقد أدى تدهور الأوضاع الأمنية إلى تدخل القوانين الأمريكية متمثلة فى قانون أوباما لينتج عنه فرض حظر على التعدين، وتدهور أوضاع العمل شرق الكونغو الديمقراطى، وارتفاع معدلات البطالة.

ومما سبق نرى مدى خطورة تواجد نشاط لشركات النفط فى أحد أهم منابع النيل مما يفرض تساؤلاً على خطورة ذلك على النهر بشكل عام خاصة مع احتمالية حدوث كارثة تسرب مثل التى حدثت فى خليج المكسيك، وما السيناريوهات المستقبلية التى وضعتها الشركة لمثل هذا الوضع ومن سيتحمل التكلفة دولتا الحوض أم دول نهر النيل أجمع أم الشركات المتسببة بالضرر؟

من كنوز التراث العربى :

ولادة بنت المستكفى

ريحانة ابن زيدون

أغار عليك من نفسى ومنى ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أنى خبأتك فى عيونى إلى يوم القيامة ما كفانى

تلك الأبيات لشـــاعرة أندلسية، أحد أقطاب الشـــعر فى القرن الحادى عشر الميلادى، ظلت تبدع حتى ماتت وهى على مشـــارف العام المائة، كانت أيقونة زمانها، شاهدة على مسيرته الأدبية والسياسية، شاركت فى تغيير الحياة الثقافية، وحكايتها مثار جدل حتى الآن، واحتدمت من أجلها الأقلام.

عادل عبدالصمـــد
adelabdelsamed@yahoo.com

واحتدام الخلاف حول شـــخصية الشاعرة التى شغلت أهل الفكر والثقافة، يرجع إلى شخصيتها التى تميزت بجرأة غـــير معهودة على بنـــات عصرها، فقد جاهرت بحبها شعراً، وكانت بينها وبين حبيبها مساجلات شعرية بديعة كانت حديث صفوة أهـــل الفكر والأدب، مما أدى إلى إشـــعال نار الغيرة عند كثير من مريديها وعشاق مجلســـها وصالونها، الذى اشـــتهرت به فى زمانها. وتحولت الغيرة إلى معارك ودســـائس، أفسدت صفو الحب الذى كان.

وهنا يثار التســـاؤل، حول الحب وثقافتـــه فى عـــصر لـــه خصوصيته وتقاليده؟!

والحب كما عرف منذ مجنون ليلى، الذى أقام الدنيا وأقعدها، وملأ ســـماء البيد عشـــقاً، حتى العباس بن الأحنف إلى إبراهيـــم ناجى وأحمـــد رامى، هو الموضوع الأول للشـــعر والأدب والفن، والحب بجميع درجاته وأحواله، من أهم الموضوعات فى العلوم الإنسانية.

والحب عماده حرية الاختيار، التى لايملكها الإنسان إلا إذا وصل إلى حالة من

التوازن بين العقل والوجدان والإرادة، ولا تظهـــر إلا فى مجتمع يقدر حرية الفرد، ولا تتحقق فى العلاقة الحميمة بين الرجل والمرأة إلا إذا بلغا معاً مستوى رفيعاً من ثقافة الحب.

وحكاية الحـــب هنا فى مدينة كانت تقدر قيمة الحرية، وفنون الأدب وخاصة الشـــعر، قرطبة، إبان العصر الذهبى للعرب فى الأندلس، مسقط رأس الأميرة الشاعرة ومعشوقها، عاصمة الأمويين، تضم جامعة وقصـــوراً فخمة وحدائق غنّاء وعشرات الحمامات العامة، تزخر شـــوارعها بدكاكين الوراقين، والإنارة بالليل، وقلما تلقى فيها شـــخصاً أميّاً، وكان الدارســـون من مختلف البلدان الأوروبية يفدون إليهـــا منبهرين بثراء المدينة وجمالها، وقد زارتها الشـــاعرة الألمانية (هروســـويتا) فى القرن العاشر، فوصفتها بأنها حلية العالم.

من تكون شـــاعرة القرن الحادى عشر الميلادى؟

أميرة وشاعرة عربية، من بيت الخلافة الأموية فى الأندلس.

ولادة بنت محمد المستكفى بالله بن عبدالرحمن أحد أضعف حكام الأندلس، فى فترة انهيـــار العصر الأموى الذى قام على أنقاضـــه عصر ملـــوك الطوائف، هـــو الخليفة الحادى عـــشر للأندلس، الحاكم الخامس لها من سلالة الأمويين، ولاه أهـــل قرطبة الخلافـــة، بعد مقتل المستظهر بالله، وظل خليفة لنحو عام ونصف أمضاها فى إرضاء شـــهواته، إلى أن بلغته أنباء زحف جيش يحيى المعتلى بالله، على قرطبـــة، فغادرها متخفياً فى زى امرأة وقتله بعض مرافقيه فى رحلة فراره ظناً منهم أنـــه يحمل مالاً، أمها جارية إســـبانية، اســـمها سكرى، وقد ورثت منها بشرتها البيضاء، وشـــعرها الأصهب، وعينيهـــا الزرقاوين، وكانت تخالط الشـــعراء فى زمانها وتجالسهم وتنافسهم.

ولادة من أروع الشـــعراء والأدباء فى زمانها. فاتنة، قوية الحضور، أنيقة الهندام، محبة للغناء، متحررة، جمعت بين العلم والأدب، جزلة القول، حســـنة الشـــعر، خلعت الحجـــاب لأول مرة فى تاريخ الأندلس، نشأت فى أحضان العز والنعيم، شـــبت قارئة مطلعة، شديدة الذكاء والبهاء، ولكن ســـنين مراهقتها شـــهدت أحداثاً جســـاماً، فقد ضرب الطاعـــون مدينة قرطبـــة وقتل أبوها، وبزغ نجمها بعـــد موت أبيها، وصارت تلقب بفراشـــة الأندلس لحبها للحرية بلا قيود. حظيت بحب واحترام كبيرين، لثقافتها وفصاحتها الشـــعرية. احتفى بها مؤرخـــو الأندلـــس، فكتب مؤرخ الأندلس (ابن بسّام) صاحب أهم المراجع الأدبية فى بلاد الأندلس (كتاب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة):

(إن صالونها كان مفتوح الأبواب دائماً، لعلية القوم وصفوة الأدباء).

وقـــال المـــؤرخ والقـــاضى ابـــن بشـــكوال، وهو القاسم خلف الأنصارى الخزرجى بن عبدالله الأندلسى القرطبى (اصطخبت الحياة السياسية من حول الأميرة ولادة فى قرطبة، ودخلت الأميرة فى مباريات أدبية مع أدباء كثيرين وتفوقت عليهم).

وكتب لســـان الدين الخطيب، وهو شـــاعر وكاتب وفقيـــه مالكى ومؤرخ وفيلسوف وطبيب وسياسى أندلسى، فى كتابه اللمحة البدرية فى الأخبار:

(الأندلســـيات جميـــلات فاتنات، موصوفـــات باعتدال الســـمن وتنعم الجسوم، واسترسال الشـــعور، ونقاء الثغور وطيب الشـــذا وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المحاورة، وقد بلغن من تفنن فى الزينة والتنافس فى الذهبيات والديباجـــات، فتبصرهن أيـــام الجمع كأنهن الأزهار المتفتحـــة، على البطاح، وســـبب ذلك أن حكام العرب والبربر، شغفهم جمال فتيات أوروبا، وكان ملوك غرناطة يتزوجون بجاريات شقراوات، ذوات عيـــون زرقاوات، يتنافســـن فى اجتذاب رجال الفكر والسياسة والشعراء والفنانين، فكانـــت أمهات معظم أولئك الملوك من أصل أوروبـــى، ونالت المرأة هذه المكانة.. وكانت ولادة من أشهرهن ميزات).

ومن الأصدقـــاء المقربين لولادة ابن حزم الأندلسى القرطبى، والذى يعد من أكبر علماء الأندلس، ومـــن أكبر علماء الإســـلام، تصنيفاً وتأليفاً، بعد الطبرى. وكتابـــات ابن حزم فى فلســـفة الحب، كلها دخلت فى نســـيج الأدب الأسبانى والفرنسى فيما بعد، كما دخلت أشـــعار وأدبيات الأمـــيرة ولادة. وكان ابن حزم يقدرهـــا ويجلها، وصفها بالشـــاعرة والأديبة المتبحرة، والشخصية المنفتحة.

وفى عصرنا المعاصر تكتب (لى كوين) مقالـــة فى المجلة الشـــهرية البريطانية (التاريخ اليوم) فى مارس 2015 م:

(ولادة بنـــت المســـتكفى، محبوبة ابـــن زيدون وملهمتـــه، وقصتهما ترد فى تواريـــخ الأدب وفى رواية على الجارم (هاتف من الأندلس) ومسرحية فاروق جويدة (الوزير العاشق) وغيرهما، كانت ولادة التى عاشت فى القرن الحادى عشر الميلادى صاحبة صالون أدبى، يســـبق تلك الصالونات التى كانت أديبات فرنسا وكواكبها الاجتماعية اللامعة، يقمنها فى القرن الثامن عشر وبعـــده)، والدعوة الأساسية التى تتقدم بها لى كوين، هى أن ولّادة أثرت فى الشعر الأوروبى خلال العصور الوسطى خصوصاً فيما عرف بالحب الرفيع الذى شاع فى بلاط الملوك والأمراء العرب وكان صالونها فى قرطبة عاصمة الخلافة الأندلسية يجذب الأدباء والساســـة، وفيهم من يتنافســـون على حبها، وكانت تجمع بين صفات الشاعرة والأميرة وراعيـــة الفنون والعاشـــقة والسلطانة).

وتقول الصحافية الأسبانية ماتيلدا كابيلو: (لقد غدت ولّادة أســـطورة فى قرطبة، أسطورة أكثر منها تاريخاً).

المنتدى الثقافى لولّادة:

يعتبر الصالـــون الأدبى لولّادة بنت المستكفى أول منتدى ثقافى من نوعه فى زمانهـــا، وكان يؤمه كبار رجال الدولة، من الأعيان والوزراء والشـــعراء. كانت النســـاء من مختلف طبقات المجتمع، يفدن على صالونهـــا، كى يتعلمن فنون القراءة والكتابة والموســـيقى. فى قصر ولّادة يلتقى النبلاء ووجهاء قرطبة من مســـلمين ومســـيحيين ويهود، الرجال والنساء، دون تفرقة، وقد تعرف عليها الوزيـــر ابن زيدون الحبيب العاشـــق، وكان وقتها شاعراً ناشـــئاً وقد ألهمته ولّادة أجمل قصائده مثل:

إنـــى ذكرتك بالزهراء مشـــتاقا
والأفق طلق ومرأى الأرض قد راق
وللنسيم اعتلال فى أصائله
كأنما رق لى فاعتل إشفاقا

ويسجل أبو حيان التوحيدى رأيه فيقول:

(ولّادة عانقـــت الشـــعر والثقافة والظـــرف والجمال والحب والعشـــق بمآلات عجيبة، صيّرتها من أشهر النساء فى التراث الأدبى العربى، وتطاير ذكرها حتى أضحى اســـمها مقترنـــاً بكل من حولها أو اقترب منها ومنهم الشاعر ابن زيدون وهو أهم وأشهر عشاقها، فعرف بصاحب ولّادة، رغم أن لقبه السائر هو

ولادة بنت المستكفى
ريحانة ابن زيدون

ذو الوزارتين، وصار والدها المستكفى بالله، يلقب بوالد ولّادة، على الرغم من أنه الخليفة، وحتى الشاعرة مهجة القرطبية التى لاتقل عنها حسناً وجمالاً، أطلقت عليها كتب التراث مهجة صاحبة ولّادة).

وورد فى كتاب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام قوله:

كانت فى نساء زمانها واحدة أقرانها حضور شاهد وحرارة أوابد، وحسن منظر ومخبر، وحلاوة مورد ومصدر، كان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار مصر وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها، إلى سهولة حجابها تخاط ذلك بعلو نصاب وكرم أحساب وطهارة أثواب).

ولّادة ريحانة قلب ابن زيدون:

قصة غرام ولّادة مع ابن زيدون تحتل فى الأدب العربى مكانة كتلك التى احتلتها قصة روميو وجوليت فى الأدب الإنجليزى.

حكاية حب حقيقية، بين حبيبين اقتربا ثم افترقا بسبب الدسائس والغيرة وتعد قصتهما إحدى القصص الحالمة والمشهورة، التى بدأت داخل حدائق قرطبة، وهناك انطلق فيض من الشعر فى جمال تلك الفاتنة ولّادة، فقال فيها ابن زيدون العاشق أروع الأشعار.

فى قصر ولّادة، يولد الحب وتنمو عواطف جياشة بين الأميرة والوزير ابن زيدون، وتتجاذب ألطف الحوارات، وتلتقى العيون بالعيون، وتغزو سهام الحب القلوب، وتتعانق روحاهما، وتنتهى سهرة صالونها الأدبى، وتبدأ سيرة الحب، فى جنح الليل وتعلن ولّادة لابن زيدون عن رغبتها فى اللقاء:

ترقب إذا جن الليل زيارتى
فإنى رأيت الليل أكتم للسر
وبى منك ما لو كان بالشمس لم تلح وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

فهم الحبيب ما طلبته منه ولّادة، وفى اليوم التالى رغب فى لقائها فى حدائق القصر، وفى عتمة الليل بعد أن ينفض المنتدى الأدبى، جلس الحبيبان،

على كرسى منحوت من الحجر، مظلل بالأشجار، قبالة بحيرة وتعطلت لغة الكلام وامتلأ الحبيبان فرحاً ونشوة، وقال فى غمرة اللقاء السعيد:

ودع الصبر محب ودعك
ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على أن لم يكن
زاد فى تلك الخطى إذ شيعك
يا أخا البدر سناء وسنى
حفظ الله زمانا أطلعك
إن يطل بعدك ليلى فلكم
بت أشكو قصر الليل معك

ولقد أبدعت ولّادة فى حبها لابن زيدون وغيرتها عليه حين قالت:

جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا
فما الذى أوجب جرح الصدود
وتقول بحنين مفرط إلى لياليها السالفة مع ابن زيدون:
ودَع الصبرَ محبَ ودعك
ذائع من سرّه ما استودَعك
يقرع السن على أن لم يكن
زاد فى تلك الخطى إذ شيعك
يا أخا البدر سناء وسنى
حفظ الله زمانا أطلعك
إن يطل بعدك ليلى فلكم
بت أشكو قصر الليل معك

روعة فى جمال المعانى والأسلوب الشعرى الذى جسد ألطف الأحاسيس وقدم حكاية حب لأميرة أحبت، ولكن الغيرة والشك والدسائس كانت جسوراً أفسدت الحب الذى قدم لنا أروع القصائد الشعرية، فى تاريخنا العربى.

وتخليداً لهذا الحب الأسطورى وتلك الملحمة الأدبية، وضع لولّادة نصب تذكارى فى ساحة مارتيليه فى قرطبة، وكتب فى لوح رخامى ولّادة وابن زيدون (نصب الحب) وكتب قصيدتهما الشهيرة: أغار عليك ويا من غدوت.

المصطلحات والتعريفات المرتبطة بمنظمات ووكالات الامم المتحدة:

المفوضية السامية للأمم المتحدة لشئون اللاجئين

(United Nations High Commissioner for Refugees (UNHCR

أولاً: تعريف المفوضية

تم إنشـــاء المفوضية السامية للأمم المتحدة لشئون اللاجئين فى 14 ديسمبر من عام 1950 من قبل الجمعية العامة للأمم المتحـــدة. وتقضى ولاية المفوضية بقيادة وتنسيق العمل الدولى الرامى إلى حماية اللاجئين وحلّ مشاكلهم فى كافة أنحاء العالم.

تكمن غاية المفوضية الأساســـية فى حماية حقوق ورفاه اللاجئين، كما تسعى المفوضية لضمان قدرة كل شخص على ممارسة حقه فى التماس اللجوء والعثور على ملاذ آمن فى دولة أخرى، مع إمكانية اختيار العودة الطوعيـــة إلى الوطن أو الاندماج محلياً أو إعادة التوطين فى بلد ثالث. كمـــا أن للمفوضية ولاية من أجل مساعدة الأشخاص عديمى الجنسية.

ثانياً: قيادة المفوضية

أصبـــح فيليبو غرانـــدى المفوض السامى للأمم المتحدة لشئون اللاجئين الحادى عـــشر فى يناير 2016. وقد تم انتخابه من قبـــل الجمعية العامة للأمم المتحدة لولاية مدتها خمسة أعوام.

يضطلع المفوض السامى بمسئولية إدارة دفـــة المفوضية وضبـــط عملها. وبصفته مفوضاً ســـامياً، يرأس السيد غراندى إحدى أكبر المنظمات الإنسانية فى العالـــم. وقد حـــازت المفوضية على جائزة نوبل مرتـــين ويعمل موظفوها الذين يفوق عددهم 9,700 شخص فى 126 دولة ويوفرون الحماية والمساعدة لحوالى 60 مليون لاجـــئ وعائد ونازح داخلياً وشخص عديم الجنسية. ويعمل حوالى 88 فى المئة من موظفى المفوضية فى الميدان، وغالبـــاً فى مواقع تكثر فيها الصعوبات والمخاطر.

ثالثاً: إدارة المفوضية

تتـــم إدارة المفوضيـــة مـــن قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة والمجلس الاقتصادى والاجتماعى، وتتولى اللجنة التنفيذية للمفوضيـــة، المؤلفة من 85 عضواً، الموافقة عـــلى برامج المفوضية لفترة سنتين والميزانية المقابلة لها. حيث يقوم المفوض الســـامى المعيّن من قبل

سفير د. سامح أبو العينين

samehenein@yahoo.com

الجمعية العامـــة للأمم المتحدة، بتقديم هذه البرامج مع الميزانية.

إن ولاية المفوضية محددة فى النظام الأســـاسى الذى وضع فى العام 1950. تغير فى العـــام 2003، حيـــث قررت الجمعية العامـــة تمديد ولاية المفوضية «لحين حل مشـــكلة اللاجئين». ويقوم المفوض السامى برفع التقارير سنوياً إلى كل من المجلس الاقتصادى والاجتماعى والجمعية العامـــة لإطلاعهما على عمل المفوضية.

تجتمع اللجنة التنفيذية ســـنوياً فى جنيف، وهى الهيئة التـــى تتولى إدارة المفوضية، لاســـتعراض وإقرار برامج المفوضية وموازنتها، وتقديم المشـــورة بشأن الحماية الدولية ومناقشة مجموعة واسعة من القضايا الأخرى مع المفوضية وشركائها الحكوميـــين الدوليين وغير الحكوميـــين. تجتمع اللجنـــة الدائمة التابعة للجنـــة التنفيذية عدة مرات فى العام لاســـتكمال أعمـــال الهيئة خلال الفترات الفاصلة ما بين الجلسات العامة.

رابعاً: عمليات المفوضية

تتركـــز معظم عمليـــات المفوضية فى الميدان. وقد باتـــت عملياتها معقدة للغاية فى جميع أنحـــاء العالم، بدءاً من تعيين الموظفين الجـــدد وضمان أمنهم فى حالات الخطر وصولاً إلى تأمين كافة المشتريات، من اللوازم الطبية وشحنات المواد الغذائية بمعظمها إلى اســـتئجار الطائرات.

تقـــوم بعـــض الإدارات المحـــددة والتى تعمل فى مقـــر المفوضية بجنيف بالإشراف على المجالات الرئيســـية مثل العمليات والحماية والعلاقات الخارجية والموارد البشرية والمالية. كما هنالك عدد من المكاتب الإقليمية التى تؤمن الاتصال بين مختلف المكاتـــب الخارجية ومقر المفوضية الرئيسى.

تتمّ إدارة عمل المفوضية الأســـاسى من قبل سلســـلة من المكاتب الإقليمية والفرعيـــة والميدانية. ويقـــوم ممثلو المفوض الســـامى بقيادة العمليات فى البلدان التى تعمـــل فيها المفوضية، إلى جانب عدد من الممثلين الإقليميين.

وتعمـــل المفوضية مـــع الحكومات فى كافـــة أنحاء العالم لمســـاعدتها على التصدى لبعض هذه التحديات بطريقة متسقة وعملية. وكمثال على ذلك خطة النقاط العشر التى تعمل المفوضية حالياً على تنفيذها. وتحـــدد خطة العمل هذه المجالات الرئيســـية التى تستلزم اتخاذ إجراءات معينة لمعالجة مسألة الهجرة المختلطة فى كل من بلدان المنشأ والعبور والمقصد.

خامساً: أنشطة بناء القدرات

تهدف عملية تعزيز القدرات، وهى من الأنشطة الأساسية فى مجال الحماية، إلى مساعدة الدول على الوفاء بالتزاماتها القانونيـــة الدوليـــة لتوفـــير الحماية للاجئين.

تعمل المفوضية أيضـــاً، من خلال برامج كســـب الرزق التى تنفذها، على تنمية القدرات: فهى تساعد اللاجئين على تحقيق الاكتفاء الذاتى فى أماكن لجوئهم وتعزز فرص إيجاد حلول دائمة لهم.

إن أنشطة بناء القدرات موجّهة نحو تعزيز السلطات والقوانين والسياسات الوطنية مـــن أجل ضمان المعالجة المثلى لقضايـــا اللاجئين واللجوء واســـتقبال اللاجئين ورعايتهم وتعزيز الاعتماد على الذات لدى اللاجئـــين وإحقاق الحلول الدائمة.

لمزيد مـــن المعلومات، يمكن الاطلاع على الرابط الإلكترونى للمنظمة:

https://www.unhcr.org

موقف الولايات المتحدة الأمريكية من تأميم مصر لشركة قناة السويس 1956

جاء تأميم عبد الناصر لشركة قناة السويس كصدمة للعالم الغربى خاصة بريطانيا وفرنسا ولم يدرك الكثير من الباحثين أن السبب جاء كرد فعل على سحب الولايات المتحدة لتمويل مشروع السد العالى، فقد أوقعت السياسة الأمريكية العالم فى ورطة يمكن على أثرها وقوع الحرب العالمية الثالثة.

وبتتبع المواقف نجد أن دالاس وزير الخارجية الأمريكى فى إدارة الرئيس إيزنهاور قد ربط تمويل مشروع السد العالى بنجاح مهمة المبعوث الأمريكى إندرسون لإرساء دعائم السلام بين مصر وإسرائيل وجاء رفض عبد الناصر للشروط الأمريكية - أو على الأصح الإسرائيلية- فى فبراير 1956 كما قال السفير الأمريكى هنرى بايرود فى مقابلة مع الباحث (1) بواشنطن مما أثار غضب الإدارة لما سوف يترتب على هذا الفشل من نتائج غير متوقعة خاصة فيما يتعلق باحتواء الخطر الشيوعى فى المنطقة وجاء اعتراف عبد الناصر بالصين الشعبية فى مايو 1956 بمثابة ضربة لمتخذ القرار فى واشنطن الذى رأى فى هذا تحدياً للسياسات الأمريكية فى المنطقة.

لقد بدأت السحب تتراكم ولم يعد أمام إدارة إيزنهاور ممثلة فى وزير خارجيته دالاس سوى الإقدام على تحطيم آمال مصر

أ.د محمد عبدالوهاب سيد أحمد

عبد الناصر فى بناء السد العالى.

لقد أصبح هنالك سباق للوقت فى داخل أروقة الحكم فى واشنطن ولم يتورع دالاس عن التصريح فى 26 يونيو 1956 «بأنه لا يعتقد أن تكون هناك إمكانية لبناء هذا السد دون تضحية كبيرة من الشعب المصرى، الذى سوف تزداد معاناته(2)».

لقد حاول دالاس فى بيانه هذا إلى استثارة الشعب ضد عبدالناصر خاصة بعد ما أشيع من إمكانية إقدام السوفييت على تمويل المشروع.

لقد بدأت الإدارة الأمريكية تكشر عن أنيابها غير واضعة فى الاعتبار إمكانية قيام مصر ببناء المشروع اعتماداً على مواردها بصفة أساسية، وجاءت فى نظر دالاس اللطمة الكبرى لنظام الحكم فى مصر(3) فى 19 يوليو 1956 بإعلان سحب الولايات المتحدة عرض التمويل لمشروع السد العالى.

لقد جاء قرار دالاس دون الرجوع إلى الشركاء فى عملية التمويل سواء البنك الدولى وهو ما أوضحه رئيس البنك الدولى يوجين بلاك بأن ما أقدم عليه دالاس يعد خسارة كبيرة وأنه لم يرجع إلى البنك الدولى فى قراره(4).

أسبوعاً بعد قرار دالاس أعلن عبدالناصر فى خطابه الشهير فى 26 يوليو 1956 قراره التاريخى بتأميم شركة قناة السويس، وقد سمع أنتونى إيدن رئيس

جمال عبد الناصر وتأميم القناة

دوايت أيزنهاور

الوزراء البريطانى بأمر إعلان عبدالناصر فى حفل عشاء مع ملك العراق ورئيس وزرائه فقام على الفور بعقد مجلس حرب واستدعى السفير الفرنسى والقائم بالأعمال الأمريكي(5)، واستمر الاجتماع ساعتين وفى نهاية الاجتماع أرسل القائم بالأعمال الأمريكى تقريراً مفصلاً لحكومته أوضح فيه بأن إيدن كان يرى بأنه لا يجب أن يسمح لعبدالناصر بأخذ قناة السويس(6)، وكانت المشكلة التى واجهت الولايات المتحدة -التى تسببت فى المشكلة- مدى تأييد ومشاركة الولايات المتحدة فى موقف ثابت فى مواجهة عبدالناصر بشأن العقوبات الاقتصادية بل والتدخل العسكرى إذا لزم الأمر.

لقد اعتبر حلفاء أمريكا الرئيسيان فى الناتو «بريطانيا وفرنسا» تأميم شركة قناة السويس أمراً غير مقبول فقد كانت نسبة 25٪ من جملة الصادرات البريطانية تمر عبر القناة(7). لقد وصفها إيدن بأنها تمثل القصبة الهوائية للإمبراطورية البريطانية.

أما بالنسبة لفرنسا فقد كانت القناة تمثل عاملاً اقتصادياً مهماً إذ كان 70000 سبعون ألف مساهم فرنسى يملكون حصصاً لشركة القناة وبالإضافة إلى هذا فقد كان العسكريون الفرنسيون يكنون عداء لعبدالناصر لدعمه ثورة الجزائر. لقد كانت فرنسا أشد عداء لعبدالناصر وأميل للحل العسكرى (8).

لقد كان هنالك تصميم من الدولتين على أنهما سوف تلجآن إلى الحل العسكرى إذا لزم الأمر.

لقد كانت بريطانيا وفرنسا تظنان أن الولايات المتحدة سوف تقف إلى جانبهما بكل السبل فى حالة اللجوء إلى الحل العسكرى بما فيه وضع الدولتين تحت المظلة النووية الأمريكية لمواجهة احتمال التهديد النووى السوفيتي(9).

لقد كانت كل الأطراف تتطلع إلى الدور الأمريكى بما فيها مصر التى حافظت على علاقتها مع الولايات المتحدة لإدراكها لأهمية الدور الأمريكى فى حل الأزمة.

وإذا ألقينا نظرة على رؤية وموقف الولايات المتحدة التى تسببت فى الأزمة نجد أن الرئيس إيزنهاور اعتماداً على رؤية وزير خارجيته دالاس رجل القانون المتخصص فى القانون الدولى وجد من وجهة النظر القانونية أن تأميم شركة قناة السويس «هو من حق مصر إلى أن يثبت عجزها عن تشغيلها»، لأن الشركة من وجهة نظره «مجرد منشأة تجارية» وعارض إيزنهاور – الجنرال العسكري– استخدام القوة وشدد على ذلك لإيدن وكرر دالاس نفس الموقف لمبعوثه إلى لندن روبرت مىرفى (نائب وزير الخارجية) فقال «إننا لم نتعهد بأية التزامات بشأن استخدام القوة دون موافقة الكونجرس والذى يعد عملاً معقداً للغاية فى ظل الظروف الراهنة»(10).

لقد تحركت الأحداث ولم يكن الرئيس إيزنهاور ذو الخلفية العسكرية متحمساً للجوء للحل العسكرى لأسباب عدة:

– لم يكن يريد أن يشوه سجل سياسته الخارجية وخاصة فى أثناء حملته لتجديد انتخابه للرئاسة(11).

يضاف إلى هذا إدراكه لمعارضة الأغلبية الديمقراطية لتأييد فرنسا التى كان دورها فى شمال إفريقيا محل نقد ومعارضة من قبل هذه الأغلبية، يضاف إلى هذا الرغبة فى إقرار السلام فى المنطقة والخوف من انغماس إسرائيل فى أى عمل عسكرى يقضى على فكرة السلام بينها وبين مصر والعرب.

يضاف إلى هذا أن حمولة السفن الخاصة بالولايات المتحدة العابرة لقناة السويس لم تكن تزيد عن 3.1٪ من جملة السفن العابرة(12)، فضلاً عن أنه لم تكن لها مصالح مالية فى شركة القناة. كما وضع صانع القرار فى واشنطن إمكانية فرض حظر بترولى من الدول العربية مما سيؤثر بالتبعية على الدول المنتجة والمصدرة للبترول، ويؤثر بصورة أسوأ على الدول الأوروبية المستوردة للبترول وخاصة بريطانيا وفرنسا مما سيؤثر سلباً على أوضاعها الداخلية خاصة مع قرب فصل الشتاء.

لقد وضعت الإدارة الأمريكية فى الحسبان موقف جماعة عدم الانحياز والشعوب الإسلامية التى سوف تتهم الغرب بأنه يتحد ضد أمة صغيرة كمصر.

كما توالت التقارير تشير إلى ارتفاع مكانة عبدالناصر ومصر فى أعقاب التأميم الذى نال تأييد ومباركة خصمه اللدود نورى السعيد رئيس وزراء العراق.

كما وضعت إدارة إيزنهاور فى الحسبان ما سيحققه الاتحاد السوفيتى من مكاسب فى الشرق الأوسط وأوروبا الشرقية وهو ما أكدته تقارير المخابرات الأمريكيةCIA وكذا هيئة أركان الحرب العليا فى تقاريرها إلى متخذ القرار فى واشنطن(13).

أعمت الرغبة فى الحرب إيدن ومواليه رئيس الوزراء الفرنسى ولم يدركا الخلاف بينهما وبين موقف الحليف الأمريكى الذى كان يسعى لهدفه من خلال الحلول

موقف الولايات المتحدة الأمريكية من تأميم مصر لشركة قناة السويس 1956

مبنى شركة قناة السويس ١٩٠٠

السلمية وعدم اللجوء للحل العسكرى الذى كان لا يتفق مع المصالح الأمريكية.

لقد كان قصور فهم الجانب البريطانى والفرنسى وغموض الموقف الأمريكى عاملاً مشجعاً مهماً على أن يسير فى الأخذ بالحل بالحل العسكرى.

وقد أدرك عبدالناصر أن ما تسعى إليه الولايات المتحدة هو الحفاظ على حرية الملاحة فى قناة السويس وقيام مصر بدور الضامن لهذا طبقاً لاتفاقية عام 1888. وهو ما أكده من أن «مصر هى الحامى الطبيعى للقناة وسوف تستمر فى حمايتها».

وبعد ثلاثة أيام من تصريحات عبدالناصر أكد نفس الكلام على صبرى مدير مكتبه أثناء تواجده فى لندن.

لقد قرأ عبدالناصر الموقف جيداً مدركاً ما يدور فى ذهن متخذ القرار فى واشنطن ورغبة منه فى كسب الدعم الأمريكى فقد صرح فى 6 أغسطس 1956 «أنه ينوى تخصيص جزء كبير من إيرادات القناة لتحديثها وتعميقها، لتتمكن ناقلات البترول العملاقة من المرور عبرها»(14)، وبالتالى لم يمنح القوى الغربية عذراً فى استخدام القوة ضد مصر.

ومن أجل الوصول إلى حل يرضى جميع الأطراف فقد عقد مؤتمر لندن الأول فى الفترة من 16 - 23 أغسطس.

وقد حضر المؤتمر 22 دولة منها 16 من كبار (المنتفعين) بالقناة والموقعين على اتفاقية القسطنطينية التى تحمى حرية الملاحة فى القناة. وقد دعيت مصر إلى الحضور ولكن لم ترسل وفداً رسمياً لحضور المؤتمر.

وبالنسبة للولايات المتحدة فإن هذا المؤتمر قد قدم فرصة لتقييد هدف حلفائها للقيام بعمل عسكرى منفرد ضد مصر.

وقد حاول دالاس الحصول على تأييد الدول المشاركة لفكرة تدويل القناة(15) وما أن اقتنعت بريطانيا وفرنسا بإمكانية التفاوض حتى بدأ دالاس بالفعل فى إضعاف فعالية المؤتمر بتصريحه «بأن هذا ليس المؤتمر الذى يتم من خلاله توصيل إنذار إلى مصر لأنه لا أحد منا يمكن أن يسلم بهذا الهدف»(16). وذلك لتفويت الفرصة على السوفيت للاصطياد فى الماء العكر.

لقد بدأت اتصالات سرية بين أمريكا ومصر آنذاك وقد وضح ميل الجانب الأمريكى إلى ضرورة التوصل لحل مقبول وأن فكرة التدويل لا يمكن أن تتحقق بالنسبة لمصر. وهو ما وضح من خلال الاتصالات التى تمت بين عبدالناصر والسفير الأمريكى فى القاهرة وكذا ما أكده على صبرى سراً للوفد الأمريكى فى المؤتمر.

ورغبة فى إضعاف المؤتمر فإن دالاس رفض الاشتراك فى وفد الدول الخمس رغم إلحاح بريطانيا على ضرورة مشاركة دالاس. وقد اكتفى دالاس بإرسال لوى هندرسون مكانه(17). وترأس البعثة رئيس الوزراء الأسترالى روبرت منزيس, وقد جاء إحجام دالاس عن المشاركة بمثابة إعلان بموقف الولايات المتحدة بصعوبة فرض حل على مصر. وقد وضح منذ البداية وذلك طبقاً للمراسلات السرية من إيزنهاور وإيدن بمعارضة الولايات المتحدة اللجوء إلى الحل العسكري(18).

وجاءت تصريحات إيزنهاور فى 28 أغسطس «بأن قناة السويس ليست ذات أهمية جوهرية بالنسبة للولايات المتحدة». لقد شجعت هذه الإشارات عبدالناصر إلى رفض المقترحات المقدمة من قبل بعثة منزيس التى حكم عليها بالفشل.

لقد وقعت الإدارة الأمريكية فى حالة من الارتباك بين الموقف الدولى وحلفاء الناتو. مما جعل الإدارة تطرح البدائل لحلفائها تجنباً للعمل العسكرى منها استخدام ورقة الضغط الاقتصادى واستثمار رغبة بعض الزعامات العربية فى القضاء على زعامة عبدالناصر للمنطقة وكذا إمكانية استخدام السفن العملاقة ووضع مسارات جديدة لبترول المنطقة.

سعت الإدارة الأمريكية منذ البداية إلى إيجاد بدائل للحل العسكرى وعدم الظهور بالانصياع وراء رغبات بريطانيا وفرنسا فى هذا الصدد. وقد وضح هذا فى عدم حضور دالاس اجتماع الناتو NATO الذى عقد فى باريس فى 5 سبتمبر والذى تمت الدعوة إليه للتباحث بشأن أزمة السويس. لقد اتخذت واشنطن هذا الموقف انطلاقاً من عدم الرغبة فى خلق انطباع بأن الدول الغربية كلها مجتمعة ضد مصر(19).

وبدأت الأحداث تسير بسرعة وأبلغ إيدن دالاس برغبة بريطانيا وفرنسا لطرح المشكلة أمام الأمم المتحدة وهو ما كان يعارضه دالاس خوفاً من الفيتو السوفيتى.

لقد كان دالاس مدركاً أن حلفاءه يحاولون الظهور أمام المجتمع الدولى باستنفاذ كل الوسائل الممكنة لحل الأزمة بالطرق السلمية.

وعلى الفور قدم دالاس صيغة توفيقية جديدة انطلاقاً من خلفيته القانونية وكان الهدف هو تشكيل اتحاد دولى لإدارة القناة وقد عرفت هذه الجماعة بهيئة المنتفعين بقناة السويس Suez user's Associa-tion وقد أوحى إلى إيدن بأن يجعل هذا الاقتراح ينتسب إليه وتحت الضغط قبل إيدن أملاً فى إرضاء كافة الأطراف.

وبمجرد علم الأمريكيين بذلك حتى وجه دالاس ضربة قاضية للفكرة فقد صرح فى مؤتمره الصحفى فى 13 سبتمبر «بأن الولايات المتحدة لا تنوى عبور سفنها قناة السويس إذا ما حاولت مصر سد طريق الملاحة أمام الرحلات الأمريكية تحت حماية جمعية المنتفعين». وقد أكد فى نفس المؤتمر بأن «كل أمة لها أن تقرر لنفسها ما هو العمل الذى يمكن أن تتخذه»(20).

جون فوستر دالاس

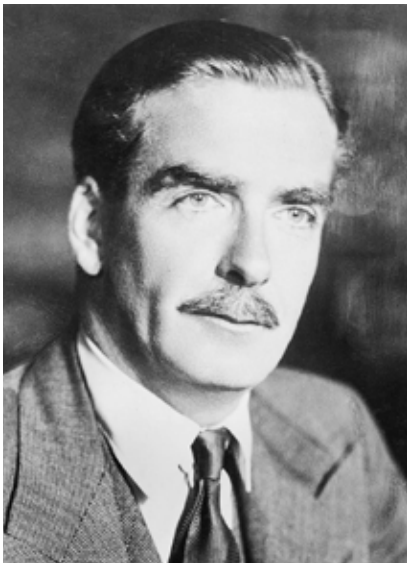

أنطونى إيدن

عملت بيانات دالاس على إحباط إيدن حيث كتب فى مذكراته «بأن الكلمات كانت بمثابة إعلان لعبدالناصر بأنه فى إمكانه أن يرفض المشروع ويتنصل منه».

لقد أدرك إيزنهـــاور ودالاس حقيقة أهـــداف حلفائهم بأنهم يســـعون للعمل العســـكرى وقد وضح هذا فى 15 سبتمبر حينما قامت فرنســـا وبريطانيا بسحب مرشـــديها رغم النصيحة الأمريكية التى ذهبت هبـــاء. لقد صار واضحاً أن الهدف ليس قناة السويس بل هو عبدالناصر(21).

لقد نجح عبـــد الناصر فى إدارة القناة باســـتعواض مرشـــدين من دول أخرى، مؤكـــداً للولايات المتحدة بأنه لن يسمح للمرشدين الســـوفيت بإرشـــاد السفن الأمريكية. وقـــد أظهر دالاس عـــدم الوقوف إلى جانب فكـــرة جماعـــة المنتفعيـــن بقولـــه فى 2 أكتوبر 1956م حينما سئل هل للجمعية أنياب فكان رده «هناك حديث حول أنيابها المخلوعة»(22).

لقـــد وضح موقف الولايـــات المتحدة اســـتناداً للرأى القانونـــى بحق مصر فى التأميـــم مع ضرورة الإيفـــاء بالتزاماتها الدولية.

لقد أصبح واضحـــاً التباين فى الموقف اعتمـــاداً على مصالح وعلاقـــات الولايات المتحـــدة ونظرتها للأمور بصورة مخالفة لحليفتيها بريطانيا وفرنسا.

الأمم المتحـــدة:

كانـــت الدولتان بريطانيا وفرنســـا حريصتـــين على إحالـــة القضية إلى الأمم المتحدة لإظهار اســـتنفاذ كافة الســـبل للوصول إلى تسوية حتى تُقدما على القيام بعمل عسكرى مبرر ولذا فإن متخذ القرار فى واشـــنطن كان يدرك خطورة الموقف خاصة وأن تقاريـــر المخابرات الأمريكية أفادت بتعيين الجنرال كتلى كقائد للحملة وأن إيدن كان فى حالـــة مزاجية لا يمكن التنبؤ بهـــا، وهو مـــا سرّب أيضاً لمصر طبقاً لمـــا ورد فى كتابات هيكل. ونصحت واشنطن القاهرة بإظهار نوع من المرونة فى قبول المقترحات المقدمة لتفويت الأزمة. لكن رغـــم هذا أصر الإنجليز والفرنسيون على وضع مقترحـــات مضادة غير مقبولة مما أدى إلى الفيتو السوفيتى وانتشار حالة من الامتعاض بين دول الأمم المتحدة نتيجة للموقف الأنجلو فرنسى المتعنت.

وهو ما كانت تخشـــاه واشنطن. لقد بـــدأت طبول الحرب تدق فقـــد دعا داج همرشلد الســـكرتير العام للأمم المتحدة الأطراف إلى لقاء من أجل التشاور فى 29 أكتوبـــر 1956م، إلا أن الحرب قد بدأت بالتحرك الإسرائيلى بتخطيط من بريطانيا وفرنســـا لإيجاد مبرر للتدخل العسكرى وهو ما حدث بالفعل(23).

لقد اختلقت أمريكا أســـباب الأزمة فى البداية وخرجت منها بصورة مختلفة انطلاقاً مـــن الحفاظ على دورها كحامٍ للمصالح الغربية رغـــم أنف حلفائهـــا. لقد وضح النمط الإمبراطورى فى المواقف وتأكد الدور الأمريكى مستخدماً الدبلوماسية الخفية فى إدارة الأزمة The Covert Diplomacy وهو ما قد وضح من تسلسل الأحداث.

الهوامش

(1) مقابلة مع السفير هنرى بايرود فى واشنطن، مايو 1984م.

(2) Executive session of the Senate F. R. Committee, Vol. VIII, Statement of the Secretary Dulles, 26 June, 1956.

(3) Dept. of State Bulletin, July 1956, P.188. "Aswan High Dam release19-7-1956.

(4) Black: Dulles oral History Collection, Princeton University

(5) Eden: Full Circle, PP. 423-24.

(6) Foster Cable to State Dept. 26-7-56

(7) Eden: Full Circle, OP. Cit. PP. 426-42

(8) Mamon, Arthur. Air Operation in the Suez Canal Incident, U.S. Air Force, no date, P.4

(9) Murphy, R. Diplomat among Warriors, P.465.

(10) Eisenhower papers, Dulles - Herter series, Box No.5, Folder July 1956. To American Embassy in London, Murphy from Sec. 30 July 1956, Top Secret.

(1) مقابلة مع السفير هنرى بايرود فى واشنطن، مايو 1984م.

(12) N A R G 218, ccs-092, Note by Sec. to JSC, 31 July

(13) Eisenhower papers, Ann Whitman File, Box No 8 NSC meeting of NSC, 7 Sept., 1956, CIA Report.

(14) Eisenhower, Waging peace, P.41.

(15) Eisenhower Lib. Eisenhower papers, Dulles- Herter Series, Box No.5 Dulles 256, from London to: The President, 18-85.

(16) Dept. of State Bulletin, 29-9-56, Conclusion of London Conference, Statement of 20-8-1956 by Sec. Dulles, P.371.

(17) Macmillan: Riding the Storm, 1956-1957, P.109.

(18) Eisenhower papers, D.H. Series, Box No. 5, August1956, Eisenhower to Eden, 31-8-1956.

(19) Macmillan, Op. Cit., P.113.

(20) Dept. of State Bulletin, No. 900, Op. Cit., P. 479.

(21) د.محمد عبد الوهاب: عبد الناصر والسياسة الخارجية (1952-1956)م، سلسلة مصر النهضة، 2006، ص 202.

(22) Neff, Warriors at Suez, P.320.

(23) د.محمد عبد الوهاب: نفسه، ص208.

سفير
فخرى عثمان

الفنان بكر الشعراوى

أقام الفنان بكر الشعراوى معرضاً لأعماله الفنية من اللوحات الزيتية ومعرضاً لإبداعه الفنى فى قاعة زياد بكير «المكتبة الموسيقية» بساحة دار الأوبرا المصرية. والفنان من مواليد عام 1960 وتخرج من جامعة القاهرة «كلية الحقوق» عام 1983، وعمل بالمحاماة وبصناعة السينما المصرية فى مجال الأفلام الروائية. وسبق للفنان المشاركة فى أعمال رسم الجدار لمحطة مترو الأنفاق فى نيويورك. وقد درس فن الرسم التشكيلى فى أستراليا، وقد عمل فى مجال تدريس الرسم والألوان للأطفال فى أستراليا حيث يقيم ويعمل حتى الآن، وقد شارك فى العديد من معارض الرسم فى أستراليا ومصر وله أعمال روائية وأدبية آخرها المعرض الحالى تحت عنوان «ابن فرعون بكر الشعراوى».

يتميز إبداع الفنان الذى درس القانون حيث تفوقت موهبته الفنية التشكيلية على مهنة المحاماة بحساسية واضحة بانعكاس واقع المجتمع المصرى على إبداعه، حيث يجيد استخدام الألوان المتناغمة بمهارة وكفاءة عالية. وجاءت لوحة شارب الشيشة لتتوج أعماله تلك الظاهرة المصرية التى تنشر فى جميع أنحاء الدولة وبين غالبية الشرائح الشعبية ووصلت إلى حد الإدمان الذى يقضى صحياً على المدخن ويضع نهاية مبكرة لرحلة الحياة. وإننى أعتبر أن تفاعل الفنان بواقع المجتمع الذى ينتمى إليه وتصويره الصادق لمفردات الحقيقة وتناولها بلغته الفنية هو أمر جيد يعبر عن مذهب الواقعية وجدير بالتقدير والاحترام.

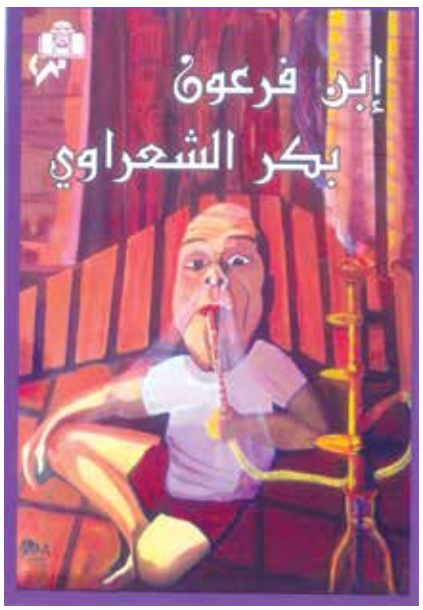

الفنان
سمير ظريف

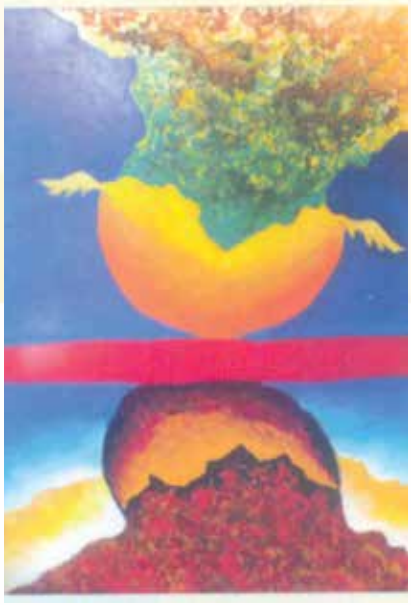

أقامت عائلة الفنان الراحل سمير عبدالله محمد ظريف معرضاً لأعماله الفنية فى قاعة نقابة الفنانين التشكيليين الدائرية. الفنان ولد فى عام 1944 ورحل إلى خالقه فى عام 2016. تخرج من كلية الفنون الجميلة عام 1969 وعمل مصمم خلفيات وديكور بالتليفزيون المصرى، وأخصائى للفنون التشكيلية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب بالسعودية، واشترك فى معظم المعارض والمسابقات الرسمية فى مصر، وأقام معرضه الشخصى الأول فى يناير 1973 والمعرض الثانى فى عام 1974. واشترك فى المعارض السنوية لفنانى الجاليات الأجنبية بالرياض بالسعودية، وكذلك المعارض الدولية بالسعودية. زار دول إنجلترا وفرنسا وإيطاليا واليونان وتركيا وكندا وأمريكا وشارك فى تحكيم المعارض والمسابقات الخليجية المقامة فى السعودية، وقام بتصميم الرسوم لجريدة الرياض ومجلة الفيصل ورسوم كتب الأطفال. وله مقتنيات فى مصر وإنجلترا وباكستان وألمانيا والهند واليابان وكندا وأمريكا.

استوقفنى كثيراً إبداع الفنان بالنسبة للموضوع من ناحية الوضوح السهل دون تعقيد، والصدق فى التعبير عن محتوى وجدانه، فالحياة فى تقديره هى رحلة الحب والرومانسية البشرية التى تتسم بالسمو والرقة والسلام والخير والدوام والرحمة أى رفض الحب المتطرف المجنون الأهوج المزيف الذى يخفى المصلحة والمنفعة ويسخر من الغرور وحب الذات والعنف. رأيت فى إحدى لوحاته بداية ضوء الشمس بعد اختفاء ضوء القمر وهى المنظومة الطبيعية اليومية الدائمة لرحلة الحياة، ورأيته يسبح فى سماء الحب فى الفضاء وفى قاع البحار.. أراه يقضى كل يوم فى رحلته الرومانسية الروحانية الفلسفية فى انسياب مستفز سعيداً دائماً برموزه وضربات فرشاته الخافتة كالنقطة والخط القصير المتراقص السابح فى عالمه الفلسفى الخاص وكأنه نسمة هواء الربيع الصامت. إنه الفنان النادر فى صفاته وملامح شخصيته رحمه الله ولإبداعه كل تقديرى واحترامى.

من آداب الأفكار عن الزعيم السادات

قليلاً ما يجـــد الباحث المثقف كتابات لزعيم دولة أو ســـياسى أو دبلوماسى يشرح فيها رأياً سوى خطاباته الرسمية أو سياســـته الدولية، بالقدر الذى نجده عند الزعيم أنور السادات رحمة الله عليه، ومع أن له مذكرات «البحث عن الذات» الذى كتبه شـــارحاً حياته السياسية وما جرى وما شـــهد فى أعماله العظيمة، إلا أن له بعض المشاركات فى الكتابة الفكرية كشىء من المثاقفة على قلتها إلا أنها تعطى المتلقى نموذجاً كتابياً من زعيم كالسادات الذى اشتهر بالمبادرات السياسية .

ومغامـــرات الزعمـــاء فى مصر والخارج، فإنه يعد مفكراً سياســـياً وعبقرياً داهيـــة!! لفت الأنظار إلى ما تمتع به من مبادرات وقيم سياســـية وآراء ورؤية دبلوماســـية طرحها على بساط الفكر السياسى فى مصر والفكر العالمى، الأمر الذى يشى بتطلعاته نحو السياسة الدولية فى سبيل إعلاء شئون مصر فى الداخل وفى الخارج أيضاً، لأن منطلقه يهـــدف إلى تطلعاته الجديدة لمصر التى قادها رئيســـاً من 1971م - 1982م وهى مدة زمنية متوسطة العمر كعمل ســـياسى ورئاسة زعيم استطاع بها استرجاع أرض سيناء ثم المضى قدماً بمصر حتى لقى ســـاعته رحمه الله. إن رجلاً مسئولاً كالرئيس محمد أنور السادات لجدير أن يطرح أفكاراً من الثقافة الدينية لا تسييسًـــا لهذه الثقافة أو وسيلة على غير معانيها القيمية والدينيـــة وإنما تثقيفاً للفكر الإســـلامى وقادته فى العصر الحديث الذى شـــهد أعلاماً فى مصر كـ: محمد فريد وجدى ومحمد حســـين هيكل، وأحمد لطفى السيد، وعباس محمود العقـــاد الذى قدم الســـادات لكتابه «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه»، وعلى وجـــازة هذه المقدمـــة إيضاحاً لموضوع الكتاب وفرصة كانت سانحة للســـادات الذى كان ســـكرتير عام المؤتمر الإســـلامى وللكتاب تحديداً فى 25 مارس ســـنة 1957م، ولما كان موضوع كتاب العقاد «حقائق الإسلام وأباطيل خصومـــه» موضوعاً فكرياً

فاروق صالح باسلامة

وطرحاً دينياً يمس الإيمان وفكر الدين الإسلامى كان لمقدمه السادات إدخال هذه المقدمة لموضوع الكتاب قائلاً:

«طال التصدى للأديـــان بقصد النيـــل منها وبغير قصد، واســـتمرأ الكثـــيرون التخفف مـــن أحكامها بدعوى يدعونها، وبغير دعوى، وهان على بعض الهيئات أن تشـــكك فيما

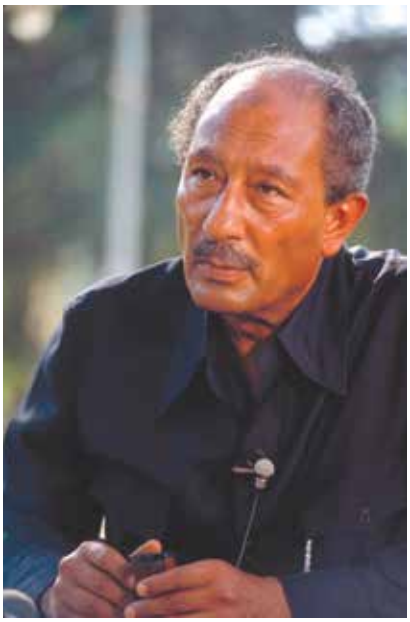

فرغ منه العلم، وحار بين هؤلاء وهؤلاء كثيرون حتى أصبح أمر الدين شـــكاً وتظنيناً وهذه ظاهرة من شـــأنها أن تشغل بال المؤتمر الإسلامى وتبلغ من عنايته واهتمامه مبلغاً بعيداً. ويبدو أن ما يشير إليه الســـادات السكرتير العام للمؤتمر هـــو مؤتمر باندونج الإندونيسية الذى حضره زعماء أمثال جمال عبدالناصر والأمير الســـعودى فيصل بن عبدالعزيز وأحمد سوكارنو زعيم إندونيســـيا الأســـبق، فأدرجه المؤتمر ضمن الموضوعات ذات الأهمية الفكرية للإســـلام فى العصر الحديث! خاصة وأن مؤلفه هو عباس العقاد، لذلك قال - أى مقدم الكتاب - لما كان محل اتفاق أن الأستاذ عباس محمود العقاد موفور النصيب من هذا كله كان طبيعياً أن يتجـــه التفكير إليه، وكان طبيعياً أن يرتاح هو إلى هذا الاتجاه لما أخذ نفسه به من مؤازرة الحق وتأييده ومقاومة الباطل وتفنيده! ويستطرد السادات فى تقديمه للكتاب قائلاً: وها هو ذا كتابه «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه» يخرجه المؤتمر الإســـلامى لكل معنىّ بالثقافـــة راغب فى تمييز الحق من الباطـــل راج أن يقف على أصول الإســـلام ومبادئـــه ليحقق به المؤتمر غرضـــاً من أغراضه، هو نشر الثقافة الدينية خالصة مما يشـــوبها من شبهات ويغلق بها من ريب .

القـــرار الأخـــير

نجيب محفوظ

كان نجيب محفوظ عاشقاً لوطنه - مصر - شديد التعلق به وبكل ما يمسه من أحداث، فلـــم يخل أى إنتاج له من الحديث عن المواطن المصرى والأحداث والتغيرات التـــى تطرأ عليه وعلى البلد. قال محفوظ وهو يتحدث عن باكورة أعمالـــه الأدبية، والتى كانت تتناول العصر الفرعونـــى، قال إنه يريد كتابة أعمال تتناول تاريخ مصر، منذ العـــصر الفرعونى حتى يومنا هذا. غير أنه اتجه إلى كتابة الرواية التى تتناول مواضيع مختلفة، وهو يسطر من خلالها تاريخ الوطن. وقد ظلت المصدر الأســـاسى لتحقيـــق هدفه الأصلى، ألا وهو تاريخ مصر.

فى هذه المجموعـــة يتناول محفوظ كعادته تقديم المدينة العزيـــزة على قلبه: القاهرة، فهو شغوف بهمومها وهموم سكانها.

إن هـــذه المجموعة القصصية تتميز بقصر صفحاتها، ففى بعض الأحيان لا تتعدى القصة ثلثى صفحة. فهى شديدة الإيجاز، وقد تميزت فى ذات الوقت بالثراء والعمق فى المعنى.

إن عبقريـــة محفوظ لا تتبـــدى فقط فى حصوله على نوبل، ولكنها قبل كل شـــئ تظهر فى تعبيره عن ذكرياتـــه وفى حديثه عنها، حتى وإن اختلفت نوعيتها، فهى تمثل شريحة مهمة من قرائه.

تبدأ المجموعـــة القصصية بوصف مبهج لذكريـــات طفولـــة داخل شـــوارع القاهرة القديمة: الأحياء التـــى تحمل التراث الجميل، الذى يعبر عن تاريخ وحضارة عريقة ولمسات فنيـــة تخيم على الســـاحات، وجوه باســـمة مشرقة: «الحلوى فاتنة فى ذوبانها ساحرة فى نشوتها» ثم يســـتطرد: «وفى كلمة أو كلمتين تعرف سر الدنيا والآخرة». و«يعشـــق القلب رمضـــان». وفى فقرة أخـــرى «وفى كلمة أو كلمتين تعرف سر الدنيا والآخرة» فى مواســـم الاحتفالات بزيارة الأمـــوات فى الأعياد تحمل الخير للفقراء.

إن قصة «المهد» التى بدأ بها كاتبنا تمتلىء بالصور المبهجة وقد كان كل شئ يحمل لمسات وضاءة من الماضى الجميل.

فى الباب الثانى والقصة الثانية، التى تحمل عنواناً لا يبشر بخير «دخان الظلام» وصف قاتم لشـــوارع مليئة بمناظر ووصف يفوق الخيال وكأنه كابوس يقتحم نوم إنسان يشعر بالضياع والحيرة والكآبة، وهو يمرق من طرقات أحوالها غريبة ومقاه يجلس عليهـــا أنماط من البشر المشبوهين: «مقهى النشالين. مقهى النصابين. مقهى القوادين». ثم رأى فى نهاية الطريق قوة من رجال. توجه إليهم وسألهم: «هل عندكم علم مما يجرى فى الطرقات الأخرى؟».

صدم بنظرات اســـتنكار. انســـحب وقد ساوره رعب أن يتم اعتقاله. لم تعد الشرطة فى خدمة الناس.

ثم رأى ميداناً به جماعات متنافرة الهوية.

سوسن رحمى

«أهم أصدقاء أم أعداء؟».

انطلق هتاف ولكـــن تخللته أغان خليعة.. «أناشـــيد دينية وموسيقى عســـكرية» شعر بإحســـاس صاحبه ضيق فى صدره وقد سيطر عليه شعور بالضياع. وينتهى الوصف الكئيب لهذا الباب بإشراقة وقد امتلأ قلبه بالبشر، ولعل القارئ هو الآخر، شعر بنفحة أمل، وهو يطالع هذه السطور التى اكتست بسواد وصور قاتمة.

قصة «القرار الأخير» التى تحمل المجموعة القصصيـــة عنوانها، يعـــرض الكاتب قضية للمجتمـــع المصرى فى غايـــة التعقيد ألا وهى: البحث عن الكمـــال فى تربية الأبناء. رجل يحب الكمال بإفراط مهلك قيل عنه «إنه وحش» تبدأ القصة بموت هذا الرجل.

قيل إنه قتل ولكن أثبت الكشـــف الطبى أنه مات موتاً كما يموت الكثيرون: «ورغم ذلك ألصقت بابنه تهمة القتل «.....» ألم يلكم أباه؟».

صرح الابن بأنه كره أباه.. «قيل إن الأب صمم أن يتحلى كل من يخـــرج من صلبه بالكمال. لم يؤمن بالتربية القائمة على الحوار وآمن باستعمال القوة: فهو يستعمل الجلد بوحشية».

كانـــت الأم تبكى وتقول لـــه: «أنت تهلك أولادك ربنا لن يسامحك».

إنها صورة ترمز للسلطة الطاغية التى أراد بها اتباعها أى زعيم يحلم بخلق أمة مثالية وأن يحكم العالم مثل هتلـــر أو فرانكو وأمثالهم. لقد قدم محفوظ أكثر من شخصية ترمز لهذا النموذج وما كان «سى السيد» بطل الثلاثية إلا أشهر نموذج لهذه الشخصيات.

هكذا قدم محفـــوظ من خلال هذه القصة القصيرة صورة كئيبة وقاتمة لإنسان صمم أن يصل بأسرته إلى الكمـــال، وفقاً لوجهة نظره، فهربت الابنة من هذا المناخ الكئيب بقبول زيجة غير متكافئة. ورحل الأخ الآخر ولم يعد. فكانت النهاية القاتمة.

فى قصة «وراء العمود» يقدم الكاتب صوراً أخرى مـــن البشر: النوع الـــذى يفرض وجوده فى المجالس أو عـــلى الأصح يقتحم المجالس رغم اختلاف مستواه عن المجموعة التى يفرض نفسه عليها، مهما كان نوع هذا الاختلاف ســـواء كان اجتماعيـــاً أو ثقافياً. فهـــو يبحث عن الصعود. يصفه الكاتب فيقول: «صاحبى الأستاذ مندس كأنه أحدهم. يقيناً هـــو ليس منهم ولكنه حائز لرضاهم».

يقصد محفوظ بهذا الوصف وهذا التقديم أن يكمـــل صورة المجتمـــع بأنماطه المختلفة. فهو يقول وهـــو يصفه «فما مـــن طائفة إلا وتظنـــه وليها». ويســـتكمل صورتـــه وتأتى النهاية بمفاجأة لم يتوقعها القارئ.. فإذا بهذا الشخص يلقى مصرعه دون مقدمات، والسبب كمـــا يقول الكاتب: «لأنه يعرف أشـــياء كثيرة ويعرف حقيقة الأمور» وقد كانت آخر كلماته: «إنهم يستحقون الموت» ويقول الرجل الذى قام بقتله: «مادمت لا أســـتطيع أن أقتلكم جميعاً فســـأقتل أشـــدكم إجراماً». وكأن المصارحة ومعرفة الحقائق تعتبر من المحذورات.

«الحزن له أجنحة» هذه القصة القصيرة، قبل الأخيرة بقصتين، تبدو شديدة الغرابة، فيما تحتويه من تفاصيل بالغة الغرابة. فهى تروى قصة رجل طحنه الزمن بتجارب بالغة القسوة. فقد الأعزاء جميعاً، ولكنه كان يبدو متماسكاً..

ويتساءل القارئ عن اللغز والسر الخاص بهذه الشخصية فيغرق من حوله من أصدقائه ومعارفه فى شدة تماسكه الذى بلغ ذروته فإذا بالقـــارئ يفاجأ بجملة قصـــيرة تبدو وكأنها المفتاح لهذا اللغز: الحرية.

يقول الكاتب: إنه يحظى بحرية لايعرفها الكثـــير من البشر، ويتســـاءل القارئ عن هذا التجسيد لمعنى الحرية الذى كان بمثابة تصوير عبقرى للإحســـاس الذى يغمر الإنسان عندما ينعم بالحرية.

هكذا كان رده عـــلى صديقه وهو يحاول مواســـاته: «صدقنى أنا لا أشعر بأى حزن لا نحو المرحومة ولا الابنة ولا الابن لا أدرى كيف حل هذا السلام كله».

لقد أراد الكاتب بهذا التجسيد للحرية الذى أراد به تقديم أهمية الحرية وقيمتها أن يبرهن أن لا شـــئ يضاهى حرية الإنسان مهما كانت قسوة المثال الذى قدمه.

دروس الأحداث وعظاتها

الناس تمر على الأحداث - سواء كانت أحداثاً جارية أو أحداثاً ماضية - تمر عليها مرور الغافلين عن معانيها والدروس المستفادة منها، ويرتكبون نفس الأخطاء ويتحملون نفس التبعات التى تحملها غيرهم.. فالناس قلما تعتبر بما حل بالآخرين ولا يعيرونه التفاتاً..

المقامر الذى خرب بيته، المدمن الذى أصبح يرثى لحاله، المغامر الذى غامر بما لديه من مدخرات فى البورصة وخسر «الجلد والسقط»، الشخص الذى يأكل بنهم وشراهة حتى صار وزنه وحجمه مما لا يسمح له بالحركة إلا بصعوبة وهلم جرا.. المفروض أن الناس تعى وترى وتسمع وتفكر.. فتحجم عن السلوكيات التى أودت بأصحابها إلا أن القليلين يفعلون.. وقد قيل فى ذلك «لأن تتعظ بغيرك خير لك من أن يتعظ بك الآخرون»..

وقد وعظ ربنا تبارك وتعالى كفار قريش أن يحل بهم ما حل بأقوام غيرهم مثل قوم ثمود الذين كذبوا نبيهم فسوى مساكنهم بالأرض «كذبت ثمود بطغواها، إذ انبعث أشقاها، فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها، فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها» (الشمس 11 - 15).

هل ذلك مرده عدم المبالاة؟ أم أن كل شخص وكل جماعة من الناس يحسبون أنه لن يصيبهم ما أصاب غيرهم؟

وهناك صنف آخر من الأحداث التى تستدعى أن نتعظ بها، فهناك من الناس من يخططون للوصول إلى أهداف معينة

سفير د. فتحى مرعي

ويريدون أن يبلغوها بأى شكل ومن أى طريق ولا يعبأون بأى موانع خلقية أو قانونية ثم يسخر منهم القدر ويحطم أحلامهم قبيل وصولهم إلى أهدافهم أو بعدها بقليل «وكأنك يا أبو زيد ما غزيت». وهناك شطرة من بيت من الشعر تقول «وتقدرون فتضحك الأقدار».

وكما ينطبق هذا على الأفراد ينطبق أيضاً على الأمم والشعوب.. فقد ظن هتلر أن الجنس الآرى أنقى الأجناس وأفضلها وخطط لأن تكون ألمانيا سيدة العالم وفوق الأجناس جميعاً، فغزا دولاً مجاورة واحتلها ومضى فى سبيله لا يلوى على شىء ففاجأه القدر بما لم يحتسبه حينما غزت قواته روسيا بأن حل شتاء قارس البرد، فكان أن تجمدت سيقان الجنود الغزاة ومنى بهزيمة منكرة، وانضمت أمريكا إلى الحلفاء الغربيين «إنجلترا وفرنسا ومعهم روسيا» فكانت النتيجة أنه بدلاً من أن تسود بلاده العالم احتلت بواسطة روسيا وأمريكا وإنجلترا وفرنسا، وقسموها قسمين أخذت روسيا - فى هذه التقسيمة - الجزء الشرقى من ألمانيا وأدخلت فيه النظام الشيوعى وتقاسم الحلفاء باقى ألمانيا، واحتلت العاصمة برلين بواسطة الدول الأربعة المنتصرة، وانتحر هتلر بعد أن قتل عشيقته إيفا براون.. ومضت الأمور على هذا النحو زمناً إلى أن استردت ألمانيا الغربية سيادتها على أراضيها، أما ألمانيا الشرقية التى كانت من نصيب الاتحاد السوفيتى فقد بقيت ترزح تحت الاحتلال خاصة بعد بناء حائط برلين ليكون سداً منيعاً بين الألمانيتين.. إلى أن تداعت الأحداث فى دول أوروبا الشرقية والتى انتهت بانهيار حائط برلين ثم بعد ذلك إلى توحد شطرى ألمانيا فأصبحت «ألمانيا الاتحادية» وكان يمكن أن يستمر احتلال الاتحاد السوفيتى لألمانيا الشرقية لولا تفكك الاتحاد السوفيتى نفسه وانفراط عقده.. أليست هذه قصة تصلح للتأمل واستخراج العبرة منها؟!

مع كارتي ريح بالك من مشاكل الكاش!

CIB وميزة بيقدمولك بطاقة «كارتي» كبديل آمن للكاش لسداد المدفوعات الحكومية أو التسوق أونلاين وغيرها من المعاملات المحلية.

للمزيد من المعلومات برجاء زيارة الموقع الإلكتروني الخاص بالبنك.

CIB | meeza ميزة

تُطبق الشروط والأحكام